الواجبات الزوجيّة للرجل في الإسلام

الدكتور رضا باك نجاد

ترجمة: لجنة الهدى

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

الواجبات الزوجيّة للرجل
في الإسلام

جَمِيعُ الحُقوق محفُوظة

الطّبعَة الثانيَة

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

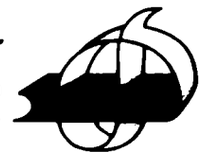
دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٥٥٠٤٨٧/٠١ - ٨٩٦٣٢٩/٠٣ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٨٦/٢٥ غبيري - بيروت - لبنان
Tel.:03/896329 - 01/550487 - Fax: 541199- P. O. Box: 286/25 Ghobeiry - Beirut - Lebanon
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

الواجبات الزوجيّة للرجل في الإسلام

الدكتور رضا باك نجاد

ترجمة: لجنة الهدى

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

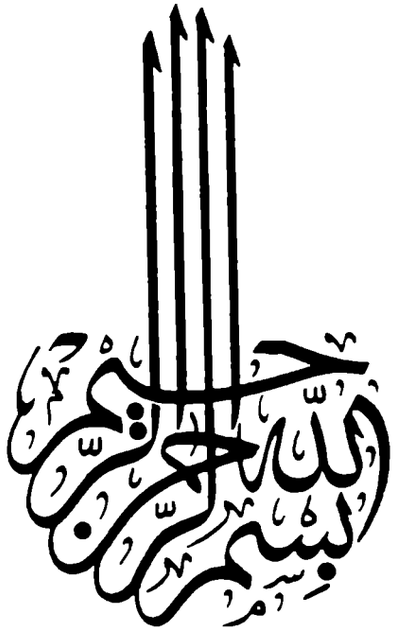
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

نتوجه بالشكر إلى السيد عباس الرضوي لترجمته هذا الكتاب ولأعضاء اللجنة الكرام لمساهمتهم في المراحل الأخرى، ونهنىء القارىء الكريم على حسن اختياره باقتناء هذا الكتاب القيّم والرائع، آملين أن نكون جميعاً ممن يستمع القول فيتّبع أحسنه.

والحمد لله رب العالمين.

لجنة الهدى

«تنويه»

لا نروم من عرضنا هذا تطبيق آيات القرآن الكريم على نظريات وتصورات علماء الغرب ونطبّل فرحين، لا سمح الله تعالى، بأن الآية المباركة الفلانية نصّت على كذا وقد أيّدتها مسوّدة العالم الفلاني بل نريد القول بأن كثيراً من العلماء نجحوا وبعد جهود مضنية في كشف النقاب عن جانب من الأسرار المكنونة في الكتاب العزيز، أي أنها حظيت بتأييد الله جلّ وعلا.

كلمات موجهة لمن ليس من العلماء العلمانيين ولا من جهلاء المتدينين

العلماء العلمانيون هم الذين بالغوا في العلاقة بين الإنسان والطبيعة لكنّهم زجّوا بعلاقة الإنسان بالإنسان في دهاليز مظلمة. . والجهلاء من المتدينين هم الذين حرموا أنفسهم من الأولى وساهموا في نشوء العتمة والظُّلمة التي سادت الثانية.

وفي الإسلام، وُصف العالم العلماني والمتديّن الجاهل معاً بـ «الحمار». . غير أن المشرك أظلم من الجميع لأنه يهبط بمعبوده إلى المراتب الدنيا حتى يصل به إلى الإنسان أو أي شيء من صنع يد الأخير في الوقت الذي يريد الله تبارك وتعالى السمُوّ بالإنسان إلى مستوى يكون فيه مثل ذاته المقدسة (المشرك يسحب إلٰهه إلى الحضيض والله جل وعلا يسمو بالإنسان إلى العلا). .

وعلى العموم فإن للإنسان أربعة صراعات يخوضها دوماً «صراع الإنسان مع الطبيعة ـ صراع الإنسان مع الإنسان ـ صراع الإنسان مع نفسه ـ صراع الإنسان مع الله تبارك وتعالى، وحاله فيها أنه تفوّق في الأولى نسبياً ولا زال مشغولاً بالثانية ورفع الراية البيضاء في الثالثة بينما هو في الرابعة يعيش ما يسمّى بالحرب الباردة، وما أشدّ وأصعب هذا الأخير بين الصراعات الأربعة.

سبحان الله
حمداً لك ربي لا معبود سواك

التوحيد الخالص تنشره وتطلبه كافة التطلعات والأفكار المتفتحة في كل عصر، وهو في حوزة المسلمين أكثر تجلّياً ومصداقية دون غيرهم... فالمسلمون هم الذين يؤمنون بالله على صعيد العقيدة، وعلى صعيد العمل هم يعبرونه ويقدّسونه سبحانه وتعالى.

سلام من الأعماق..

السلام على النبي الخاتم محمد المصطفى ﷺ الذي أمر أتباعه أن يسألوا الله الهداية يومياً عشر مرات، هداية المسلمين كافة إلى الصراط المستقيم، الصراط الذي من طواه بلغ الكمال وهؤلاء الثُّلَّة ليسوا العلماء العلمانيين بالتأكيد ولا جهلاء المتدينين.

السلام على أوصيائه الاثني عشر عليهم السلام لا سيما المشيِّد لصرح حكومة العدل العالمية الموحّدة إمام العصر والزمان الحجة بن الحسن العسكري محمد المهدي «عجّل الله تعالى فرجه الشريف».

حينما نُعي مالك الأشتر للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ارتقى أعواد المنبر فبكى واستغفر له ثم تحدث عليه السلام فكان مما قال: فهل

مرجوٌّ كمالك؟ وهل موجود مثل مالك؟![1].

* * *

لا بد من أب وأمّ صالحيْن قبل أن تنعقد النطفة، ولا بد من أمّ وأب صالحين بعد انعقادها إلى حين الولادة ثم لا مناص من معلّم ووالدين صالحين حتى يمكن أن يكون لنا جيل يحظى بحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام . . .

لذا فأكبر خدمة يمكن إسداؤها للولد اختيار زوج مناسب ومعلم صالح له.

* * *

عند غرفة الوصال ثم في زاوية من مستشفى الولادة وبين جدران المبنى حلّت الروح الإنسانية، وعلى حساب الحيوانية، عن طريق الوالدين بل الوالدة على الأخص ثم أخذت تطوي مسيرتها التكاملية على يد المعلم.

* * *

السابقون لزمتهم أعمالهم، والأجيال القادمة تحت وطأة أعمالنا وعلى هذا فالجميع يعرف مسؤوليته اتجاه الجيل الواعد؛ أي أن ما يحدث اليوم هو نتيجة حتمية لما وقع بالأمس كما الغد رهن وقائع وأحداث اليوم.

﴿إنّا نحن نُحيي الموتى ونكتبُ ما قدموا وآثارهم. .﴾[2].

تفيد الآية الشريفة أن الله سبحانه وتعالى يحيي كل ميّت وحينئذٍ

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ـ ج (٦) ـ باب (٦٧) ـ ص (٧٧).
(٢) سورة يس: الآية، ١٢.

يرى الإنسان كل ما قدمه في الماضي لنفسه ـ حسناً كان أم سيئاً ـ محضراً، أمّا ما خلّفه من آثار حسنة أم سيئة فستُرسلُ إليه.

وفي منظار النبيّ الخاتم ﷺ فإن أفضل تلك الآثار تتمثل في الولد الصالح والكتاب الجيد؛ نبع الحياة ومنشأ التقدّم، والصدقة الجارية التي تعود بالنفع على صاحبها بعد وفاته كلما انتفع منها الناس... ما من شك أن العمل الصالح لا يفرز عنه إلاّ ما يكون فيه خير وهداية الناس وصلاحهم.

إن الناس ينظرون للغة العلم كونها أشعة تخترق أحاديث الأنبياء عليهم السلام لتكشف عمّا خبّأته من كنوز ومعانٍ عظيمة، ولو كان شيء أفضل من الدين لأرسله الله تعالى لعباده.

أهمية الدين في الزواج

لقد أشرت في كل المؤلفات التي تناولت بالبحث موضوع الأولاد إلى أهمية الدين في قضية الزواج، ولا شكّ أن القرّاء سيتساءلون ويسألون: لماذا؟.

هاتيك الأدلة باقتضاب:

إن سرّ العادة في الزواج يكمن في ما يلي:

التناسب والتكافؤ العقلي بين الزوج والزوجة؛ فالهوّة الواسعة بين الاثنين تعني تعرض تلك العلاقة إلى خطر التفكك والانفصام. ربما يعشق عالم بنتاً جاهلة فيتزوّجها غير أنه ليس لأحدهما أن يدرك الآخر بسبب التباين الشاسع في مستوى العقل بينهما... أو ربّما يتزوج شاب من هي كفؤٌ له بالعقل لكنه يدرس ويتعلم فيبلغ مدارج علمية عالية وما أكثر أن يكون هذا التباين بذرة للخلاف. غير أن الشيء الوحيد الذي بإمكانه المحافظة على عقد الزواج من الانفصام هو الدين لا غير، وإن قيل هي الأخلاق فقد أجبت عن ذلك في المجلدات السابقة.. علماً أن الأخلاق لا معنى لها بدون الدين الذي يتناول في أحد أبعاده موضوع الأخلاق.

بعد التناسب العقلي، يأتي التناسب «العلقوي» بمعنى العلاقة التي

بين الزوجة ووالديها وبين الرجل ووالدي الزوجة سواءً كانت تتسمّ بالمعاداة والتخاصم أم بالعكس، ولقد حلّ الدين هذه القضية.

البعد الآخر هو التناسب الجنسي، والمقصود هنا عجز الرجل أو عدم تمكين المرأة نفسها منه. فالدين هنا يضرب على يد العنّين ويمنح الزوجة خيار الفسخ ويرسل في المقابل اللعنة على من لا تمكّن نفسها من زوجها. أمّا إذا ظهر من الرجل فتور أو عدم القدرة على تلبية حاجة الزوجة جنسياً بالكامل فإننا نجد الدين يسارع لتقديم وصاياه للزوجة ويحثها على إثارته وتهييجه وما إلى ذلك، وفي هذا دلالة أخرى على أهمية الدين في الزواج ولعلّ هذه الأهمية تتضح أكثر فأكثر بقراءة الكتب العلمية والدينية.

وفي معرض الحديث عن دور الدين في تمييز المعاشرة والمباشرة الإنسانية عن الحيوانية، ينبغي القول بأن موضوع الأنسنة يبرز إلى السطح بكل أبعاده حينما يكون الدين قد سجّل حضوره، وإلاّ كان الآلاف من الشياه بل كل الثديات، ومنها الإنسان، سواسية في البعد الثاني. إن المباشرة لدى الشياه واحدة وكذا هي معاشرتها لكنها تختلف لدى الاثنين من بني البشر من حيث الاختلاف الناجم عن امتلاكهما لعقلين متباينين في الوزن والتفكير.

بيد أن نفس هذا الإنسان يؤول به المطاف إلى الحيونة إذا ما لعبت بعقله الكحول والمخدرات، فالمدمنون على مستوى واحد من المعاشرة وبعبارة أخرى يتصرفون كالحيوانات. لاحظ الترتيب الوارد في صيغة عقد الزواج عند المسلمين، ما أروعه، إذ تجد «أنكحت وزوّجت ومتّعت» فالمفردة الأولى وهي البداية إشارة إلى تكوين الولد والثانية تعكس فكرة شريك الحياة واختتمت صيغة العقد بما يعبّر عن التقاء

الجسدين وبذلك جُعلت المباشرة، ذات الصفة الحيوانية، آخر الأهداف ولعلك تقرأ في القرآن الكريم ﴿**ذرهم يأكلوا ويتمتعوا**﴾ حيث التلويح إلى التمتع الحيواني.

تحدثنا آنفاً عن أن التباين بين الناس ناجم عن تفاوت في أداء عقولهم لكن إثارة موضوع العقل في سياق واحد مع الأنسنة لا تنمّ عن موضوعية ذلك أن المقام بذكر التقوى مع الأنسنة لا العقل. فمثلاً الحيوان يظهر ردة فعل عدائية إزاء كل من يتعرض له بالأذية ولا يضمرها في نفسه، أمّا الإنسان فما أكثر النماذج التي تضمر العداوة لبعضها في الباطن وتظهر المودة حين لقاء بعضها الآخر!! ونفس هذا النموذج حينما يأخذ المسكر منه مأخذه ويتصرف باللاشعور تجده يترجم عداوته على صعيد حياته في أول فرصة، وبعبارة أخرى إن الإنسان الذي لا يصدّق ظاهره باطنه في الحالة العادية ويظهر على حقيقته في التعامل حينما يكون بالمستوى الحيواني أوضع مستوى من الحيوان لأنه خان الأمانة التي أودعت لديه حيث لم يكن بمستوى هذه الأمانة إلاّ حين يفقد عقله.

من هذا المنطلق، تعد التقوى هي المعيار في علوّ شأن إنسان على آخر والقرآن الكريم يقول ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾[1].

أمّا إذا نظرنا للأمر من زاوية العوامل الكيميائية أو الفيزيائية أو النفسية فليس ببعيد هبوط المرء إلى المستوى الحيواني، بل ودون ذلك. إن النصَّ القرآنيّ المبارك يتعرّض للأكل والتمتع كحالتين يشابه الإنسان فيهما الحيوان ﴿. . . **يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام**﴾[2].

---

(١) سورة الحجرات: الآية، ١٣.

(٢) سورة محمد (ص): الآية، ١٢.

هنا تتضح أكثر فأكثر معالم أهمية الدين في الزواج بل في كافة الأمور. . إن العقل يكون سبباً لإنزال الناس مراتب متفاوتة وهو موجود لدى الإنسان قبل إضاعته بواسطة الأيديولوجيات المنحرفة التي ينساق إليها الإنسان بنفسه مما يستلزم وجود التقوى حتى لا يتم ذلك الانسياق وإلاّ كان كالأنعام بل أضلّ منها، وقد روي عن الرسول الأكرم ﷺ قوله: «لا فضل للعربي على العجمي ولا للأحمر على الأسود إلا بالتقوى»[1].

لقد ثبت في عصرنا إمكانية زرع العقول فيما الأعضاء الأخرى هي وعاء لهذه العقول، أي أن عقل الإمام المعصوم عليه السلام لو وُضع في جمجمة قاتله لكان القاتل محترماً من جهة أن عقل الإمام عليه السلام مدعوم ومصحوب بالتقوى. (هنا لا بد من الإشارة إلى أن هذا الشخص لم يصبح إماماً بالكامل لأن كافة الأعصاب بل وكل الأعضاء والخلايا تأخذ أوامرها من الدماغ).

إن أهمية الزواج في الدين موضوع مثار منذ بداية النبوّة، فقضية المباشرة والزواج والتمتع والنكاح وغيرها ملخّصة في لفظة «العورة» بل مفردة «السوْأة» إذ يمتد تأريخها وجذورها إلى زمان تعيين خليفة الله تعالى في الأرض، أي النبيّ الأوّل سيدنا آدم عليه السلام وبعبارة أخرى إنها مرتبطة بالدين.

نُهي سيدنا آدم عليه السلام وزوجته عن الاقتراب من شجرة لكنهما اقتربا بل وأكلا منها. . فأثير بذلك ولأول مرة موضوع السَّوْأة في الدين ونشأ منذ ذلك الوقت ارتباط غير منفصم بين السّوْأة والنبوّة وفي السياق ذاته بين السوْأة والغذاء، أي أن السوْأة موجودة لدى الإنسان وكذلك

---

(١) مستدرك الوسائل ـ ج ١٢ ـ باب (٧٥) ـ ص (٨٩).

التغذية التي تمثل شرطاً رئيساً في بقاء الموجودات على قيد الحياة بما فيها الإنسان لكن الأخير امتاز بشيء آخر وهو خصُّه بإرسال الرسل لهدايته ودعوته إلى دين ينظم حياته وشؤونه بما فيها سوأته.

ولعل الامعان في أمر زوجتي النبي نوح والنبي لوط عليهما السلام إذ كانتا غير صالحتين وكذا حال ابن النبي نوح عليه السلام، يوقفنا أكثر على مدى تدخّل الدين ودوره في الزواج وبالتالي في انجاب الأولاد.

إن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يوعد بكثرة الأولاد ويُذكّر مباشرة بالصلاة والدعاء والنّحر ﴿**إنّا أعطيناك الكوثر، فصلّ لربّك وانحر..**﴾[1] فما أروع هذا الرّبط بين الجوانب الميكانيكية والغذائية وبين الدعاء والصلاة. أشرنا من قبل إلى دور الدعاء والصلاة والغذاء وسنورد المزيد... لا شك أنكم التفتم إلى الغذاءين الرئيسين للروح والجسم وهما الصلاة وما يقوّم الجسم، لقد أشير إلى ذلك في مائدة سيدنا المسيح عليه السلام والمنّ والسلوى الخاص ببني إسرائيل على عهد النبي موسى عليه السلام وكذلك على مائدة سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام.

تطرقت مراراً إلى النبي والإمام لكنني لم أذكر شيئاً عن الفروق بين النبي والإمام رغم تدويني لما يقارب الأربعين مجلداً، ولقد حان الوقت لذلك.

إن كل نبيّ مبعوث ومصطفى ومجتبى مما يعكس ارتباطاً خاصاً بين الله سبحانه وتعالى وبين النبي، فهو نبي منذ ولادته ولغاية اليوم الذي تبدأ علاقته وارتباطه بالناس، أي يصير مبلّغاً وحينئذٍ يصبح إماماً بمجرد أن يستجيب الناس لدعوته، وبذلك يكون ارتباط العلي القدير بالنبي عليه السلام نوعاً من إرادة الذات القدسية حيث اصطفاه وأفاض عليه

---

(١) سورة الكوثر: ١ ـ ٢.

من رحمته لكن ارتباط النبي عليه السلام بالناس يكون في طريق وعر مليء بالابتلاءات والامتحانات والاستهزاء، ولذا تحمّل الكثير من الناس أموراً جمّة وصولاً إلى الكمال والسموّ..

إن هذه القضايا تعد ابتلاءً في المعيار الإلهي وتُصنف في عداد الاستهزاء من قبل الناس ولأن صبر النبي عليه السلام إنما في سبيل الله تعالى ومن أجل التسامي بالناس إلى الحد الذي ينالون فيه رضا الخالق سبحانه وتعالى ومن هنا جعله إماماً لأتباعه ﴿**وإذا ابتلى إبراهيم ربّه بكلمات فأتمَّهُنّ قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذرّيتي قال لا ينال عهدي الظالمين**﴾[1]، وانطلاقاً من هذا المفهوم فإن الإمامة مرتبة أعلى من النبوة.

إن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم نبي من قبله تعالى للناس أجمع ﴿**وما أرسلناك إلاّ كافة للناس**...﴾[2] من الأولين والآخرين لكنه إمام فقط لمن آمن به «إمام المسلمين»، كان نبياً لكل الناس حتى لمن حرف الخلافة بعد وفاته عن مسيرها الأصلي، وكان إماماً لهم لكن إمامته رجعوا عنها بمجرد أن حرفوا الخلافة عن مسيرها الحقيقي، وعلى هذا الأساس صار نائب النبي عليه السلام إماماً فقد قبل رسالة النبي منذ البداية ويواصل طريقه بنفس الاتجاه بعد وفاته.

إن الارتداد يقع في قسمٍ من الدين مثلما يحصل في الدين كلّه، وقبول نبوة النبي عليه السلام يسري في إمامته أيضاً والحال هذا ينطبق على الإمام الذي يخلف النبي عليه السلام سواء كان ذلك القبول جزئياً أم كلياً. إن الله سبحانه وتعالى حينما أراد أن يجعل خليفة في الأرض شرع أولاً

---

(١) سورة البقرة: الآية، ١٢٤.
(٢) سورة سبأ: الآية، ٢٨.

بتعليمه ﴿**وعلم آدم الأسماء كلّها..**﴾[1] ثم أمر الملائكة بالسجود للعالم فأطاعوا وسجدوا ما خلا الشيطان الذي كان بمرتبة الملائكة حينها وعابداً للّه تعالى، إذ رفض أن يطيع الخالق جلّ وعلا في هذا الأمر فجاءه الطرد ﴿**قال اخرج منها مذؤوماً مدحوراً..**﴾[2]. ويستشف من الآيات المباركة أن بالإمكان تسخير كل شيء بالعلم لكن العالم نفسه وللأسف معرّض لشراك الشيطان اللعين.. إلاّ أن يكون العالم متّسماً بالاخلاص في مقابل الذات المقدسة وهو ما يعترف به الشيطان الرجيم ﴿**قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلاّ عبادك منهم المخلصين**﴾[3].

بعد أن انتهى موضوع مراحل الخلافة والتعليم والاخلاص ولم يُر اسم لزوج آدم عليه السلام ـ حواء ـ، يأتي فجأة ذكر الغذاء والعورة واختيار السكن وفيها يتم ذكر حواء إلى جانب زوجها آدم عليه السلام حيث تنص الآيات الشريفة على: ﴿**وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين**﴾[4].

ثم ﴿**فلمّا ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما..**﴾[5].

وبالنتيجة فإن الزواج الأول في عالم البشرية والذي أقرّه الوحي الإلهي، أثير فيه موضوع التديّن بل الدين التوأم مع العلم قبل أن تثار قضية المباشرة والعوامل الجنسية.

إن ارتباط الدين بالزواج قوي ووثيق إلى الحد الذي لا يتوانى

---

(١) سورة البقرة: الآية، ٣١.
(٢) سورة الأعراف: الآية، ١٨.
(٣) سورة ص: الآيتان، ٨٢ و ٨٣.
(٤) سورة البقرة: الآية، ٣٥.
(٥) سورة الأعراف: الآية، ٢٢.

حتى أقل المتمسكين بالدين وبالرغم من آثار الاستعمار وغزوه الثقافي للدول الإسلامية، عن اللجوء للدين في أمرين يقابل أحدهما الآخر؛ الزواج والموت. هؤلاء يلجآن لعالم الدين عند عقد صيغة الزواج ويلجأون إليه حين الموت والتكفين والدفن.

سنُّ الزواج

المقصود من سنّ الزواج في الإسلام «سنّ التمتع والنكاح» ويعرّف بأنه الوقت الذي يستطيع فيه الذكر والأنثى الزواج طواعية أو بالإكراه.

وزواج الطواعية يعني الشعور بالمسؤولية العائلية من قبل الذكر والأنثى وقدرتهما على مداراة كل منهما الطرف الآخر، ولذا كان سنّ الزواج الطواعية في الإسلام تتمثل بعبارة «القدرة على المداراة» أما مفردة «الطواعية» فتعني الاختيار في الوقت المناسب بما يجعل أحدهما مصدر خير للآخر.

أما الزواج بالإكراه فيكون في مرحلة من العمر بحيث ينتبه الذكر والأنثى فيها إلى أنه صار ينساق لارتكاب المعاصي كالزنا واللواط والاستمناء والسحاق وزيغ البصر و.. وذلك لعدم وجود زوج إلى جانبه على أن مفردة «الإكراه» تفيد مرحلة العمر التي تفرض على كل واحد منهما أن يكون له من يحتويه من الجنس الآخر.

إن الزواج أمر غريزي وطبيعي ﴿**وَمِنْ كلِّ شيءٍ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون**﴾[1] وقد توصّل العلم اليوم إلى ما يشابه ويقابل الأنثى في عالم الطبيعة.

---

(١) سورة الذاريات: الآية، ٤٩.

على كل حال، إن سوق العرض والطلب الجنسي ليس بمعطل عند الإنسان ولن يخفت الصوت المنادي ببقاء البشرية وسيظل هناك مَن يلبّي ذلك النداء طالما ظلّت الغريزة وعاش الإنسان، ولكن في أيِّ سنّ ينبغي تلبية هذا النداء؟ حينما تنتفض الطاقات الكامنة ويأخذ التحريض والإثارة طريقها وتشرع الغدد ذات العلاقة بعملها. في تلك المرحلة وانطلاقاً من أهمية موضوع المعاصي وارتكابها واحتمال الغرق فيها، يعمد الإسلام الحنيف إلى تأطير استقلالية وحرية المرء بإطار «الزواج» ويدفعه إلى بيت التزكية والتطهير والتمتع بزوج شرعي رغم إقراره للحرية والاستقلالية واعتبارها حقاً أكيداً لكلّ إنسان.

وواضح جداً بأن القدرة والاحساس بالحاجة للزواج سواء كانت طوعية أو بالإكراه، تكون في المناطق الحارة أسرع تحققاً مما هو عليه في المناطق الباردة علماً أن الإدراك العقلي والبلوغ النفسي متقارب لدى الاثنين، وسنتطرق للبحث النفسي في حينه.

لا شك أن بحثنا هذا يتضمن مواضيع أخرى كموضوع التسع سنوات بالنسبة للإناث فيما يتعلق بالزواج وموضوع تناقص المني لدى الرجال بعد الخامسة والثلاثين و... الخ، وإذا كان سنُّ الزواج قد تحوّل إلى قضية معقدة بالنسبة للشباب فإنما ذلك لضعف التقرير لديهم في الأمور المهمة المصحوبة بآفاق مليئة بالمسؤولية، في حين أن القرآن الكريم يحل معضلة الاقتصاد التي تعد هاجس الشاب الأول في قضية الزواج حينما يقول: ﴿**إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم**﴾[1].

---

(١) سورة النور: الآية، ٣٢.

إن الأهمية التي تحيط بموضوع الزواج لا تختص بالمسلم الذي يجد نفسه ملتزماً ومتحملاً للمسؤولية بل وتتعاظم هذه الأهمية عند الأكثر تحضراً وثقافة حتّى أن أرباب العلم لهم رأي بالموضوع ولقد تحدثت عن هذا الأمر فيما مضى، ولكن من أمثلة ذلك ما أجاب به عالم الفلك الروسي الذي سمح له «خروتشوف» بالسفر إلى الفضاء، فقد ردّ على شخص قال له في باريس «الأميركيون حينما يذهبون للفضاء يدعون الله، فماذا ستفعلون وأنتم لا رب لكم ولا دعاء؟!» بالقول: من يركب عباب البحر يضطر للدعاء مرة واحدة ومن يسافر إلى الفضاء يدعو مرتين، وعلى المتزوّج أن يدعو ثلاث مرات..

إن عالم الفلك الروسي حتى لو لم يكن قاصداً لكل ما يحمله كلامه من معنى فإنه ترفّع بمقولته بشأن الزواج عن مستوى الهوى والنزوات. ولذا فالإسلام لم يحدد سنّاً معيناً للزواج بل وضع معياراً يتناسب مع تحقيق أمرين هما: السيطرة على البيئة والمحيط والسيطرة على النّفس، أو بعبارة أخرى «القدرة على إدارة الآخرين والقدرة على إدارة النفس».

أما موضوع التسع سنوات فهو تعيين للمرحلة، إنه ليس بتحديد للعمر بل تعيين لحد النصاب.. فالاحصاءات والتحقيقات أظهرت بأن اهتمام البنت بنفسها ومفاتنها وتجميلها ومحاولتها لفت نظر الرجل كان يبرز لديها عند السابعة عشر من عمرها وذلك قبل مائة عام ثم أخذ عداً تنازلياً كلما اقتربنا من عصرنا الحاضر، فقد انخفض سن اهتمام البنت بمفاتنها إلى الخمسة عشر عاماً قبل خمسين سنة من الآن ثم استقر عند الأربع عشرة سنة قبل خمس وعشرين عاماً وهو اليوم يدور حول الثانية عشرة من عمر البنت التي باتت تكرس اهتمامها في هذا السن لاستمالة

الجنس الآخر. وليس ببعيد أن ينخفض السنّ هذا إلى تسع سنوات وربما دون ذلك من جهة عدم امكانية تبرير حالة الافرازات الخاصة بإثارة الأعضاء الجنسية ووقتها .

إنني أدعو القراء الأعزاء إلى مطالعة كتبي السابقة المتعلقة بالزواج.

زمن المباشرة

هناك أزمنة ومواقع لا ينبغي المباشرة الجنسية فيها..

هذا الكلام كان يتعرض للاستهزاء في السابق بيد أن العلم المعاصر لم يهزأ بها بل صار يعتذر من تلك الغفلة. ولكن في أي زمن إذا ينبغي ممارسة الجنس فيه؟ مرة أخرى تضطر الحناجر لتصدح بالصلاة والسلام على أنبياء الله تعالى لأن الظروف الزمانية حينها لم تمنعهم من إثارة تلك الأمور التي لم تكن تتفق مع أي من عادات وتقاليد أناس ذلك الزمان، بل عملوا دوماً بما ينهض بمستوى الأجيال القادمة.. وزمن المباشرة وممارسة الجنس والزواج جاء وفق نظام ممدوح يحكم الكائنات والتناسق العام في كل الكون.

إن زمن البلوغ وذروة الغريزة الجنسية تتباين لدى كل أنواع الكائنات التي تعيش على التلقيح والتزاوج فأحدها يبلغ في الربيع والآخر في الخريف والثالث صيفاً والرابع شتاءً وقسم منها زواجه فصلي وآخر شهري وثالثها يتزواج في كل يوم.. الشاة في تشرين الأول والثاني والدجاج والديك في كافة الفصول غير أن جميعها حدّها نظام التكوين.

ولعلك تلاحظ أن العصفور يبيض في وقت يكون تفقيس البيوض وخروج صغار العصافير متزامناً مع حرث المزارعين للأرض مما يعني

الغزلان تبلغ في وقت يتزامن انقضاء حملها مع ظهور أعشاب جديدة في الصحراء تمتاز بالطراوة وتتلاءم مع الأسنان اللبنية وطبيعة المولود، وبذلك النسق يحكم الحيوانات كلها نظام خاص. ولكن ماذا بشأن الإنسان؟.

إن القرآن الكريم ليطري على المولود المدعو بـ«روح الله» ووالدته وجدّته اللتان كانتا صالحتين وتحبان الله عز وجل... نذكر نموذجاً من الموضوع المشار إليه ونكون قد تناولنا جوانبه.

مريم (ع) في محراب العبادة:

إنها مشغولة بالذكر وعبادة الله تعالى ﴿.. **ألا بذِكر الله تطمئن القلوب**﴾[1].

ولكن ماذا عن طعام سيدتنا مريم عليها السلام؟ يخبرنا القرآن الكريم بأنه كان يجيئها طعام من محاصيل فصل آخر ﴿.. **كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً**..﴾[2] وهو أمر يستحق التأمّل.. ليس هذا فحسب بل تساقط عليها ﴿**رطباً جنياً**﴾ قبل وضع حملها كما ورد في سورة مريم المباركة.

إن الإنسان، وخاصة من يحمل معه مخلوقاً عزيزاً عليه، بحاجة إلى أوقات مقدسة وهدوء لا أن يضطرّ إلى تطبيع نفسه ومطابقتها مع ظروف التكوين والصيف والشتاء وغذاء ومحاصيل هذا الفصل أو ذاك.

والمعروف لدى الجميع أن الزوجة تحاط خلال فترة الحمل

---

(١) سورة الرعد: الآية، ٢٨.

(٢) سورة آل عمران: الآية، ٣٧.

برعاية واحترام خاصّين من قبل المحيطين بها ولا سيما زوجها، لأنها وكما قال الرسول الأكرم ﷺ: «. . . إذا حملت المرأة كانت بمنزلة الصائم القائم المجاهد بنفسه وماله في سبيل الله»[1].

إن الزوجة الحامل لتنأى بنفسها عن الأُطر الحيوانية وترتبط أحياناً بعالم اللانهاية علماً أن لزمان انعقاد النطفة والحمل مدخلية في تحقق هذا الأمر السامي، وأفضل زمان للحمل هو عندما تكون العلاقات العائلية والعلاقات مع الأقارب بمستوى جيد، وحينما يكون فيهم رجل كسيّدنا زكريا عليه السلام وامرأة كسيّدتنا مريم عليها السلام التي إن أرادت سُقيت من نبع جاف ﴿. . **قد جعل ربك تحتك سرياً**﴾[2] وأُطعمت من نخلة يابسة ﴿**وهُزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً**﴾[3].

---

(١) وسائل الشيعة ـ ج (٢١) ـ باب (٦٧) ـ ص (٤٥١).
(٢) سورة مريم: الآية، ٢٤.
(٣) سورة مريم: الآية، ٢٥.

سن الانجاب

يسود الاعتقاد اليوم بأن ذكاء المولود على صلة مباشرة بعمر الوالدين حين انعقاد النطفة، وتشير الدراسات التي أجريت إلى أن ثمانين بالمائة من شخصيات العالم المشهورة كانوا من آباء فاقت أعمارهم الثلاثين عاماً وأمّهات في السابعة والعشرين بينما تقل نسبة الأطفال النوابغ إلى حد كبير عند الأبوين المتقدميْن في العمر.

لكن الإسلام الحنيف لا يؤيد على الظاهر مثل هذا الرأي بل ولا يعير وزناً لما يسمّى بالعلاقة بين العقل أو الذكاء وبين عمر الوالدين، غاية الأمر أننا نفهم من قضاء الإمام علي عليه السلام بوجود صلة بين المولود ووالديه في البعد الجسدي، وذلك حينما طلب من طفل القيام من مجلسه فما كان من الأخير إلاّ أن اتكأ على الأرض بيديه حال قيامه فاستنتج الإمام عليه السلام أن نطفته انعقدت ووالداه متقدمان في السنّ[1].

أما أنْ يُرزق النبي إبراهيم والنبي زكريا عليهما السلام في سنٍّ متقدمة على مولودين يستطيعان ممارسة دور الهداية والارشاد، وكذلك النبي نوح عليه السلام الذي يدعو على قومه بالهلاك بسبب تماديهم في الغيّ والكفر فذلك لا علاقة له بالذكاء والعقل. فالنبيّ نوح عليه السلام حينما

---

(١) ليعرف الأطباء أن أمراض العضلات وراثية.

يحصر علة دعائه على قومه في استخدامهم للأجهزة التناسلية بالفجور ﴿**ولم يلدوا إلا فاجراً كفاراً**﴾[1] وما يمارسونه من كفر فإنه لا يسع الناس القول بأن القوم إذا كانوا أذكياء وعقلاء لما انصابوا بجرثومة الفجور والكفر، والدليل على ذلك وجود عدد كبير من العلماء اللاّدينيين، بل على العكس حيث لا يساوى بين الجاهل بحرمة الشيء أو الذي لم يأت على عقله ترك الفعل الحرام مع من يدرك كنه الأمور ويرتكب المحرم.

إن قانون الأجنة يفيد بأن شخصاً لو أخذ بالتعلم بعد بلوغه الثلاثين وصار عالماً فإن ولده واستناداً لـ«ولد العالم نصف العالم» سيكون أرفع مستوى واستعداداً لتقبل العلم من الأولاد السابقين الذين ولدوا لهذا الشخص قبل بلوغه هذا السّنّ، وهذا القول يتناسب أكثر مع ما أوردته الدراسات والاحصاءات بشأن مواليد الآباء الذين تتراوح أعمارهم عند الثامنة والثلاثين والأمهات في سن السابعة والعشرين.

على كل حال، يبدو أنه ليس هناك ما يمنع التوليد من أن تقدم به العمر، وقد يظهر من هذا النمط عجز على صعيد القوة الجسدية لكن المهم هو أن الأولاد سالمون. إن القرآن الكريم حينما يشير إلى تبشير الملائكة «سارا» بالإنجاب يؤكّد قدرة الله تعالى من جهة وعدم وجود علاقة بين تقدم العمر وبين قلّة ذكائه أو قلّة تحمّله للمسؤولية ﴿. . . **فبشرناها بإسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب قالت يا ويلتي أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً**. . .﴾[2].

وقبل كل شيء فإن موضوع سن التوليد والانجاب يتعلق بطريق ما

---

(١) سورة نوح: الآية، ٢٧.
(٢) سورة هود: الآيتان، ٧١ ـ ٧٢.

بالاختيار والاجبار ولا يشابه موضوع اتخاذ القرار بشأن سن الزواج إذ قلنا فيه إمّا أن يكون طواعية ومن أجل ايصال كل من الزوجين الشابّين الخير للآخر أو بالاكراه من أجل احتواء شاب من عائلة لآخر من عائلة أخرى أو احتواء كل منهما الآخر وهما من عائلة واحدة، إلاّ أن سنّ التوليد والانجاب لا ينطبق عليه «الاختيار» بما تحمله الكلمة من معنى فما أكثر أن يعزم الجانبان على انجاب الطفل ولكن دونما نتيجة بسبب وجود نقص في أحدهما أو كليهما.

إن موضوع الزواج في سنوات متقدمة من العمر موضوع منفصل عن موضوع انجاب الولد في أعمار متوسطة أو في زمن الشيخوخة فصبر وتحمّل المتقدم في السنّ لا يكون بمستوى يتلاءم مع ما يتوقعه الأطفال من تجاوب معهم واطلاق لحرياتهم وإثارتهم للضجيج وهي حالة طبيعية لدى الأطفال، والأب والأمّ اللذان يحتاجان إلى هدوء وأجواء للتزوّد بما يحبه الله تعالى إذا منعا الطفل حريته يكونان قد حمّلا نفسيهما الوزر وإن أوردا أذية بالطفل يكونان قد ارتكبا معصية أو خطأ من المحال تعويضه... ولذا لا ينبغي للشابِّ والشابّة أن يقفا موقف المتفرج على انقضاء العمر وأيّامه بل لا بد من أن يكون لهما حُضور في هذا الاتجاه وبالتالي ليكون لهما دور مؤثر في حياتهما، أي يخمنّا ويخططا كيف ومتى وبأيّ مقدار يتمتعا بالدنيا أو تركها وكم من الأولاد ينجبان وفي أيّ سن وكيف يربيانهم.

تقدُّم السِّن

ينبغي القول بأن احتمالات أخطار الولادة تتزايد مع تقدم العمر ولكن ما أكثر الحوامل اللائي وضعْن حملهُنَّ بسهولة رغم تجاوزهنّ الثلاثين من العمر.

ضغط الدم، مرض السُّكر، العوارض القلبية، الغدد الرحمية و... تكون الأمّ معرّضة للإصابة بها مع تقدّم السّنّ مما يعني تفاقم الأخطار التي ستحيق بالجنين ومن ذلك أن ربع مواليد الأمّهات المتقدّمات في السّنّ، وما يقارب ذلك، مصاب بالمنغوليا.

كما أن نظام تقليل الوزن الذي غالباً ما يكثر العمل به لدى الأمّهات المتقدمات في السّنّ، يزيد من احتمالات إصابة الجنين بسوء التغذية أو يلحق الضرر به بنحو أو بآخر.

نجد في القرآن الكريم أسماء ستة وعشرين نبياً وإلى جانب أسماء بعضهم تمّ التطرّق إلى موضوع الذريّة. إن النصّ القرآني يتطرق إلى سيدنا آدم عليه السلام في إطار قصة استخلاف الإنسان في الأرض والتي تظهر فيها الملائكة تعجبها من ذلك لكونه مصدراً لظهور الفساد وإراقة الدماء ﴿**وإذ قال ربُّك للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفة قالوا أتجعل**

فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء. . .﴾[1]، إلاّ أنّ نفس ابني آدم عليه السلام أحدهما أراق الدّم والآخر نالَ فخراً ومرتبة سامية إذ دفن مضمخاً بدمه (قابيل وهابيل).

النبي نوح عليه السلام يجسّد لنا نمطاً خاصاً من العلاقة بين الوالد وابنه. . فابنه كنعان عصى أمر والده الذي هو في نفس الوقت نبي للّه تعالى فتعرّض للخلع من منزلة النبوّة وواجه الغرق، كما أن الناس على عهده تمادوا في الخطيئة ولم يكونوا ليلدوا إلاّ الفاجر والكافر **﴿ممّا خطيئاتهم أُغرقوا فأُدخِلوا ناراً فلم يجدوا لهم مِنْ دون الله أنصاراً وقال نوح ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً ربِّ إنّك إن تذرهم يُضلوا عبادك ولا يلدُوا إلاّ فاجراً كفّاراً﴾**[2].

يقسّم النبيّ نوح عليه السلام المولودين إلى قسمين أحدهما يجهض الحقّ ويعمل على إماتة بذرته وهي في التراب، وهذا هو حال الكفار، فالكافر عكس المزارع حيث يقوم الثاني ببذر البذور ثم توفير العوامل المساعدة لنموها وتفتحها وإثمارها بينما الأوّل يجعل البذر في التراب ثم يدوسها بقدمها مانعاً عنها كل ما يساهم في نموّها. أمّا الفجّار وهم القسم الثاني ففعلهم أدهى وأمرّ لأنهم يجهرون بفعل الباطل وحالهم حال من يحمل منجلاً لقطع أغصان الحق النامية، والقسمان معاً يلعنهما النبي نوح عليه السلام.

أما النبي إبراهيم عليه السلام فالملائكة تزف إليه بشرىً بولادة ابن له من زوجته الأولى في وقت كان قد رزق قبل ذلك بابن من زوجته الثانية هو إسماعيل عليه السلام. لقد قام النبي إسماعيل عليه السلام الذي قطن مع أبيه

---

(١) سورة البقرة: الآية، ٣٠.

(٢) سورة نوح: الآيات، ٢٥ ـ ٢٧.

حوالي جبل فاران «جبل بربركان» أو حراء «جبل حرارته لاهبة» في مكة المكرمة بمساعدة والده النبي إبراهيم عليه السلام بتشييد ورفع قواعد أول بيت قد بناه سيدنا آدم عليه السلام في حينها ثم هدّمته السنون، ﴿**وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربّنا تقبّل منّا إنك أنت العزيز الحكيم**﴾[1]. ولم يكن ابنه الثاني وهو إسحاق ـ من زوجته الأولى ـ بأقل شأناً من النبي إسماعيل عليه السلام فقد آتاه الله النبوّة وجعله أباً لأكبر عائلة بعث منها آلافاً من الأنبياء عليهم السلام.

من بعد إسحاق يعقوب ومن بعد يعقوب يوسف ومن ثمّ موسى وزكريا ويحيى وعيسى كلهم أنبياء عظام غير أن الأربعة الأخيرين لم يرزقوا بذرية والأخيران بقيا دون زوجة، والقرآن الكريم يخبر كيف أن الباري تعالى استجاب للنبي زكريا عليه السلام دعاءهُ بأن رزقهُ يحيى عليه السلام وقد شرحت ذلك بالتفصيل في مجلدات «مظلوم ضائع في السقيفة».

وفي شأن سيد الرسل محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانت سورة الكوثر الوسيط بينه وبين ذريته وقد تحدثت عن ذلك في غير مرة سابقاً.

وعلى هذا ليس هناك ما يؤيد الأقوال الخاصة بالصلة بين نبوغ الأولاد وعمر الوالدين أو حتى أن يقيم وزناً لهذا الأمر.

ورغم أنه ينبغي الإقرار بحجم النبوغ الذي تحلّى به الأنبياء عليهم السلام إلاّ أنه ليس كل نابغة نبي فضلاً عن أن أمّهات الأنبياء عليهم السلام لم تكن أي منهنّ نبياً حتى نستطيع القول بأن الانجاب وما يرافقه من عوامل لدى الأنبياء عليهم السلام وعوائلهم قضية يدخل فيها الإعجاز الإلهي ولا ينبغي ربط ما يحصل لهم بالعلم. بل على العكس فالآيات الشريفة ﴿**.. وبشروه بغلام عليم فأقبلت امرأته في صرّة فصكّت وجهها وقالت**

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٧.

عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربُّك إنه هو الحكيم العليم﴾[1] تفيد بوجود القدرة العلمية إلى جانب القدرة الإلهية في ولادة النبي إسحاق للنبي إبراهيم عليه السلام من زوجته سارة وهي «عجوز عقيم».

ثم ها هو القرآن الكريم يفصح عن حصول النبي زكريا عليه السلام على ابن وهو في سن متقدّمة ﴿**قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً. . .**﴾[2] في الوقت الذي نرى زواج أنبياء آخرين وهم في سن الشباب وحملت أزواجهم منهم وهم في سن الشباب أيضاً، ومعنى ذلك أن التمعّن في ما حصل للأنبياء عليهم السلام يكشف لنا أن سنّ التوليد والإنجاب لديهم غير مرتبط بمستوى عقل ونبوغ الأولاد ولا البعد الفيزيائي لهم، بل إن التدبّر في الأمر يفصح عن علاقة الزواج وارتباطه بنفسية وروحية الشاب والشابة فلو احتمل انحرافهما كانا مجبورين على الزواج وإلاّ تخيّر كل منهما في الاقدام على اختيار الزوج المناسب له أو الانتظار وبالتالي فسنّ الانجاب تبع لتفكيريهما وآفاقهما، فإن احتمل ولادة الفاجر الكفّار فعليهما أخذ الحيطة لئلا يحصل ذلك وإذا لم يكن هذا الاحتمال وارداً فأفضل سنّ للانجاب هو الزمان الذي يستطيع فيه القانون الإلهي وبواسطة التربويين الدينيين أن يجعل من أولادهم جيلاً نموذجياً، ولعله بالامكان الاطلاع على باقي جوانب الموضوع في مجلد «الصحة وتنظيم شؤون العائلة».

وإنه لمن نافلة القول الإشارة هنا إلى موضوع الانجاب في سنّ متقدمة عند النساء غيره الذي عند الرجال، لكنه إذا كانت طبيعة الخلقة حددت سنوات الانجاب لدى المرأة في ما يقارب الثلاثة والثلاثين عاماً وتركت فترة التوليد لدى الرجال مفتوحة بحيث قد تصل إلى السنوات

---

(١) سورة الذاريات: الآيات: ٢٨ ـ ٣٠.

(٢) سورة مريم: الآية، ٤.

الأخيرة من عمرهم ويكون نكاحهم مثمراً فإن للمرأة في المقابل امتيازات أخرى تنعم بها في حياتها الزوجية فضلاً عن تمتعها بخصلتي الإجبار ـ الإكراه ـ والممكن.

الإجبار يعني أن من الأفضل أن يكون الانجاب عند الزوجة في السنوات الأولى، أي وهي صغيرة السنّ، حتى يمكن تقليص نسبة احتمالات ولادة أطفال مصابين بالمنغوليا أو بأمراض أخرى لدى المسنّين إلى الحدّ الأدنى، أما الممكن المراد به هنا فهو أن المرأة نادراً ما تستطيع أن تحبل دون أن يمسّها رجل.

يا لها من عظمة تكتنف نظام الخلقة ومراقبته لمسيرة الخلقة في طريق ﴿**وإلى الله المصير**﴾ وكذلك مراقبته لرجوع الناس إلى الله جلّ وعلا في طريق ﴿**وإنّا إليه راجعون**﴾.

المعروف أن نمو القسم الأمامي من المخ ـ وهو خاص بالفكر والذكاء ـ أكبر لدى الرجال والقسم السفلي منه ـ وهو خاص بالعاطفة ـ أكبر لدى النساء ذلك أن الرجل والجوانب الفكرية غير المحدودة يستطيع توليد المثل فيما المرأة والجوانب العاطفية تتبلور وتتكامل طوال فترة الحمل الممتدة إلى ما يقارب الثلاثة والثلاثين عاماً. من ذلك يتضح: بما أن الأولاد سيحملون نصفاً من صفات الزوج ونصفاً من صفات الزوجة فإن تقديم العقل والفكر على العاطفة من بين اللّفتات والجوانب العظيمة في عالم الخلقة وهو بحد ذاته نوع من ﴿**إليه راجعون**﴾ ﴿**وإلى الله المصير**﴾ والمسير باتجاه العلم.

الأمر الآخر هو الجمال والظرافة التي ينبغي تقصيها عند المرأة ولذا فاهتمام الخلقة بهذا الأمر لدى المرأة غير ما هو عليه عند الرجل.

فلو نظرنا إلى الثديين مثلاً؛ فمع أن الثديين لدى الرجال أقل

حجماً إلاّ أن البنت لن يكون ثدياها أصغر من ثديي الابن لأنها ترث نصفاً مما عند الأم ونصف ما عند الأب. أمّا لو انعدم وجود الثديين عند الرجل كلّياً لورثت البنت نصف ما لدى الأم فقط ولواجه الثديان عند البنت الضمور بالتدريج.

الشَّيب

تطرقنا في الموضوع السابق إلى ﴿**واشتعل الرأس شيباً**. . .﴾[1] وهو قول النبي زكريا عليه السلام، ومن المناسب الوقوف عند هذا البحث. .

قبل فترة، وبينما يقوم عالم بالتجول بين أقفاص الحيوانات الموجودة في مختبره يلفت نظره القفص الخاص بالأرانب فيقف عنده. .

لقد شاهد أن أطراف الأرانب ـ مثل مقدمة الأنف والرجل و. . . البيضاء الشعر عليها شعرات بلون أحمر فاحتمل أن السبب في ذلك هو عدم وصول الدم إلى الأطراف ولكي يدعم احتماله بالدليل أجرى اختبارات دقيقة توصل من خلالها إلى النتيجة النهائية وكانت واحدة. .

لجأ هذا العالم في اختباره إلى إزالة الشعر الأبيض من الأرنب كلياً ثم وضع الثلج وبصورة منتظمة على مكان الشعر المزال، أي أنه وفر لأماكن الشعر المزال نفس ظروف الأطراف وبعبارة أخرى جعلها تعيش حالة الأجزاء التي يقل وصول الدم إليها، وبعد مدّة لاحظ أن كافة شعر هذه الأجزاء بدأ يميل نحو الحمرة متخلياً عن اللون الأبيض. على هذا يتبين لنا بأن الشعر الأبيض في الرأس أو اللحية غير دال على عدم

---

(١) سورة مريم: الآية، ٤.

وصول الدم إلى ذلك الجزء، فمن ناحية أن جذر الشعرة ـ كما يقال ـ لا يستطيع أخذ اللون من الدم ونقله إلى الشعرة ذاتها لتحافظ على سوادها أو لونها الرئيس كما أن هذا الاختبار يبرهن من ناحية ثانية على وصول دم أكثر للجمجمة التي تنمو عليها الشعرات البيضاء. إن الدم الذي يحمل قيمته الإنسانية طالما ظل يسري في العروق، وهو النجس إذا تدفّق على الجلد ونجس إذا لامس الأرض سوى ما كان منه في سبيل الله تعالى وعلى طريق الشهادة وحينها يكون أطهر وأسمى الدماء.. نفس كثرته في الدماغ البشري إنّما لاعداد وتقديم ذهنية وقّادة وفكر أفضل وهذا بحد ذاته نوع من «الاشتعال» الذي به عرفت الجمجمة بالجمجمة النبوية.

ولكن ما أجمله من ربط بين ﴿**واشتعل الرأس شيباً**..﴾ وبين الرأس الذي وصل إليه مزيد من دم النبي فجعله أبيض ودفع زكريا النبي عليه السلام للتفكير بما يحيطه والابتهال إلى الخالق جلّ وعلا بالقول ﴿**رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين**﴾[1].

نفس هذا الذكر يأتي على لسان الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يوم الخندق ساعة سمح للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بالخروج لعمرو بن عبد ود العامري إذ رفع صلى الله عليه وآله وسلم يديه وهو يقول: ﴿**رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين**﴾، ما أسماه من موقف وما أجلّه من معنى!.

هناك كان النبي زكريا عليه السلام يخاف من أصحابه وما يفعلون من بعده ﴿**وإني خفت الموالي من ورائي**..﴾[2]، كان يخاف من أن يحدثوا في دينه بما ينسجم مع مصالحهم ومنافعهم الدنيوية وأن لا يكون من

---

(١) سورة الأنبياء: الآية، ٨٩.

(٢) سورة مريم: الآية، ٥.

بعده أحد من بيت النبوّة ليرثه الولاية ويكون عند الله مرضياً ﴿**فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربّ رضياً**﴾[1].

سأله ربّه أن لا يترك دينه دون مرشد أو هاد، وأن لا يكون وليّه وكذلك المحامي عن الإسلام الحنيف سوى من انطبق عليه «رضيت لكم» حيث جاء القول الفصل ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾[2].

ولعل من المناسب الوقوف عند مفردة «الوارثين» التي جاءت بصيغة الجمع... فمثلما شهد آل يعقوب انتقال النبوّة من الأب إلى الابن تتابعاً من بعد إبراهيم إسماعيل وإسحاق ومن ثم يعقوب ومن بعده يوسف عليهم السلام وكذلك أحفاد النبي إبراهيم عليه السلام من الطرف الآخر كداوود وسليمان وزكريا ويحيى و... فإن الاصطفاء في آل محمد «صلوات الله عليهم أجمعين» كانت الوصاية من الأب إلى الابن.

على كل حال فإن الدم، وهو منشأ حرارة الجسم وله تدفّق أكبر في الدماغ الذي ينمو عليه الشعر الأبيض، حرارته هي المؤدية لاشتعال الرأس بالشيب. وإذا جرى هذا الدم في دماغ نبي كالنبي زكريا عليه السلام فإنه لن يكون له طلب سوى تعيين نبي يخلفه بمستوى النبي يحيى عليه السلام ولن يطلب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم خليفة له سوى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولهذا السبب بيّن القرآن الكريم الصلة بين ﴿**واشتعل الرأس شيباً...**﴾ وبين ﴿**ربّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين**﴾ بالصورة التي ذكرناها.

---

(١) سورة مريم: الآيتان، ٥ و ٦.
(٢) سورة المائدة: الآية، ٣.

التباين بين الرجل والمرأة

ربما يحتاج الكاتب في معرض التعرّف على التباين بين الرجل والمرأة إلى معلومات حول الفروق بينهما قد لا يسعها مجلد بل مجلدات، ولقد ذكرنا في المجلدات التاسع عشر والعشرين والحادي والعشرين والثالث والخامس والثلاثين أكثر من مائة فارق، وهنا فوارق أخرى:

تتراوح ذروة النشاط الجنسي للرجال بين الخامسة عشر والخامسة والثلاثين من العمر ثم يأخذ منحى تنازلياً فيما الذروة الجنسية عند المرأة تتراوح بين العشرين والثلاثين من عمرها ثم تبقى بمستوى ثابت إلى أن تبلغ الخمسين.

حاجة الجنس لدى الرجال مستمرة ولدى النساء متناوبة، فالرجل يفكر بالمباشرة التالية وهو لمّا ينتهي بعد من الحالية لكن المرأة ليست كذلك فهي لا تميل لذلك ما لم تشعر بالحاجة.

إن معدل حاجة الممارسة الجنسية عند الذكر يفوق معدلها لدى الأنثى.

يستجيب الرجل أكثر للإثارة الروحية والنفسية فيما المرأة تستجيب أكثر للإثارة الميكانيكة «الملاعبة»، فإن حصل أي انقطاع ولو

كان قصيراً جداً في الممارسة الجنسية وإثارة المرأة لتأخّر بلوغها ذروة اللذة الجنسية.

المقصود بالاثارة الروحية والنفسية الاثارة بواسطة مشاهدة جماع حيوان أو إنسان آخر، وهي مثيرة لغريزة الرجل دون المرأة.

الرجل يميل عادة إلى استخدام آلته التناسلية في أسرع وقت والولوج مباشرة في حين تتشوّق المرأة إلى ملاعبتها مدة من الوقت قبل الممارسة الجنسية، وللإسلام الحنيف وصايا بهذا الشأن خاصة وأن هناك شاكيات كثيرات.

مشاهدة الفيلم السينمائي ومطالعة القصص الغرامية والعض وكذلك المشاركة في حفلات الزواج، تثير المرأة أكثر مما تثير الرجل.

يتساوى مقدار ترشح ستروئيد الإدرار لدى الجانبين قبل البلوغ لكنه يتزايد بسرعة بعده ويصل إلى الحد الأقصى عند الرجال في سنّ الخامسة والثلاثين ثم يبدأ بالانخفاض في حين يبلغ ذروته لدى النساء في سنّ العشرين بعدها ينخفض بشدة على مدى العشر سنوات التالية ثم يبقى بمستوى واحد حتى الخمسين أو الستين من العمر.

يفضل الذكور عادة الأعمال الميكانيكية والتطبيقية وتقوية العضلات والأنشطة التي تتّسم بالمغامرة وكذلك الأعمال السياسية والعسكرية ومعاملات البيع والشراء واللهو بألعاب تسلية كالشطرنج والطاولة والتدخين وترجيح العمل في أماكن مفتوحة على المغلقة، أما المرأة فتميل أكثر للفنّ والأدب والتسلية بأمور كالتفوّل والحديث عن آخر التقليعات وموضات الألبسة والوقوف عند معارض المحلات لا سيما معارض الصاغة والبزازين والعمل في سلك التدريس والسكرتارية.

تفوق أرقام محاولات الانتحار الناجحة عند الرجال نظيراتها عند النساء بما يتراوح بين (٣ ـ ٤) مرات، وفي المقابل تفوق محاولات الانتحار الفاشلة لدى النساء نظيراتها لدى الرجال بثلاث مرات.

يعدّ تمنّي الموت لدى النساء أكبر فيما هو أعمق معنىً لدى الرجال، كما أن الوسائل التي يستخدمها الذكور للانتحار أوضح وأكثر أضراراً وتخريباً.

أغلب محاولات انتحار النساء تكون دون الثلاثين من عمرهن، وقد سجّلت الاحصاءات أرقاماً متساوية في عدد محاولات الانتحار الفاشلة لدى الجنسين في هذه السنّ.

المرأة أكثر تحملاً للأوجاع الشديدة وأكثر ميلاً نحو الإثارة والأذى أثناء المباشرة.

انتحار الرجال بالأسلحة النارية ضعف الحالات التي لدى النساء تقريباً.

النساء النوابغ أقل عدداً إلى حدّ ما وكل النابغات تجد فيهن سمة رجولية.

للرجال قابلية أكبر على التغيير والتأقلم، وصح ما قيل من أن الرجل إذا وقف على خطأه فليغيّره أو يتغيّر هو.

البنت تسبق الابن في النطق والمبادرة إلى التحدث، لكنها أقل معرفة واستخداماً للمفردات منه في كل المراحل السنية وفي المقابل لها قصب السبق في تنظيم وربط الأشياء ببعضها وحل الألغاز.

تخطط المرأة للايقاع بالرجل بينما هو ليس بحاجة لذلك.

الرجال يرون الحقيقة أكثر من النساء، السبب في ذلك أنهم

يعترفون بأخطائهم أسهل منهن.

يعرف الرجل كيف يوكل أمر مستلزمات المعيشة للمرأة لكنها ليست كذلك.

يظهر الرجال عادة غرورهم وأنانيتهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة سواء عن طريق التكلّم أو التصرّف بينما النساء يظهرن بمظهر العفة والرّقّة والأدب وهن أكثر خبرة في المواساة.

الرجل ينشد الدليل والبحث أكثر من المرأة.

من النتائج المثيرة التي أفرزتها التحقيقات، تتعلق بالشذوذ الجنسي.. فالفاعل أقل رجولة من الرجل والمفعول به أقل أنثوية من الأنثى، أي أن المفعول به اكتسب بصورة ملحوظة ميزات وخصائص أنثوية تقل عن الحد المتوسط والفاعل يفوق المفعول به رجولة ولكن بمقدار جزئي، وللنمطين رغبة بالموسيقى والفن والدين لكنهما مفرّغان تماماً من الذكاء والحظ السعيد والضمير الجنسي. (جدير ذكره أن عوائل المنحرفين إمّا أن يكون الأب فيها متوفى أو قاسي القلب أو كان يعاملهم مثل ما يعامل البنات أو أن الأمّ كانت تدللهم أكثر من الحد الطبيعي).

الملفت للنظر أيضاً أنه يمكن التنبّؤ بشأن النساء أكثر من الرجال، وكذا يمكن التنبّؤ بشأن الذكور الذين يختارون فروعاً جامعية أهم بصورة أفضل من التنبّؤ بشأن الذين لا يختارون الفروع الأهم.

يقل الاستقرار في الذّكر من الطفولة إلى الكهولة ولا يلحظ التمرد والاعتداء في الذكور إلاّ في مرحلتين من حياتهم، وتمتاز الإناث باستقرار في تصرفهن الاجتماعي لكن علاقاتهن الشخصية وشخصيتهن أكثر تعرضاً للتغيير في المرحلة الإعدادية (الثانوية).

القابلية للإصابة بأمراض عصبية لدى المرأة التي تعيش وسط موائم لها أقل منها لدى الرجل.

الارتباط بالبيئة والانسجام معها بمدى البعد الاجتماعي للأشخاص، وعموماً فهو عند الاناث إيجابي وعند الذكور سلبي.

والتآلف والمواءمة الاجتماعية مرتبطة بشكل أكبر لدى الذكور بالسيطرة على غرائزهم وهي ليست كذلك عند الاناث.

يدرك الأبناء الأمور من خلال التمعّن والانتباه لأفعال آبائهم فيما البنات لسن كذلك بالنسبة لأمّهاتهن.

يفوق الذكور الأناث في فهم الأفعال والتصرفات سواء على صعيد المستوى أم على صعيد الأهمية.

يزداد ضجر ونفور الذكور من أشياء ووسائل المراحل السنية السابقة كلّما تقدموا في العمر، أما الإناث بما فيهن البالغات فهن على استعداد للانشغال بأدوات اللعب الخاصة بمرحلة الطفولة.

الأعمال غير المهمة في نظر الأبناء حين دخولهم المدرسة تبقى غير مهمة في نظرهم ولا تتغير رؤيتهم لها إلاّ بمقدار قليل جداً، بيد أن البنات لسن كذلك إذ سرعان ما تحدث لهن تغييرات عامة.

إن تأثير التربية العائلية وقبول تحمل المسؤولية والقيادة تبرز أكثر لدى تلاميذ الصف العاشر ـ الرابع ثانوي، والأبناء الذين يرغبون ويتطلعون لتحمل المسؤولية وممارسة دور القيادة ينتمون عادة لعوائل منظمة في حياتها ومسيرتها.

تظهر البنات بمظهر اللامبالاة والابتعاد عن تحمل المسؤولية في مقابل المقررات أكثر من الأبناء.

الأنثى حينما تستهويها مبادىء ورؤى مجموعة ما، تحب اظهار تضامنها مع المجموعة لا ممارسة دور القيادة.

يتضح من خلال دراسة معمّقة للخصائص من الطفولة إلى البلوغ، إن تصرفات الابن أشبه في الغالب للأمّ، وعلى هذا يتبيّن أن الانسياق والمماشاة لدى البنات أقل عمقاً مما لدى الأبناء.

يعد البلوغ الجنسي مسألة جديدة بالنسبة للذكور، والمحيطون بهم يتحدثون ويتصرفون معهم من هذا المنطلق، أما البلوغ الجنسي لدى الإناث فهو عامل باطني غير مستجد بل وقديم ولهذا السبب لا تجد المرأة تشغل بالها بالمباشرة الجنسية التالية بعد اكتفائها جنسياً من المباشرة التي تمت للتوّ، بينما الرجل همّه النوبات التالية من الجماع.

مع تزايد علاقة الرجل الجنسية بزوجته، ينخفض احتمال اشباع غرائزه في حين أن المرأة إذا رغبت بممارسة الجنس مع زوجها فلا يمكنها سوى مساعدته عبر تغيير المكان وكذلك النظافة والتطيّب وغير ذلك.

إن الممارسة الجنسية حالها كحال تناول الطعام وشرب الماء فكلاهما نابع من غريزة.. حينما يعطش الابن يقدم على شرب الماء لكن البنت تبقى عطشانة وتتحمل الأمّرين إلى أن يوصلوا إليها الماء حلالاً أو حراماً.

تودّ المرأة أن يتدخل بكل ما يتعلق بزينتها وعوامل جمالها، كأن يقول لها «طال شعرك» أو «قصر شعرك» أو يخبرها عن رأيه بالثوب الجديد، لكن الرجل يرغب في التحدث عن خياطة ملابسه والزيّ الذي يرتديه لأقرانه في العمر أو زملائه في العمل، ومهما كان ترحيبه برأي

زوجته بشأن ملابسه كبيراً لكنه سرعان ما يفضل رأي صديقه بهذا الشأن على رأي زوجته.

هناك زوج يهتم بملابسه فيرتدي في كل يوم زيّاً جديداً، وقد تنال بعض تلك الأزياء اعجاب واستحسان الزوجة لكنها سرعان ما تنفر وتكره الزيّ الذي يثير اعجاب وينال اطراء امرأة أخرى، غير أن نظرة الناس للشخص الظاهر يومياً بزيّ جديد هي أنه مجرد دمية ثمينة لعرض الأزياء. أما إذا ارتدت الزوجة يومياً موضة جديدة فإن الزوج يتشاءم منها ـ إلاّ إذا كان يطلب هو منها ذلك ـ وربما يخطر بباله أنها ارتبطت برجل آخر وأما نظرة النساء لها فتكون مصحوبة بالحسد ويعتبرونها امرأة لا تهوى سوى ثروة زوجها.

الرجل ضعيف عادة في التعبير عن مشاعره وأحاسيسه بسبب انشغاله بالصراعات وقيامه بأعمال مضنية بينما المرأة تميل في الغالب إلى التعبير عن مشاعرها وعواطفها.

المرأة متعطشة للحنان والحب جداً، بل وقد تأخذ المحبة والعطف عندها مكان الجماع، وتزداد الحاجة للمحبة لديها مع تقدمها في السنّ في الوقت الذي لا يكون الرجل كذلك.

حينما تعزف المرأة عن اظهار تودّدها للزوج يكون ناقوس الخطر قد دقّ في حياتهما الزوجية، أما الرجل الذي لا يترجم ولا يظهر أحاسيسه لها فبإمكانه أن يعوّض ذلك كله بموقف ينم عن محبة صادقة.

هناك اختلاف كبير بين المرأة والرجل تمتد جذوره إلى أعماق الخلقة وسيفتح العلم الحديث بابه عليه في أقرب وقت.

لقد زرعوا خلايا جلد مريض مصاب بالـ «كالاكتوزمي» ثم لوثوها

بواسطة بكتريا غير ضارة تسمى «لاندا»[1]، وبعد مضي بضعة أيام بانت آثار الأنزيم المذكور في الوقت الذي لم يكن له أي وجود من قبل.

وفي نمط آخر من التحليلات، أجري اختبار آخر باسم «تركيب الخلايا»، إذ جمعوا بين الخلايا الجنسية والخلايا الجسدية فامتازت الخلايا الناتجة بأنها تفوق الخلايا الأولى بمقدار الضعف من حيث قطرها وما تحمله من كروموسومات لكنها غير قادرة على الحياة مع الوضع الحالي، أي لا بد من حذف كروموسومات بما يصل عددها إلى المقدار الأول في كل خلية على حدة. أما الكروموسومات المحذوفة فتتعلق بأحد الجنسين فمثلاً عند تركيب خلايا الفأرة الأنثى بخلايا الرجل تنفر كروموسومات الإنسان وتتقهقر في حينما يجري تركيب كروموسومات الرجل مع كروموسومات الفأرة تضمحل كروموسومات الفأرة، ولا أحد يعرف حتى الآن السبب!.

.. قد يكون من الممكن ادخال نوع من الكروموسومات في خلية من نوع آخر.

أجري في اليابان اختبار ظريف وملفت للنظر، لقد جمعوا بين عشر خلايا واحدة منها من خلايا الفأرة التي تفتقر لأنزيم باسم «تيميدين كيناز» والتسعة الباقية عبارة عن خلايا إنسان سليمة وطبيعية فنتج عن ذلك حذف واختفاء كافة كروموسومات الإنسان سوى الكروموسوم رقم (١٧) والظريف أن هذا الكروموسوم يعد ضرورياً وحياتياً بالنسبة للخلية لأنه حامل للجين المسؤول عن تكوين الأنزيم المذكور، في حين إذا تعرف هذه الخاصية للجين لأمكننا القول بأن الجين المسؤول عن

---

(١) ينجم هذا المرض عن فقدان الجين اللازم لفرز الأنزيم في عملية الاحتراق مما يتسبب في ظهور مرض السكر، ومن عوارضه التخلف العقلي..

تكوين أنزيم التيميدين كيناز يحمله الكروموسوم (١٧).

لاحظتم التباين في عملية الانتخاب لدى كل من الخلية والكروموسوم.. صحيح أن كل جين تظهر ـ حسب ما ثبت منذ مدة ـ خصائصه في وسط معيّن وعضو خاص وصحيح أن من الصعب العثور على الوسط الملائم بالنسبة للجين، ولكن هل العثور على رجل وامرأة أمر صعب؟.

على كل حال، لا الذي يقول بأفضلية الرجل نطق بالصواب ولا الذي قال ـ مثل اشيلي مونتاغو الذي ألّف كتاباً بعنوان «المرأة... الجنس الأفضل» ـ بأفضيلة المرأة. إن المرء ليغامره الفرح حينما يرى كيف يتصدى القرآن الكريم لموضوع التباين والمساواة بين الجنسين بكل معقولية وموضوعية في الوقت الذي تدفع باقي الحضارات والكتب ثمن ردة الفعل الناجمة عن أقوالها المتضاربة، فهي إن اعتبرت الرجل اليوم وضيعاً فإنها حملت الفكرة ذاتها في الماضي إزاء المرأة.

الرجل يملّ من البقاء دوماً إلى جانب زوجته التي يحبها لكنها تحب أن تكون إلى جانب زوجها الذي تحبه دائماً، ولهذا تجد الرجل حينما يكبر يستاء من الحياة الجنسية التي لا يملكها في الواقع فيما تفرح المرأة حينما تشاهد بأن حياتها الجنسية جعلتها تصير أمّاً وجدّة.

تحب المرأة أن تكون مرؤوسة وتودّ في نفس الوقت بأن يقال لها إن وجودها مؤثر في الحياة وإنها حاجة ملحة.

إن أكثر ما تنشده الزوجة من الزوج أن يكون بيته هو كل شيء في حياته ويربط وجوده بنطاق البيت، وحتى الفاهمات والمتفهمات من الزوجات سواء في الغرب أو الشرق يسألن أزواجهن مباشرة الاصلاحات من بيوتهم وهنّ يردّدن قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا قوا**

أنفسكم وأهليكم ناراً﴾[1] وقول رسوله ﷺ : «ابدأ بما تعول»[2].

والرجل المتعلّم يقول لزوجته في المقابل إن الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ أرادا من المرأة الطاعة لزوجها، حيث قال الرسول الأكرم ﷺ : «جهاد المرأة حسن التبعُّل»[3].

يعد الذكور هم الأقوى في أربعة أخماس عمرهم الطبيعي والاناث هنَّ الأضعف ـ قياساً بالذكور ـ أما الخمس الأخير فالمعادلة تكون بالعكس تماماً.

إذا لم يكن الزوج بالمستوى المطلوب أثناء المباشرة الجنسية يقال عنه «لم يتمكن من...» وإذا ضعفت المرأة قيل عنها «لم ترغب بـ...».

تتصلب بعض عظام الأنثى أسرع من نظيراتها لدى الابن كما أن أسنان الأنثى تظهر دوماً أسرع من الذكر.

الذكور أكثر عدداً في الحالات المختلفة، فمثلما يكثر فيهم النابغة والذكي يكثر فيهم الأحمق والمجنون أيضاً.

على صعيد القدرات العقلية، المرأة والرجل متقاربان في المستوى كما أثبتت ذلك الاختبارات والدراسات، بيد أن الرجل يتفوق من حيث حجم المهارات والدوافع.

تترك أفلام الجريمة والعنف أثراً على الحالة الشهوية للإنسان عموماً والمرأة بصورة خاصة، فعند رؤية هذه المشاهد تبلغ اللذة

---

(١) سورة التحريم: الآية، ٦.
(٢) الكافي: ج (٤) ـ ص (١١) ـ ح (٢).
(٣) من لا يحضره الفقيه ـ ج (٣) ص (٢٧٧) ـ ح (١٣١٦).

الجنسية ذروتها عند المرأة وتكون أقوى بكثير مما هي لدى الرجل. إن تحمل المرأة للأذى يدفعها للشعور بالنشوة عند رؤية عمل القاتل على عكس الرجل الذي يشعر بهذه النشوة برؤية المقتول.

من هنا جاء جلوس النساء في الصفوف الأولى حول حلبات الملاكمة، أو دور السينما عند عرض أفلام العنف والقتل أو حتى مشاركتهن بكثرة في مراسم نزالات المجالدين ـ نزالات بين رجال محاربين مدججين بالحديد مع حيوانات وحشية كانت تقام في عهد الرومانيين ـ أو حتى عند تنفيذ أحكام الاعدام أيام الثورة الفرنسية.

تتصارع البنت في سن الهيجان والفوران، حيث تفجّر طاقاتها، مع نفسها من أجل التغلّب على حالة التسليم للجنس الآخر وفي المقابل يجهد الابن في فوران شبابه بغية الايقاع بإحداهن في شراكه.

حينما تريد المرأة الانتحار تلجأ إلى تناول الترياق والأقراص المنومة، أما الرجل فيقدم على الانتحار بالمسدس أو تناول الأدوية أو رمي نفسه من ارتفاعات شاهقة.

ثم هناك ـ عزيزي القارىء ـ فرقاً آخر بين الرجل والمرأة يمتاز بأمرين؛ الأول أنه لم يتطرق إليه أحد من قبل والثاني أنه يسجّل للمرأة فضيلة على الرجل في واحد من أبعاد الحياة.. إننا لنقف على المزيد من المساواة بين الجنسين كلّما سرنا تعمقاً نحو البعد المعنوي للحياة بينما تتزايد الفروق كلّما اتجهنا صوب البعد الظاهري. تتشابه الطحالب والفطريات البحرية في الآلاف منها إلى حدّ كبير لكن أشجار الرّمان أقل تشابهاً ثم أشجار النخيل أكثر تنوعاً من الاثنين، ويزداد التنوع في عالم الحشرات التي هي أقل تطوراً من باقي الحيوانات، وهكذا في مسيرة الاقتراب من الخلقة البشرية ـ وإن كانت الثديات أقل تنوعاً في السجايا

والأخلاق ـ تجد الناس فيهم تنوع عظيم وتباين كبير. . . تجد إنسانين يقفان على طريقين متناقضين متضادّين تماماً، كالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان «لع» أو الإمام الحسين بن علي عليه السلام ويزيد السكير «لع».

أمّا إذا أردنا دراسة هذا الاختلاف والتنوّع على صعيد الرجل والمرأة فإننا سنجد تنوّعاً أكبر في النساء فلو أمكن تقسيم خمسين رجلاً على خمس مجموعات وفقاً لصفات وسجايا معينة فإن الخمسين امرأة سيقسّمن وفقاً لنفس الصفات والسجايا على أكثر من خمس مجموعات، ومن هذا المنطلق فإن التسلسل من الأعلى إلى الأدنى في حجم التنوّع والتباين سيجعلنا نقرّ بأن جنس المرأة التي هي أكثر تنوعاً أفضل من جنس الرجل.

إذا عرفت الزوجة بأن زوجها يعجبه منها العضو الفلاني أو ثوباً معيناً من ثيابها فإنها ستعمل على مداراة ذلك العضو أو الثوب، أما إذا أفصحت الزوجة عن اعجابها بالعضو الفلاني من أعضاء زوجها أو زي من أزيائه فسرعان ما يتبادر إلى ذهنه السؤال التالي: هل للمجتمع نفس الرأي به أو بزيّه؟.

تطرقت إلى الإنسان الذي يُعرف بالإنسانة من جنس بني البشر، عاريان لا ثوب يرتديانه وعورة الجنسين لم تخضع بعد للضوابط. . ثم أقدم أول نبي عليه السلام وزوجته حواء على تغطية سوءاتهما بورق الأشجار ـ بعد احداث النهي عن الأكل ثم الاقدام على الأكل ـ كما ينصّ القرآن الكريم على ﴿**فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة**﴾[1]، وبذلك سترت عورتهما وفق نظام خاص وهو ما

---

(١) سورة طه: الآية، ١٢١.

يتناسب مع شأن الإنسان الذي يتعدى في معناه الجسد والهيكل، فهنا بات آدمياً ولحياته قرارات وضوابط. إن القرآن الكريم لينظر إلى جنسي هذا الآدمي ـ الذكر والأنثى ـ نظرة مساواة إلى الحدّ الذي يجعل أحدهما يستر الآخر ﴿**هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهن**﴾[1].

ومعنى ذلك أن الرجل صار لباساً لزوجته منذ اليوم الذي ستر فيه عورته بورق الشجر وكذا هو الحال بالنسبة للمرأة إزاء زوجها.

بالإضافة إلى ذلك فإن الرجل والمرأة على مستوى واحد في القابلية الجنسية والتدخّل في أمر تكوين المولود، ومن يريد الزواج يعدّ لباساً لنفسه، ذلك اللباس الذي أوجد وهُيّأ في الجنة ﴿**وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنّة**. . .﴾[2].

---

(١) سورة البقرة: الآية، ١٨٧.

(٢) سورة البقرة: الآية، ٣٥.

الحياة المعيشية الفضلى

هكذا علّمنا الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم . .

إن أفضل خدمة يقدمها الذكر والأنثى لنفسيهما وزوجيهما وأولادهما هو اختيار زوج لائق وكفءٍ . .

تعال معنا ـ عزيزي القارىء ـ لنطالع سوياً بماذا أوصى الإسلام بشأن اختيار الزوج :

١ ـ يعتبر الإسلام الحنيف الزواج عملاً مقدساً . . يعرّف الرجل على أنه لباس للمرأة وهي لباس له، ورأى في كل منهما موضعاً لسكينة وطمأنينة الآخر ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها** . . .﴾[1] . هذا فضلاً عن المنح الأخرى التي خُصّا بها في داري الحياة والحيوان .

٢ ـ الغريزة الجنسية هي نوع من الانجذاب والاستهواء ولا بد أن يكون الحاصل منها محبوباً ومنشوداً، ولذا ينبغي عقد الشاب على شابة يودّها لنفسه وعقد الشابة لشاب تأمل الوصل به .

روي أن أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام قال : قلت

---

(١) سورة الروم : الآية، ٢١ .

ـ للإمام عليه السلام ـ: إني أردت أن أتزوج امرأة وإن أبويّ أرادا غيرها، قال: «تزوج الذي هويت ودع التي هوى أبواك»[1].

٣ ـ في ظل الشروط التي ذكرناها آنفاً، كيف يمكن للشاب أن يرى الشابة التي يريدها.. فالمسك ما يشمّه بنفسه لا ما يقوله العطار عنه وللشابة ذات الوضع إزاءه.

٤ ـ سن الزواج، ولقد أشبعناه بحثاً.

٥ ـ متى وفي أية حالة يكون الزواج مع الأقارب ومتى مع الغرباء؟ وهو ما بحثناه في المجلد الحادي والعشرين.

٦ ـ مراعاة مراسيم وشؤون العقد والمهر وتقاليد العرس المتّبعة لا سيما «سفرة العقد»[2] التي يفوح منها عطر الجنة، وكذلك سائر الترتيبات الأخرى الكفيلة بتعرّف أقارب كل من العروسين على بعضهم الآخر فضلاً عن توفير الفرصة للفقراء المنظورين للتمتع و...

٧ ـ الاهتمام والانتباه إلى كافة جوانب الزواج الإسلامي وبما يحمله من معنى، إذ لا الرجل بإمكانه اعتبار الزوجة في واحد منها «خادمة» ولا المرأة بإمكانها اعتبار زوجها غلاماً بيدها أمره.

٨ ـ إن استقلالية الرجل والمرأة في كل المراحل بالمناصفة.. نصف اجازة العقد بيد الزوج ونصفها الآخر بيد الزوجة، والحال نفسه بالمباشرة و... بل وحتى في الإرضاع من جهة وانجاز الأعمال المنزلية من جهة ثانية.

٩ ـ تجسيد السجايا والصفات التي ينبغي لكل من الجنسين

---

(١) مكارم الأخلاق ـ في نوادر النكاح ـ ص ٢٣٧.
(٢) تقليد إيراني متّبع عند العرس.

التحلّي بها حتى يمكن ممارسة حق الاختيار للزواج.

١٠ ـ عدم إعارة الثروة والجمال الأهمية، بل الاهتمام بالأخلاق الحميدة والملكات الفاضلة وبتعبير أدق «الاهتمام بمدى الإلتزام بالدين».

١١ ـ ما أكثرها من توصيات للمرأة بشأن الزوج والعكس بالعكس، حتى أوصيا بالبسملة عند الشروع بأي عمل كان. . أوصت أن يكون الزوج ممتثلاً للحديث الشريف «ابدأ بما تعول»[١] وأوصت أن تكون الزوجة مصداقاً للحديث الشريف «جهاد المرأة حسن التّبعّل»[٢].

١٢ ـ تأتي الوصية الإسلامية مخاطبة الزوج «من تزوّج المرأة ولا يجعل في نفسه أن يعطيها مهرها فهو زنى»[٣].

١٣ ـ «لا تغالوا بمهور النساء فتكون عداوة»[٤] ورد ذلك عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

١٤ ـ هناك عيوب في المرأة والرجل إذا حاول كل منهما تدليسها عند الخطوبة فهي مدعاة للفسخ.

١٥ ـ تقسيم الوظائف المنزلية بين الزوجة والزوج، وأسوتنا في ذلك الإمام علي بن أبي طالب وسيدتنا فاطمة الزهراء عليهما السلام.

١٦ ـ لا يكن مأكل وملبس وسكن المرأة أقل مستوى عمّا كان في بيت والدها.

---

(١) الكافي ـ ج (٤) ـ ص (١١) ـ ح (٢).
(٢) من لا يحضره الفقيه ـ ج (٣) ـ ص (٢٧٧) ـ ح (١٣١٦).
(٣) وسائل الشيعة ـ ج (٢١) ـ باب وجوب أداء المهر ونية أدائه مع العجز.
(٤) مكارم الأخلاق في نوادر النكاح ـ ص (٢٣٧).

١٧ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام : «ما من امرأة تسقي زوجها شربة من ماء إلاّ كانَ خيراً لها من عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها»[١]، علماً أن الزواج لم يشرّع لتكون المرأة عبداً للرجل وقول المعصوم عليه السلام إنما لتبين الثواب الجزيل الذي خص الله سبحانه وتعالى به المرأة في كل عمل تقوم به من أجل تآلف وسعادة الأسرة.

١٨ ـ الرجل مأمور بصراحة بتقديم العفو والتسامح في معاملته للزوجة وذلك في الأمور يكون للأذواق القول الفصل فيها ـ إن الأذواق في إنسانين لا يمكن أن تتفق أو تتماثل مع بعضها الآخر ـ ويتجاوز عن ما قامت به امرأته.

١٩ ـ على والدي البنت عدم التدخل بشؤون العريس والعروس.. لقد جاء جيران النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا من اليهود، إليه وسألوه أن تحضر سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام عرساً لهم ليزداد بهاءً، فقال صلى الله عليه وآله وسلم لهم: «إنها زوجة علي بن أبي طالب وهي بحكمه...»[٢].

٢٠ ـ بيّن الفقه الإسلامي لنا أنه لا يحق لمن ليست له أكثر من زوجة دائمية أن يهجرها أكثر من ثلاثة أيام كحد أقصى، وبعبارة أخرى ينبغي لهذا المرء أن يضاجع زوجته مرة في كل أربعة أيام على الأقل، وليس المراد هنا الجماع بالضرورة بل المراد منه المؤانسة والتودّد.

٢١ ـ ينبغي أن تكون المرأة سيّدة المنزل كما هو الرجل سيّد العائلة.

٢٢ ـ قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم : «ملعون ملعون من ألقى كلَّه على

---

(١) وسائل الشيعة ـ ج (٢١) باب استحباب خدمة المرأة زوجها في البيت.
(٢) بحار الأنوار ـ ج (٤٣) ـ ص (٣٠).

الناس، ملعون ملعون من ضيَّع من يعول»[1].

٢٣ ـ الفات نظر الرجل إلى أن الحمل والولادة عند المرأة تعادل صيام الأيام وقيام الليالي والجهاد في سبيل الله تعالى وهي في زمن الرضاعة كمن يعتق الرقاب، وإلفات نظر المرأة إلى أن الرجل الكادّ على عياله من أجل توفير لقمة العيش لهم يحبه سبحانه وتعالى ولو وافته المنية حين الكسب فهو في درجة من درجات الشهداء. . وما ذلك إلاّ ليعرِّف كلاًّ منهما قدر الآخر.

٢٤ ـ يستحب للرجل أن يسلّم إذا دخل المنزل وإن حمل معه شيئاً فليبدأ بالأناث قبل الذكور، وإن أراد مغادرته المنزل فليودّع عائلته بصوت مسموع. (من الناحية النفسية، يعد الصوت المرتفع دلالة على المحبة وأن الافتراق مؤقت وإن هذه العائلة وحدها التي تسمع صوت ربّها الدافىء الجنون).

٢٥ ـ يكره تناول الطعام كلاًّ على انفراد ودون أن تضم الزوج والزوجة مائدة واحدة، ولقد جاء في الحديث عن الرسول الأكرم ﷺ: «المؤمن يأكل بشهوة عياله والمنافق يأكل أهله بشهوته»[2].

٢٦ ـ «من سعادة المرء المسلم الزوجة الصالحة والمسكن الواسع والمركب الهنيء والولد الصالح»[3] ومعنى ذلك المسكن الواسع والمركب الهنيء للزوجة والأولاد.

٢٧ ـ «أيّما امرأة قالت لزوجها: ما رأيت منك خيراً قطّ، فقد

---

(١) وسائل الشيعة ـ ج (٢١) ـ باب وجوب كفاية العيال.
(٢) وسائل الشيعة ـ ج (٢١) ـ باب وجوب كفاية العيال.
(٣) مستدرك الوسائل ـ ج (١٤) ـ باب (٨) ـ ص (١٦٨).

حبط عملها»[1].

٢٨ ـ «ما أعطي أحد شيئاً خير من امرأة صالحة إذا رآها سرّته وإذا أقسمَ عليها برّته وإذا غاب عنها حفظته»[2].

٢٩ ـ «من حمل طرفة من السوق فليبدأ بالاناث قبل الذكور»، وإن أردت أن تعطي بكلتا يديك فاعط الأنثى ما بيدك اليمنى.

٣٠ ـ «لا تضربوا نساءكم فمن ضربهن بغير حق عصى الله ورسوله».

٣١ ـ «أحسنُ الناس إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله»[3].

٣٢ ـ «إنما مثل المرأة مثل الضلع المعوج إن تركته انتفعت به وإن أقمته كسرته»[4].

٣٣ ـ عن الإمام الجواد عليه السلام قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: «ينبغي للرجل أن يوسّع على عياله لئلا يتمنّوا موته»[5].

٣٤ ـ «جاء عثمان بن مظعون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله قد غلبني حديث النفس ولم أحدث شيئاً حتى أستأمِرُك، قال: بم حدثتك نفسك يا عثمان؟.

قال ـ عثمان ـ: هممت أن أسيح في الأرض. قال صلى الله عليه وآله وسلم: فلا تَسِحْ فيها فإن سياحة أمتي المساجد.

---

(١) مكارم الأخلاق ـ ص (٢١٥).
(٢) تنبيه الخواطر ـ ص (٣).
(٣) بحار الأنوار ـ ج (٧١) ـ باب (٩٢) ـ ص (٣٨٧).
(٤) وسائل الشيعة ـ ج (٢٠) ـ باب استحباب مداراة الزوجة والجواري.
(٥) وسائل الشيعة ـ ج (٢١) ـ باب استحباب التوسعة على العيال ـ ص (٥٤١).

قال: هممت أن أحرّم اللحم على نفسي. فقال ﷺ: فلا تفعل فإني لأشتهيه وآكله، ولو سألتُ الله أن يطعمنيه كل يوم لفعل.

قال: وهممت أن أجبّ نفسي. قال ﷺ: يا عثمان ليس منّا من فعل ذلك بنفسه ولا بأحد، إن وجاءَ أمتي الصيام.

قال: وهممت أن أحرّم خولة على نفسي، يعني امرأته. قال ﷺ: «لا تفعل يا عثمان»[1].

٣٥ ـ جاءت امرأة إلى النبي الأكرم ﷺ فقالت: يا رسول الله، ما حقّ الزوج على المرأة؟ فذكر ﷺ أموراً وقال: ولا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب»[2].

٣٦ ـ ينبغي للمرأة تطييب نفسها بأطيب الطيب وتلبس أجمل الثياب وتعرض نفسها على زوجها صباحاً ومساءً، وإن هي فعلت ذلك فإنه لا زال حق زوجها أكبر من هذه الأمور.

٣٧ ـ قال الرسول الأكرم ﷺ: «لا يحلّ لامرأة أن تنام حتى تعرض نفسها على زوجها، تخلع ثيابها وتدخل معه في لحافه فتلزق جلدها بجلده، فإذا فعلت ذلك فقد عرضت نفسها»[3].

٣٨ ـ وفي وصية لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لمحمد بن الحنفية «ابنه»، قال عليه السلام: وإن استطعت أن لا تملّك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها فافعل، فإنه أدوم لجمالها وأرخى لبالها وأحسن لحالها، فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، فدارها على كل

---

(١) مستدرك الوسائل ـ ج (١٤) ـ باب (٣٧) ـ ص (١٤).
(٢) وسائل الشيعة ـ ج (٢٠) ـ باب وجوب تمكين المرأة زوجها.
(٣) مكارم الأخلاق ـ ص (٢٣٨).

حال وأحسن الصحبة لها فيصفو عيشك»[1].

٣٩ ـ وعنه عليه السلام أيضاً «داروا النساء وسايروهن وتحدثوا معهن فربما أقبلن عليكم».

٤٠ ـ «النساء كاللحم تحت الساطور إلاّ أن يظهر ما يمنع أو أن أحداً يثيرها».

٤١ ـ عن الإمام الباقر عليه السلام: لا ينبغي للمرأة أن تكون بدون زينة ولو بارتداء قلادة ولا يليق أن تبقى يدها دون حناء ولو كانت كبيرة في السن».

٤٢ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن زينة زوجة البصير؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أن تتطيّب وتتحنّى بحناء ذي رائحة طيبة».

٤٣ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام: «خير نسائكم التي إن غضبت أو أُغضبت قالت لزوجها: يدي في يدك لا أكتحل بغمض حتى ترضى عني»[2].

٤٤ ـ عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «من كان له امرأة تؤذيه لم يقبل الله صلاتها ولا حسنة من عملها حتى تعينه وترضيه وإن صامت الدهر وقامت وأعتقت الرقاب وأنفقت الأموال في سبيل الله وكانت أول من ترد النار، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «وعلى الرجل مثل ذلك الوزر والعذاب إذا كان لها مؤذياً ظالماً...»[3].

---

(١) مكارم الأخلاق ـ ص (٢١٨).

(٢) مكارم الأخلاق ـ ص (٢٠٠).

(٣) وسائل الشيعة ـ ج (٢٠) باب أنه يحرم على كل من الزوجين أن يؤذي الآخر بغير حق. =

٤٥ ـ روي عن الحسن بن الجهم أنه قال: رأيت أبا الحسن ـ الإمام الكاظم ـ عليه السلام اختضب، فقلت: جعلت فداك اختضبت؟ فقال عليه السلام: نعم إن التهيئة مما يزيد في عفّة النساء، ولقد ترك النساء العفّة بترك أزواجهن التهيئة.

ثم قال عليه السلام أيسرّك أن تراها على ماتراك عليه إذا كنت على غير تهيئة؟ قلت: لا، قال عليه السلام: فهو ذاك[١].

٤٦ ـ وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «... فإنّا وجدناهن لا ورع لهنّ عند حاجتهن ولا صبر لهن عند شهوتهن، التبرّج لهن لازم وإن كبرن، والعجب لهن لاحق وإن عجزن، رضاهنّ في فروجهنّ، لا يشكرن الكثير إذا مُنعنَ القليل، ينسيْن الخير ويحفظن الشرّ، يتهافتن بالبهتان ويتماديْن في الطغيان، ويتصدّين للشيطان، فداروهُنَّ على كل حال، وأحسنوا لهنَّ المقال، لعلَّهُنَّ يحسِنَّ الفعال»[٢].

٤٧ ـ «قول الرجل للمرأة: إني أحبّكِ، لا يذهب من قلبها أبداً»[٣].

٤٨ ـ ذات يوم «تقاضى علي وفاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الخدمة، فقضى على فاطمة عليها السلام بخدمتها ما دون الباب وقضى على علي عليه السلام بما خلفه. فقالت فاطمة عليها السلام: فلا يُعلم ما دخلني من السرور إلاّ الله بإكفائي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحمّل أرقاب الرجال»[٤].

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج (٤) ـ حقوق الزوجة على الزوج.

(٢) وسائل الشيعة ـ ج (٢٠) ـ باب استحباب معصية النساء وترك طاعتهن ـ ص (١٨٠).

(٣) وسائل الشيعة ـ ج (٢٠) ـ باب استحباب حب النساء المحللات ـ ص (٢١).

(٤) وسائل الشيعة ـ ج (٢٠) ـ باب استحباب خدمة المرأة زوجها في البيت ـ ص (١٧٢). =

٤٩ ـ «ويل لامرأة أغضبت زوجها، وطوبى لامرأة رضي عنها زوجها»[١].

٥٠ ـ ﴿وعاشروهُنَّ بالمعروفِ فإنْ كَرِهتُموهُنَّ فعسى أن تكرَهُوا شيئاً ويَجعلَ الله فيهِ خيراً كثيراً﴾[٢].

٥١ ـ ﴿. . فإمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسانٍ. . .﴾[٣].

٥٢ ـ ﴿. . فأمسِكُوهُنَّ بمعروفٍ أو سرِّحُوهُنَّ بمعروفٍ ولا تُمسِكُوهُنَّ ضراراً لِتَعتدوا. . .﴾[٤].

٥٣ ـ «ملعونٌ معلون مَن ضيّع مَن يعول»[٥].

بالرغم من أننا لم نتعرض إلاّ إلى جزء يسير مما ينبغي مشاهدته عند العائلة القائمة على أسس إسلامية إلاّ أنه هل يمكن لأحد أن لا يعتبر مثل هذه الحياة التي تتوفر فيها مثل هذه الظروف هي الأفضل والأحسن؟ ألم يبلغ كل من الشاب والشابة مراده من الاقتران بما يناسبه ويحبه؟ وبالتالي أليس ذلك في مجموعه بمثابة تقديم خدمة للجيل الحاضر بل لكل المجتمع.

---

(١) بحار الأنوار ـ ج (٨) ـ باب (٢٤) ـ ص (٣١٠).
(٢) سورة النساء: الآية، ١٩.
(٣) سورة البقرة: الآية، ٢٢٩.
(٤) سورة البقرة: الآية، ٢٣١.
(٥) وسائل الشيعة ـ ج (٢١) ـ باب وجوب كفاية العيال ـ ص (٥٤٣).

حب المرأة

لطالما نقل عن النبي الأكرم ﷺ قوله: «حُبِّب إليّ من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة»[1] ولطالما روي عنه الحديث الشريف «ما أصيبُ من دنياكم إلاّ النساء والطيب»[2] مما يتبادر إلى الذهن سؤال أن لماذا ذكر النبي الأكرم ﷺ النساء والطيب إلى جانب الصلاة في مواقف في حين أنه يوردهما دون ذكر الصلاة في مواقف أخرى.

إن حبّ الأولاد من الفطرة، والدفاع عن الولد خصيصة في كل حيوان، حتى لو أدّى الدفاع والحفاظ عليهم إلى هلاكه.. لكنه لا يلاحظ في عالم الحيوان حبّ الزوجة والحنوّ عليها كما هو لدى الإنسان.

الروايات الواردة عن أئمة الإسلام الحنيف عليهم السلام ـ وقد أوردت الكثير منها في المجلدات من التاسع عشر فما بعد ـ كلّها يفيد بأن الإسلام يوصي بالزوجات خيراً بل وكل الاناث، وتلك مواقفه من وأدِ البنات وتجارة الرقيق واستعباد النساء تشهد بذلك.

تعلّمنا وصايا الإنسان أن يكون الشروع بأي عمل مسبوقاً بذكر الله

---

(١) روضة الواعظين ـ ج (٢) ـ ص ٣٧٣.

(٢) الكافي ـ ج (٥) ـ ص (٣٢١) ـ ح (٦).

جلّ وعلا «بسم الله الرحمان الرحيم» وعلى غرار ذلك نجد وصية أخرى تشبه في جوانب منها الوصية المذكورة.. هذه الوصية تقول: «ابدأ بما تعول» من العيال وهو ما يفيد معنى الطاعة لله... سبحانه والامعان بالوصيّتين يوصل إلى جعل مقولة «ابدأ بما تعول» في مقابل ذكر الله جلّ وعلا عند الشروع بأي عمل. إن الإسلام يضم إلى جانب أعظم أسسه «التوحيد» اسم نبيّه الأكرم ﷺ في الأذان والاقامة والقرآن المجيد ينصّ على ايراد اسم الخالق المجازي «الولدان» في غير موضع عقب الدعوة للتوحيد مباشرة ﴿**أن لا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً**﴾[1] ﴿**وقضى ربك أن لا تعبدوا إلاّ إيّاه وبالوالدين احساناً**﴾[2].

لا تنفرد الحيوانات المتزاوجة بضعف أو انعدام الاهتمام بالأنثى أو التعلّق بها بل يسري الأمر للإنسان أيضاً، فحينما ننظر للمتخلفين لا نجد أثراً للعلاقة الإنسانية بينهم وبين زوجاتهم... بيد أن الأمر يختلف بشأن الأولاد فبمجرد أن صارا أبوين نبت في قلبهما حب شديد اتجاه الأولاد وهو أمر غريزي لدى كل الحيوانات.

من هذا المنطلق، جاء قول النبي الأكرم ﷺ: «حُبِّب إليّ من دنياكم النساء والطيب»، فهي إشارة لتثبيت البعد الإنساني من جهة ولفت نظر بني آدم لأمر هام جداً هو أن الحب يمثل الحجر الأساس لسعادة العائلة من جهة أخرى، وإذا كانت البشرة والفروة والجلد يكفي غير الإنسان ـ باقي الحيوانات ـ الذي لا تحدّه حدود أو ضوابط معينة فإن الإنسان بجنسيه يحتاج إلى لباس يستر عورته ويحميه من الحرّ والبرد ولا شك أنه سيحب ويعتز بهذا اللباس الذي يصونه من كل سوء، وعلى هذا فلمَ لا يحب الرسول الأكرم ﷺ الزوجة وهي لباسه الذي

---

(١) سورة الأنعام: الآية، (١٥١).
(٢) سورة الاسراء: الآية، ٢٣.

عرّفه الله سبحانه وتعالى له؟ ثم لمَ لا يحب المرأة وهي سبب سكينته وطمأنينته؟ وكذلك لمَ لا يحبها والله سبحانه وتعالى ينبّأ في كتابه المنزل ﴿**وجعل بينكم مودة ورحمة**﴾[1].

عرف النبي الأكرم ﷺ بأنه المرسل من قبل الله تعالى وهو الموحى إليه، وهو الشخص الأول في السلطة التنفيذية والأول في التشريعية وكذلك القضائية فضلاً عن كونه الأعلم في الفيزياء والميتافيزيقية، وإلى جانب ذلك هو الرحمة لكل البشرية وخاصة النساء اللاتي ما قام لهن صلب إلاّ بالإسلام الحنيف وبرسوله الأكرم محمد ﷺ، وما كان ليعوض الذلّ الذي مررن به وتصنيفهنّ في أدوات اللهو والرقّ إلاّ نزول سورة باسمهّن على صدر سيد المخلوقات المصطفى محمد ﷺ.

وتجليلاً لمكانة المرأة السامية وتأكيد بعدها الإنساني على العموم، وتجليلاً لمكانة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام على وجه الخصوص.. قال حبيب إله العالمين ﷺ: «فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها فقد أغضبني»[2] وقال ﷺ: «إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك»[3] مخاطباً ابنته الوحيدة التي كان يشمّها ويقبل يدها كلّما رآها وهو الذي كنّاها بـ «أم أبيها».

نعم، بمثل هذا الكلام يمكن تعويض المرأة وبمثله أيضاً يمنحها الرّقة والغضاضة «حُبّب إليّ من دنياكم النساء والطيب» ثم يسمو ﷺ بها فيقرنها بميتافيزيقية الصلاة.

---

(١) سورة الروم: الآية، ٢١.

(٢) صحيح البخاري «كتاب بدأ الخلق» باب مناقب قرابة الرسول.

(٣) مستدرك الصحيحين ـ ج (٣) ـ ص (١٥٣).

قد يؤتى المرء بأكاليل من الزهور فيحبها كلها بصفتها ترمز لمختلف أنواع الجمال والمحبة رغم أنه قد يواجه بعض المتاعب في جمعها والحفاظ عليها، أما إذا جيء له بعصارة تلك الزهور في قنينة صغيرة فسينصب اهتمامه على ما في القنينة ويكرّس حبه له، أي الطيب.

إن حب النساء والطيب في حديث سيد الكائنات محمد ﷺ يوصل هذا المعنى، لقد وصف ﷺ أشياء عديدة بأنها كالزهرة وحبه لها كما ورد ذلك في الأحاديث الشريفة لكنه ﷺ جمع كل ما هو محبوب في المرأة ليعوّض لها ما عاشته من إذلال وحيف ويحق لها حقها ويوجّه المسلمين بل الإنسانية الوجهة الصحيحة بهذا الشأن.

ثم هي إلى جانب الصلاة التي «. . فإن قُبلت نُظر في غيرها وإن لم تُقبل لم ينظر في عمله بشيء»[1] وعلى غرار ذلك فمن لم يكن فيه خير لزوجته وأولاده فلا خير فيه للآخرين.

(١) ميزان الحكمة ـ ج (٥) ـ باب «الصلاة أوّل ما يُسأل عنه يوم القيامة».

الأمّ الحامل والأب المسؤول

بنور العلم تضيء صفحات التاريخ وتنجلي عنه سحب العتمة والظلمة، سواءً كان ذلك التاريخ خاصاً بالأنبياء عليهم السلام أم بغيرهم. . إن تطور العلم يكشف عن صحة حديث الأنبياء عليهم السلام أما الباقين فآثارهم تدلّ على ماهيتهم وما واجهتهم من أحداث ولقد أطلق عليه القرآن الكريم لفظة «العبرة».

إن العلم يضع يده بيد تاريخ الأنبياء عليهم السلام فيظهران في نسق واحد وبخطوة متّزنة لكن عالم الآثار يزيح الستار عن التاريخ المظلم للآخرين والمكنون في أعماق الأرض.

العلم المتطور يماشي الدين الذي يواكب الحياة ومستجداتها بل ثبتت معالمه أكثر وهو بجانب الدين. . . وهل الدين مجهول حتى يكون العلم مقدمة للتعريف به؟! من عرف أن مقولة «عرفت الله» هي المنقولة عن أئمة الهدى عليهم السلام وليس «علمت الله» فالأمر لديه بائن ولا غموض يواجهه فيعلم أن تعريف الدين بواسطة العلم تعني تعريف الثلاثة والعشرين عاماً من الإسلام الحنيف على مرّ العصور وإلى الأبد وفي هذا السياق يأتي قول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل»[1].

---

(١) مستدرك الوسائل ـ ج (١٧) ـ باب (١١) ـ ص (٣٢٠).

إن عالم أمة الإسلام نبيّ وظيفته رفد الصدور بالمعارف الإسلامية وفق ضوابط علمية لتكون معطاءة وزاخرة عبر العصور إلى الأبد.

لقد عرّف الإسلام شهداء طريق الحق والزهّاد الصّافين أقدامهم في الليل والصائمين في النهار وكل من سلك طريق القرب إلى الله تعالى، بصورة جعل الناس يكنّون لهم الاحترام على الدوام.. وإن أجحف المجتمع حقهم وتوانى في تكريمهم يوماً فقد عوّضوا بـ ﴿.. **وللّه العزّة ولرسوله وللمؤمنين**..﴾[1] حقيقة ناصعة تتلألأ في جبين التاريخ.

حينما يرى الزوج أن زوجته خوطبت بالقول«جهاد المرأة حسنُ التّبعّل»[2] فسيعرف مدى تقدير الإسلام للمرأة التي تحسن معاملة زوجها وتوفّر له كافة مستلزمات الراحة والطمأنينة إذ جعلها كالمرابض الحامل لسيفه في سبيل الله تعالى، وفي المقابل تزداد المرأة حبّاً واحتراماً لزوجها الساعي لتوفير مستلزمات سعادة عائلته حينما ترى الإسلام يصنّفه في عداد المجاهدين «الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله»[3]. وبعبارة أخرى إن الزوج والزوجة سيلتفتان إلى أن الإسلام منح كلاً منهما نصف الحق وساوى بين الرجل والمرأة ﴿**من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيبةً ولنجزينّهم أجرهم بأحسنِ ما كانوا يعملون**﴾[4].

إن للزوج والزوجة إذا راعى كل منهما الآخر وبما أمر به سبحانه

---

(١) سورة المنافقون ـ الآية (٨).
(٢) مستدرك الوسائل ـ ج (١٤) ـ باب (٦٢) ـ ص (٢٤٧).
(٣) مستدرك الوسائل ـ ج (٧) ـ باب (٤) ـ ص (٣٧٨).
(٤) سورة النحل: الآية، ٩٧.

وتعالى، أجر متساو وهما في حياة وعيشة طيبة لا تكون إلاّ للمجاهدين في سبيل الله تعالى. هذا فضلاً عن أن القرآن الكريم يخبر في الآية الشريفة الآنفة الذكر بأن الذكر والأنثى هما منشأ الأفعال الحسنة من الحياة الطيبة..

وخلاصة ما سبق:

صحيح أن الرجل إذا سعى من أجل راحة الزوجة أو جهدت المرأة بغية توفير أسباب سعادة الزوج لهما أجر متساو وكلاهما كالمجاهد، لكن العناية بالزوجة ومداراتها ينبغي أن تكون أوسع وتحظى بضرورة أكبر، لماذا؟ لأنها في مهبّ أحداث طارئة من جهة وتتصور بأنها مجبرة على بعض الأمور بسبب الخلقة من جهة ثانية ولذا لا بدّ من تخصيص تعويضات لها دون الزوج. من هذا المنطلق جاء الإسلام العزيز ليمنح المرأة في فترة الحمل والرضاعة، حيث لا شيء يشابههما لدى الرجل، سمته القائم ليله والصائم نهاره بل والمقتحم الأرض الوغى استقبالاً للشهادة والباذل لماله في سبيل الله تعالى وذلك قول الرسول الأكرم ﷺ: «إذا حملت المرأة كانت بمنزلة الصائم القائم المجاهد بنفسه وماله في سبيل الله»[1].

كل من الزوجين يرى الآخر في صف المجاهدين في حال التعامل والأخلاق الحسنة، أما إذا كان الرجل فائق الاحترام لمن يصوم أيامه فليعرف أن زوجته الحامل لها هذه الصفة، وإذا كرس تقديره لمن يقوم ليله ويحييه بالعبادة فليعرف أن زوجته الحامل لها نفس منزلة العابد هذا، وهكذا الحال بالنسبة للمجاهد بنفسه والمجاهد بماله في سبيل الله..

---

(١) وسائل الشيعة ـ ج (٢١) ـ باب (٦٧) ـ ص (٤٥١).

وبذلك فهي قد جمعت الصفات الأربع، أي أنها صائمة قائمة مجاهدة بالنفس والمال.

والآن؛ إذا كانت المرأة تمرّ بفترة الحمل فما هي مسؤولية الزوج؟.

مسؤولية تدبير شؤون المنزل ومراعاة حال الزوجة؛ فمن يرى أن ربّة البيت تصوم يومها فعليه أن يرحم ضعف بدنها ويهتم بغذائها ومن يرى أنها تحيي ليلها بالعبادة حتى الصباح فعليه السعي لتوفير الراحة لها، كما ينبغي توفير الغذاء والملبس وكل مقومات الصمود للجندي المصطف أمام العدو في جبهة القتال ثم لا بد من مداراة المنفق لكل ماله في سبيل الله تعالى حتى لا يكون حاله أقل مستوى من فترة تمكّنه وثروته.. يا لها من مسؤولية كبيرة يتحمّلها الرجل في مقابل زوجته الحامل لا سيما المؤمن التي اشترى الخالق تعالى نفسها ومالها حيث قال: ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**..﴾[1].

فها هي المرأة قد اشتراها الله تعالى، فماذا ينبغي العمل أمام مشترٍ كسبحانه وتعالى؟.

من هنا تتضح أهمية العنوان الذي تصدّر الفصل «الأم الحامل والأب المسؤول»، فالزوجة إذا كانت حاملاً فالزوج حمّال، وأيّ حمّال.. إنه يتحمل مسؤولية إنسان اشتراه الله سبحانه وتعالى.

هذا هو الخالق المجازي «الولدان»، حصة الأب في هذا الخلق دقائق وحصة الأم تمتد إلى تسعة أشهر، ومن لا يحترم الخالق المجازي

---

(١) سورة التوبة: الآية، ١١١.

فإنه لن يكون مطيعاً للخالق الحقيقي في المرتبة الأعلى.

إذاً فما مسؤولية الأب؟ هي نفس مسؤولية اتجاه القائم ليله والصائم نهاره والمجاهد بنفسه وماله في سبيله تعالى حيث لا بد من توفير الغذاء والملبس ومحل الاقامة وغير ذلك.

ولكن... لمَ كلّ هذا التعظيم لشأن الحبلى؟.

إثارة تستحق التأمّل.

نماذج من الواقع الاجتماعي

إن العلم يفتح للمرء آفاق الوقوف على معنى كلام الأنبياء عليهم السلام، وبعبارة أخرى إن المرء يستحصل العلم بمقتضى الجد والاجتهاد فقبله بعد أن لمسه في حين أن كلام الأنبياء عليهم السلام عليه أن يعيه بعقله ومعرفته. كما أن العلم يكون سبباً في ترجمة الدين على صعيد الواقع مع الاحتفاظ بحقيقته الأصلية.

إليك هذا النموذج[1]:

اشتكى زوجان شابان لدى طبيب نفساني من قبح أولادهما على عكس ما يتّسمان به من وسامة وظرافة وسألاه عن السبب، وأضافا: أولادنا الثلاثة ـ الابن والبنتان ـ قبيحو المنظر في حين يسكن إلى جانبنا زوجان ليس فيهما مسحة من الجمال لكن ولديهما جميلان وظريفان.

هذا الكلام حفّز الطبيب النفساني على التحقيق ومتابعة الموضوع فراح يغوص في الحياة الخاصة لهاتين العائلتين، فتوصّل إلى ما يلي:

الزوجان اللذان راجعاه للعيادة في شجار دائم، والزوجة تتصف بالحسد وضيق النظر ولا يمضي يوم حتى تفتعل مع زوجها مشاجرة

---

(١) منقول عن مجلة «سلامت فكر» لأحمد فداكار.

كلامية وهي معروفة بين زميلاتها في العمل بـ «القدوة» في سوء الخلق. أما اجتماع العائلة وملتقى أعضائها مع بعضهم فهو دون السيىء.. الزوج والزوجة غالباً ما يتناولان طعامهما خارج المنزل كلاً في محل عمله أما طعام الأطفال فهو من طهي الخادمة التي تتولّى رعايتهم وكميته قليلة جداً، والوضع هذا مستمر حتى في حين الحمل.

أما ما يتعلق بالزوجين الجارين فالبحث والتحقيق أظهرا أنهما وفرا لعائلتهما ظروفاً نموذجية ومثالية.. الأب والأمّ على وفاق تام والعلاقة بينهما من جهة وبينهما وبين الأطفال من جهة ثانية يسودها الاحترام بالكامل، لا يأكلان الطعام بمعزل عن طفليهما مطلقاً والأم هي التي تعد طعامهما بنفسها. وأثناء فترة الحمل، راعت الأم كل الأمور التي ينبغي لها مراعاتها وسعت للحفاظ على هدوئها الفكري فضلاً عن تجنب تناول الأطعمة غير الصحية والمضرّة للجنين والمواظبة على تناول الفواكه والأطعمة التي تعوّض للحامل ما تفقده من سوائل وغيرها بسبب الحمل، وما إلى ذلك.

نتيجة البحث دفعت بالطبيب النفساني إلى اجراء تحقيقات أوسع فراح يجمع المعلومات ويستقصي بشأن عوائل أخرى ثم توصل إلى نتيجة مفادها «أن حسن الخلق وراحة البال والتغذية المناسبة للأمهات لا سيما في فترة الحمل لها بالغ الأثر على جمال وسلامة الأطفال».

في أواخر الحرب العالمية الثانية وفي إحدى المدن الالمانية الصغيرة التي دمّرتها الحرب، تعرض كثير من نسوة المدينة، المتزوجات وغيرهن، مراراً للاغتصاب من قبل الجنود.. هذا الاعتداء الجنسي تسبب في انقطاع الحيض عند أغلبهن حتى المتزوجات اللاتي أنجبن من قبل ـ حيث الانجاب دلالة على سلامة المبيض فضلاً عن

حصول العادة الشهرية لديهن ـ وتصوّرن بأنهن قد حملن من الجنود، في حين أن الأمر لم يكن كذلك إذ صرّح الأطباء الذين تولوا الاشراف على حالتهن الصحية بأن هذه النسوة تعرضن لصعقات نفسية أدت إلى تجميد عمل المبيض سواء على صعيد توليد البويضات أم على صعيد انقطاع الحيض[1].

يصير المرء عصبياً وتتسع عروق وجهه ويحمرّ لونه إن وجّهت إليه كلمات بذيئة أو فاحشة، وفي حالة الخوف تتقلص عروقه وتخلو من الدم ويصفرّ لونه.

رؤية المنظر المزعج والمقزز تتسبب أحياناً في التقيّؤ أو الاضطراب وانقباض المثانة بل ويشعر بالادرار حتى لو لم يمض على خروجه من الخلاء إلاّ دقائق. ثم ما أكثر الذين لم يُرزقوا بمولود رغم مضي سنوات على زواجهم وبمجرد اقدامهم على تبني أحد الأطفال تحمل الزوجة من زوجها والسبب في ذلك أن حالة الاضطراب النفسي الناجمة عن عدم الانجاب قد أزيلت بفعل التبني وباتت أجهزة الزوجين تؤدي عملها بشكل طبيعي.

على كل حال، يزداد الكولسترول في الجسم عند الاضطراب والشعور بالخوف مما يتسبب في عدم انتظام الغدد في افرازاتها وهذه الحالة تنعكس تماماً في المرأة الحامل على الجنين وعمل غدده.

إن طلبة المراحل الأولى من فروع العلوم الطبيعية ليعلمون ماذا يسبب العمل غير المنتظم لغدد الجنين من اختلالات في هذا الموجود الجديد وبناء أعضائه. لكن حتى المرأة الأمية المصابة بالسكّر تعرف أن

---

(١) «حوار طبيب مع سيدات» للدكتور صموئيل زينورميغر اخصائي النساء والتوليد في أميركا.

نسبة السكر في دمها تعود إلى الحالة الطبيعية عند الحمل إذ توجد صلة بين عمل غددها وعمل غدد جنينها والأنسولين المفرز من عنق معدة الجنين يعوّض قلة هذه المادة فيها.

على هذا، تعود أجهزة الرجل أو المرأة والتي تعمل بإيعازات من الدماغ إلى أداء دورها بصورة منتظمة بعد مدة من حصول الاضطراب أو مرورهما بحالة عصبية أما الأمر بالنسبة للمرأة الحامل ليس كذلك ولذا يمكن هنا الإشارة مرة أخرى إلى عنوان الفصل السابق والقول بأنه في مقابل الزوجة الحامل هناك زوج مسؤول وينهض بالحمل.. رجل عليه أن يعلم بأن زوجته في فترة الحمل مثلها مثل الجندي الذي تبرّع بكل ثروته في سبيل الله قبل أن يرد ساحة الاستشهاد وبعد أن قضى أيامه صائماً ولياليه قائماً.. الرجل الذي يعرف بأن إثارة هذا الجندي أو التقتير عليه بالغذاء سيؤدّي إلى استشهاده وسيكون هو القاتل! القاتل الذي جعله الرسول ﷺ هو المسؤول والمعيل للمقتول؛ الذي قام ليله وصام نهاره وجاهد في نفسه وحمل ولده.

قيل أن أرملة اشتكت ابنها الوحيد لرئيس الشرطة في غير مرّة فنصحه فلم تُجد معه النصيحة، ثم مارس معه التهديد فلم ينفع معه ذلك... في نفس الوقت ترجو الأم دوماً من رئيس الشرطة بأن يتجنب ضرب أو جرح ابنها.

ذات يوم جاءته الأم وأخبرته بأن ابنها ضربها في خاصرتها وكاد نفسها أن ينقطع فاندفع رئيس الشرطة من مكانه وأتى بالابن وربط على بطنه وعاء من الفخار بحجم رحم امرأة متوسطة الهيكل ومهره بالشمع وقال له: لتبق على هذا الحال تسعة أشهر وتسعة أيام ولا تحرك الوعاء من مكانه، فقبل الابن أن يفعل ذلك.

ثم إن الابن رجع البيت وهو يحسّ بضيق النّفس؛ ذهب إلى الخلاء وأراد الجلوس فصعب عليه ذلك وعند الأكل واجه صعوبة في التنفس وهكذا.

فعاد إلى رئيس الشرطة وقال له: لقد أدركت ما أردت تفهيمه إياي، ففتح رئيس الشرطة وعاء الفخار من على بطنه وعاد الابن ليعيش حياة أفضل مع أمّه.

لقد عرف الابن أن رئيس الشرطة أراده أن يشعر عملياً بأن الأم حملته تسعة أشهر وتسعة أيام وتحمّلت في ذلك آلاماً وصعاباً... وبذلك كانت النصيحة مؤثرة.

هنا لا بد من تذكير الزوج أيضاً بأن الله سبحانه وتعالى أودع بيدك عبداً صائماً قائماً مجاهداً بماله ونفسه فانظر ماذا تفعل وكيف تتعامل معه؟ لقد وقفت عزيزي القارىء على نتيجة سوء التغذية وسوء التعامل وسوء المعاشرة وأثرها على الأطفال بما في ذلك أشكالهم وسيماهم، ثم الآثار المترتبة على قناعة الزوجين الآخرين بالحياة البسيطة والمعاشرة الحسنة بينهما حيث رزقا بمولودين حسني المنظر.

ما ذكرته من مصاديق حول تأثير الخلافات العائلية والأخلاق المذمومة على روحية وهيئة المولود والعكس بالعكس، إنما هي منقولة من مجلة «حوار طبيب مع سيدات»، لكنني أقول مجدداً بأن تناول الحامل لأغذية من صنع الفاجر والفاسق سيترك أثراً خاصاً على المولود وحتى لو لم تكن تعلم أنه من صنعهما فإنه لن يكون دون أثر.

وبعد ذلك كله لا بدّ من التذكير بمسؤولية الرجل واخصائي النساء والتوليد والقابلات والممرضات العاملات في قسم التوليد ازاء الحامل وما ينبغي لهم مراعاته بشأنها.

الغيرة

من الضرورة بمكان الالتفات إلى أن المباشرة الجنسية مهمة من بعدين..

بدون المباشرة تتوقف عجلة الحياة وبها تدوم، إن حصلت في ظروف سليمة وصحيحة فثمرتها ولد صالح والعكس بالعكس.

الأشياء لا توجد من ذاتها بذاتها، والحياة سبب في ديمومة الحياة ولا شيء خلق اللحظة[1].. نفس الحياة ليست موجبة للتكاثر والحفاظ على الأولاد والتوليد هو الذي يجعل الحياة خالدة، من هذا المفهوم كانت المباشرة مهمة حيث بدونها تتوقف عجلة الحياة عن الاستمرارية.

هناك نوع من البعوض عمره يوم واحد فقط! وظيفته في الحياة نقل الحياة!.. يولد في الليل فيطير ويلقح الأنثى من نوعه ثم يموت مباشرة وتبقى الأنثى لتضع البيوض قبل طلوع الشمس ثم تموت.

نوع من الحشرات يدعى «الصحن الطائر» يقوم الذكر فيها بفقس بيضة الأنثى ويلقحها من مكان التفقيس ويموت ولا يستغرق ذلك كله سوى دقيقة واحدة، أما الأنثى فبعد أن تضع البيوض مباشرة تموت في

---

(١) علماً أن هذه الفرضية مثارة اليوم ولها أنصارها.

عنق الحفرة التي تضع فيها البيوض.

ولذا فكثير من المخلوقات يكون التزاوج فيها واستمرار الحياة هو السبب في خلقها.

إن طريق الإنسانية مفتوح أمام الإنسان إلى اللانهاية وهنا يقول عزّ من قائل بأنه خلق الإنسان ليكون «مثَلُه» ولا بد للمرء البقاء على هذه الحالة ليديم اتصاله باللانهاية عبر إدامة الصلاة ومعنى العبودية له جلّ وعلا.

ينبغي أن لا تكون المحبة من جانب واحد بحيث يخلق الله جلّ جلاله الإنسان ليكون «مثَلهُ» ولا يحرص الإنسان على أن يكون بمستوى العناية الربانية له ولا يكون مصداقاً للمثَل.. ينبغي التخلّق بأخلاق الله تعالى، إذا كان الله عالماً فالإنسان عليه أن يتصف بالعلم، وإن كان الله تعالى قادراً فعلى الإنسان أن يكون ذا قدرة وهكذا. إن الإنسان لا يمكن حصره في بعد غير متناهٍ، فالعلم مثلاً سحب الإنسان إليه وقال بأن علم الإنسان هو السبب الوحيد لحياته فيما الفطرة اعتبرت المنفعة هي علة الحياة.

إن المباشرة لدى الإنسان ليست علة حياته كما قيل في باقي الموجودات لكن الإنسان في نفس الوقت مؤلف من جسم وروح، من ظاهر وباطن، يعمل كالماكنة وينشد هدفاً، نصفه من تراب ونصفه من عالم الغيب ولذا لا مناص في إطار نقل الحياة وتحويلها إلى آخرين من نقل الصفتين والقسمين الحيواني والملكوتي على حدٍّ سواء. إن الإنسان اختار لنفسه سكناً على مكان ـ الأرض ـ هو في الواقع محل لسكنى الحيوانات لا الملائكة ولذا فالإنسان الذي نصفه حيوان ونصفه الآخر مَلَك يستطيع أن يكون حيواناً بسهولة فيما يصعب عليه أن يكون ملَكاً.

ومن أجل أن لا يتبدد ويضيع القسم الملكوتي أثناء نقله للأولاد من جهة وكون المرأة لا يحق لها التزوّج من شخصين في آن واحد من جهة ثانية، يبرز في الإنسان احساس ضروري أكيد أطلق عليه اسم «الغيرة» وسمّي المتجرّد عن هذا الاحساس لقب «منكوس القلب» أي عديم الغيرة.

إن ذلك البعوض وتلك الصحون الطائرة وكثير من الأحياء التي يعدّ الجماع والتلقيح فيها سبب خلقها ينبغي منحها البعدين.. ينبغي العثور على سبب خلق كل نوع من الأحياء أو على الصفة الغالبة فيه وخاصة الإنسان إذ من الضرورة بمكان دراسة كافة الجوانب اللامتناهية لهذا الموجود حتى يمكن تشخيص وترتيب صفاته وخصائصه التي هي سبب خلقه وحياته حسب أهميتها.

يشكل كل من تلك الصفات والخصائص، ومنها المباشرة، وبنسبة معينة سبباً في خلق الإنسان كما أن كلاً منها يحمل اسماً معيناً. وإذا كانت الخصيصة المسماة بـ «الغيرة» تمثل كل وجود تلك البعوضة وذلك الصحن الطائر فإنها ترتبط بالأفعال الجنسية وكل ما هو مبعث على الخجل بالنسبة للإنسان؛ فمن يمكنه الاستعاضة عن فراش زوجته وتكون عورتها عرضة للأجنبي فهو «منكوس القلب»، وبعبارة أخرى إن جزءاً من هيكل المخلوق والذي هو وسيلة حياة البعوض والصحن الطائر وبقائهما يكون لدى الإنسان وسيلة لتمتع وبقاء إنسان آخر.

الملفت للنظر أن الإسلام يطلق على هذا الشخص لقب «منكوس القلب» حتى يقطع الطريق على البحث عن صفة أو خصيصة أخرى تكون ميزة لحياته تجعله مقبولاً عند الناس.

لقد لاحظتم أن الجماع يكون السبب الوحيد لبقاء بعض

المخلوقات، والأمر ذاته ينطبق على الإنسان ولذا حينما ننظر لخلق آدم عليه السلام في القرآن الكريم نجد الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين**﴾[1] ويقول جلّ وعلا في مكان آخر ﴿**وعلّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين.. وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس**﴾[2].

إن الأكل من الشجرة وتجلّي العورة للنظر بعد جماعهما وما يحملانه من علم وغير ذلك أدّى إلى وصف الإنسان بأنه الموجود الوحيد الذي له القدرة على العصيان ومخالفة الأمر والنهي الإلهي.. يمكن أن يكون الأكل من الشجرة المنهيّ عنها سبب حياة وبقاء الإنسان كما يقوله البعض وللأسف أن «فرويد» يعرّف الإنسان بالعورة مجرّداً إيّاه من إنسانيته.

فسّر أرباب التفسير الآية الشريفة الواردة بشأن آل فرعون ﴿.. **ويذبّحون أبناءكم ويستحيون نساءكم**..﴾[3]، على ثلاثة أوجه الأول أنه كان يقطع رؤوس الذكور بمجرد رؤيتهم نور الحياة ويدع الإناث، إن عدم قتل البنات هو موضوع قائم بذاته ويحتاج إلى تأمّل، هذا فضلاً عن أن فرعون لم يكن ليستحق نقل مفردة «إحياء» بشأنه في القرآن الكريم. أما الوجه الثاني الذي ذهب إليه فريق آخر من المفسرين فهو منع الذكور عن العمل واجبار البنات على مزاولته. وآل الوجه الثالث إلى القول بأنه كان يقتل الذكور «معنوياً» من خلال سلب الحياء من الأناث. وبما أنه يمكن قبول الكلمتين «الحياة» و «الحياء» معاً فإننا

---

(١) سورة الحجر: الآية، ٢٩.
(٢) سورة البقرة: الآيات، ٣١ ـ ٣٤.
(٣) سورة إبراهيم: الآية، ٦.

نقول: ربما عنى القرآن المجيد أن فرعون كان يستغل ويستخدم الإناث لأعمال تشيع الفاحشة وتسلب منهن الحياء إلى جانب الاقدام على قتل الذكور. على أي حال حينما ينص القرآن الكريم على ﴿**من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً**﴾[1] تترسخ أكثر فرضية قتل الذكور عن طريق الاناث وأفعالهن.

لكن الظريف أن خوف القوى من الدين يخلق حالة تتصف بزوال نوعية الذكور وتلاشيها في خضم أعداد الاناث الهائلة، ولكي يمكن التغلب على هذه الحالة لا بد من أن يكون للرجال «الغيرة» وللنساء «الحسد»، وقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «ليس الغيرة إلاّ للرجالِ فأمّا النساء فإنما ذلك منهنّ حسد...»[2].

حينما يقال بأن الرجل يسخِّر والمرأة تُسخَّر ـ كما برهنت ذلك في المجلدين التاسع عشر والعشرين وشرحت آلية ذلك فيهما ـ فلا ينبغي لأحد أن يسأل لماذا لا يمكن للمرأة أن يسخّرها شخص آخر في حين يمكن للفاعل تسخير أخريات في نفس الوقت.

الإسلام الحنيف أولى هذا الموضوع أهمية خاصة، فلو قال شخص لآخر أنت ديّوث فإنه يستحق إقامة الحد عليه فضلاً عن كونه ارتكب المعصية، أما لو قال له أنت كذا يكون قد ارتكب المعصية فقط ولا يستحق الجلد، فهي تطلق على من لا يتخوّف ولا يبالي من رؤية أو بقاء زوجته مع آخرين..

ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «كان أبي إبراهيم عليه السلام غيوراً وأنا أغيَر منه، وأرغم الله أنف من لا يغار من المؤمنين»[3].

---

(١) سورة الروم: الآية، ٣٢.

(٢) وسائل الشيعة ـ ج (٢٠) باب (٧٧) ـ ص (١٥٢).

(٣) وسائل الشيعة ـ ج (٢٠) ـ باب وجوب الغيرة على الرجال.

وقال الإمام علي عليه السلام : «إن الله يغار للمؤمن فليغر، ومن لا يغار فإنه منكوس القلب»[1]، وهذه الغيرة من الله جلّ وعلا إنما لكون المسلمين هم فقراء إلى الله والفقراء يعتبرون من العيال.

روي أن رجلاً جاء لأبي عبدالله الصادق عليه السلام وذكر امرأته عنده فأحسن الثناء عليها.

فقال له الإمام الصادق عليه السلام : أغرتها؟.

قال: لا.

قال عليه السلام : فأغرها.

فأغارها فثبتت، فقال لأبي عبدالله عليه السلام : إني قد أغرتها فثبتت.

فقال عليه السلام : هي كما تقول[2].

على أن هذا لا يعني بالضرورة أن يجري تعميم هذا الأمر في كل الأحوال ويقدم كل واحد على امتحان واختبار زوجته أين ما كان ووقت ما أراد ليعلم إن كانت بخيلة أم حسودة أم صادقة... إن كل إنسان يظهر ماهيته ومعدنه من خلال سيرته في الحياة. لقد ذكرت في المجلد السابق موضوع تعدد الزوجات وأشرت إلى أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لم يحتج إلى امرأة أخرى طالما كانت خديجة عليها السلام على قيد الحياة وكذا هو الحال بالنسبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مع سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام والأمر ذاته بشأن الإمام الصادق عليه السلام مع أم فروة.. إن اختبار هؤلاء العظام لأزواجهم لم يكن ضرورياً مطلقاً،

---

(١) وسائل الشيعة ـ ج (٢٠) ـ باب عدم جواز التغاير في غير محله وتركه عند ظهور العيب.

(٢) الكافي ـ ج (٥) ـ ص (٥٠٥) ـ ح (٥).

وإن أوصى الإمام الصادق عليه السلام هذا الرجل باختبار زوجته فربما بسبب النقاط التي أثارها الرجل، والسائل عادة يسمع جواباً يتناسب مع سؤاله.

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الجنّة ليوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجدها عاق ولا ديّوث. قيل: يا رسول الله، وما الديّوث؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: الذي تزني امرأته وهو يعلم بها»[1].

ويفصح إمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام عن ماهية الغيرة لدى الجنسين من بني البشر، إذ يقول: «غيرة المرأة كفر وغيرة الرجل إيمان»[2].

ولمعرفة منزلة خصلة الغيرة عند الله سبحانه وتعالى نقرأ معاً الرواية التالية: عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «أتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأسارى فأمر بقتلهم وخلّى رجلاً من بينهم. فقال الرجل: كيف أطلقت عني؟ فقال: أخبرني جبرائيل عن الله أن فيك خمس خصال يحبّها الله ورسوله: الغيرة الشديدة على حرمك، والسخاء، وحسن الخلق، وصدق اللسان، والشجاعة. فلمّا سمعها الرجل وحسن إسلامه وقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ حتى استشهد»[3].

وهي من صفات الله جلّ وعلا حيث يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله غيور يحبّ كل غيور، ومن غيرته حرّم الفواحش ظاهرها وباطنها»[4].

---

(١) من لا يحضره الفقيه ـ ج (٣) ـ ص (٢٨١) ـ ح (١٣٤٣).
(٢) وسائل الشيعة ـ ج (٢٠) ـ باب عدم جواز الغيرة في النساء.
(٣) الخصال ـ ص (٢٨٢) ـ ح (٢٨).
(٤) الكافي ـ ج (٥) ـ ص (٥٣٥) ـ ح (١).

وعنه عليه السلام قال: إذا أغير الرجل في أهله أو بعض مناكحه في مملوكه فلم يغر ولم يغير بعث الله إليه طائراً يقال له: القفندر ـ القبيح المنظر ـ حتى يسقط على عارضة بابه ثم يمهله أربعين يوماً ثم يهتف به: إن الله غيور يحب كل غيور فإن هو غار وغيّر ـ وأنكر ذلك ـ وإلاّ طار حتى يسقط على رأسه فيخفق بجناحيه ثم يطير عنه، فينزع الله بعد ذلك من روح الإيمان وتسمّيه الملائكة الديّوث»[1].

وكذلك عن الإمام الصادق عليه السلام قال: إن شيطاناً يقال له «القفندر» إذا ضرب في منزل الرجل أربعين صباحاً بالبربط ـ آلة من آلات اللهو ـ ودخل عليه الرجال وضع ذلك الشيطان كلّ عضو منه على مثله من صاحب البيت ثم نفخ فيه نفخة فلا يغار بعد هذا حتّى تؤتى نساؤه فلا يغار»[2].

لا ينبغي للزوجة أن تتمرد على الزوج إن منعها من كثرة التردد والخروج من البيت حفاظاً على ناموسه وغيرة على عياله، وفي ذلك يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله كتب على الرجال الجهاد وعلى النساء الجهاد، فجهاد الرجل أن يبذل ماله ودمه حتى يقتل في سبيل الله، وجهاد المرأة أن تصبر على ما ترى من أذى زوجها وغيرته»[3].

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «الغيرة من الإيمان والبذاء من الشفاء»[4].

وعن حيس اليماني أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إن الله...

---

(١) وسائل الشيعة ج (٢٠) ـ باب وجوب الغيرة على الرجال.
(٢) الكافي ـ ج (٥) ـ ص (٥٣٦) ـ ح (٥).
(٣) من لا يحضره الفقيه ـ ج (٣) ـ ص (٢٧٧) ـ ح (١٣١٧).
(٤) ميزان الحكمة ـ ج(٧) ـ باب الغيرة.

تعالى لا يقبل من الصغور يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً» قلنا: يا رسول الله، وما الصغور؟.

قال ﷺ: «الذي يدخل على أهله الرجال»[1].

وفي رواية أخرى، قال الرسول الأكرم ﷺ: «لا يدخل الجنة عاق ولا منّان ولا ديُّوث... الذي يجلب على حليلته الرجال»[2].

وعنه ﷺ: «كتب الله الجهاد على الرجال والغيرة على النساء فمن صبر منهم واحتسبَ أعطاه الله أجر شهيد»[3].

---

(١) مستدرك الوسائل ـ باب (٥٨) ـ ص (٢٣٥).
(٢) مستدرك الوسائل ـ ج (١٤) ـ باب (١٠٣) ـ ص (٢٩١).
(٣) بحار الأنوار ـ ج (١٠٣) ـ باب (٤) ـ ص (٢٥٠).

الحياء

لكل من الرجل والمرأة قوى ذاتية بعضها يمنعهما من القيام بسلسلة من الأعمال وتسمى «قوى دافعة» وبعضها الآخر تعمل عمل «المغناطيس» بحيث يكون الأمر كما يقول المثل «كل ما يفعل الحبيب محبوب».

من القوى الدافعة المكنونة في الرجل والمرأة هي «الحياء»، وهذه القوة فاعلة سواء كانت على صعيد العلاقة بين الجنسين أم بين الرجل وبين جنسه من الذكور أو المرأة وأقرانها.

كما يعتبر الحياء واحداً من القوى التي تقف بوجه الشيطان وحيله ومكائده.

إن لكل من الدين والمدرسة الخلاعية وجهة نظر خاصة به حول الحياء، فإن عمد «فرويد» إلى رفع قدر الآلات التناسلية لتكون ـ حسب رأيه ـ القوة المحركة للتاريخ فالدين ولا سيما الإسلام الحنيف احترام الآلات التناسلية إلى الحدّ الذي أخبر القرآن الكريم بسترها بورق الجنة ﴿**فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة**﴾[1].

---

(١) سورة طه: الآية، ١٢١.

على كل حال، يحول الحياء دون قيام المرء بأعمال قبيحة وارتكاب الفحشاء ومن لا يتورع عن فعل القبيح وارتكاب الفحشاء يقال له «عديم الحياء»، ولقد قيل «لم يبق من أمثال الأنبياء إلاّ قول الناس: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»[1].

وقد ورد في الرواية عن المعصوم عليه السلام: «الحياء والإيمان مقرونان في قرن، فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه»[2] بل وإن «لا إيمان لمن لا حياء له»[3].

وتبييناً لمنزلة وأهمية الحياء لدى الأنثى، قال الإمام الصادق عليه السلام: «الحياء عشرة أجزاء فتسعة في النساء وواحد في الرجال»[4].

تمتلك الأنثى قبل أن تحيض تسعة أقسام من الحياء، فإن حاضت فقدت واحداً من تلك الأقسام وإن عُقدت للزواج ذهب آخر ثم يزول قسم ثالث عند أول مباشرة مع الزوج فإن ولدت مولودها الأول تبدد الرابع وبقي لها خمسة أقسام تمنعها من الزنا فإن ارتكبته ـ والعياذ بالله فقدت هذه الأقسام الخمسة أيضاً.

---

(١) بحار الأنوار ـ ج (٧١) ـ ص (٣٧٧).
(٢) ميزان الحكمة ـ ج (٢) ـ باب الحياء ـ ص (٥٦٥).
(٣) بحار الأنوار ـ ج (٧١) ـ ص (٣٧١).
(٤) ميزان الحكمة ـ ج (٢) ـ باب الحياء ـ ص (٥٧٠).

الاستمناء

المولود.. كل شيء فيه تلقائي، كما هو حال سائر المخلوقات.

حتى الرضاعة.. تدرّب على المص وهو في رحم أمّه إذ كان يمص اصبعه وهو ليس بحاجة لذلك، لكنه اليوم بحاجة إلى أن يمصّ ثدي أمه الحنونة ليرتوي من لبنها.

فإذا بلغ السنة الثالثة صار يتعرف على الأشياء بالتدريج لكنه ليس يميّز بين الشيئين، فطفل المفلس وطفل رئيس الجمهورية يريان العالم برمّته ملك لهما وهما كل شيء في هذه الدنيا، هذا إلى جانب احساسهما بالحاجة للأم والأب..

فإن شبّا أدركا الفرق بينهما وشعر كل منهما بامتلاكه لطاقة وقوى خاصة، وإن شارفا على الأربعين امتازا بحسن التمييز وكلّما ازدادت معرفتهما أدركا صغرهما وضآلة فهمهما وهكذا حتى يعرفا أنهما لا شيء، ومن ذلك يفهما مدى عظمة الخالق جلّ وعلا.

إن الإسلام الحنيف أراد تبلور هذا الشعور للبنت وهي في التاسعة من عمرها وللابن وهو في الخامسة عشرة، ومن هنا جاء شعار «الله أكبر».

وإنه لمن نافلة القول الإشارة هنا إلى أن أثر البيئة على الإنسان

ينقسم إلى قسمين الأول بايولوجي ويتعلق بتركيبة المرء والآخر جغرافي يتعلق بالوسط الذي يعيش فيه ولكليهما تأثيره. .

إن العلماء مهما يصرون على وجود آثار إيجابية للاستمناء في الأسبوع أو الشهر مرة، فإن المسلم الذي أخبره إسلامه ونبيّه ﷺ بحرمته ليس على استعداد لأن يكون هو الفاعل وهو المفعول ولا حتى لمرة واحدة. واذكر أني أوردت ستة عشر ضرراً يترتب على الاستمناء في مجلد «المقدمة على تصرفات أبي بكر» ولقد أظهر أحد الأطباء الاخصائيين تعجبه من اثنين من تلك الأضرار وأنه لم يكن يعلم بها من قبل.

لقد قيل بأن امكانية الاستمناء تبدأ عند الذكر في سن البلوغ تقريباً وتستمر حتى بلوغه الحادي والعشرين من عمره أي نهاية دورة البلوغ، وهذه العملية تأخذ عدّاً تصاعدياً خلال الفترة المذكورة حتى تصل إلى عشرة مرات يومياً لدى البعض، أما لدى الأناث فهي تبدأ في سن الخامسة عشرة ويلاحظ قلة استخدامها لديهن مقارنة بالذكور حيث يبلغ الحد الأقصى لاستعمال الاستمناء بينهن عشر مرات خلال الأسبوع.

ولعدم وجود المفعول به، يلجأ الفاعل أثناء الاستمناء إلى خلق صورة في الخيال تحكي حالة من الحالات التي تثير الشهوة ومنها الجماع مع شخص آخر وقد يشطح به الخيال إلى وجود المفعول به فيضغط بآلته لحين الانزال. . وما قيل في هذا المجال أيضاً أن يقوم أحدهم بملاعبة آلة الآخر الذي يبادله نفس الفعل أو أن يفعل ذلك أشخاص متعددون في آن واحدة، على أن فعل أغلبهم لا يخلو من التخيل والأنكى من ذلك أن يقوم بعض الأشخاص لا سيما المصابين

بالشذوذ الجنسي بوضع اصبعه أو شيء في خاتمه أثناء العملية المحرمة.

واستعمال الأشياء لدى الأناث أكثر إذ يضعن الشيء في المجرى البولي..

ولو حيل دون الانزال في عملية الاستمناء فإن ذلك سيتسبب ـ كما يقال ـ في امتلاء الآلة التناسلية بالدم مما يعجل اصابة الشخص بالالتهابات لا سيما البروستات.

مرة أخرى، أوصيكم بقراءة الموضوع المتعلق بالاستمناء وإذا لم يتسع وقتكم لذلك وكنتم على صلة بالدين فاعلموا أنه لا وجود لمذهب يعتبر المعصية مباحة إن كانت لمرة واحدة ومحرمة إذا تعددت، كأن يقول: الاستمناء في الأسبوع مرّة حلال أو مخاصمة الأب في الشهر مرة جائزة أو لعب القمار أو شرب الخمر أو السرقة لا إشكال فيها إن كانت في السنة مرّة..

ليس من مذهب يقول بذلك.

أسلوب التعامل مع الزوجة

صح ما يقال من أن اليابان تضع منهجاً لتعليم الأناث كيفية التعامل مع الزوج، إذ لا بد لتلميذات الابتدائية والثانوية أن تدرس مادة «كيف تتعاملين مع الزوج» وتمتحن فيها حيث تخضع هذه المادة كسائر المواد الدراسية لقانون النجاح والرسوب، وربما كان ذلك هو السبب في أن تعرف المرأة اليابانية بأنها فريدة من نوعها بين نساء المجتمعات الأخرى في هذا المجال.

وفي المقابل، لم يسبق الإسلام الحنيف دين أو مذهب في وضع منهجية لكيفية التعامل مع المرأة إذ كان هو المبادر الأول لذلك وقبل أربعة عشر قرناً.

حينما كنت في السنة الرابعة من كلية الطب، اطلعت على أمر لا أنساه..

في ذلك الوقت، كان المريض المحتضر ينقل إلى غرفة معزولة تسمّى «الانفرادي» ومكتوب على بابها «العيادة ممنوعة» وبعد أن توافيه المنيّة يتم نقله إلى المسجد؛ والمسجد هو غرفة صغيرة مظلمة قريبة من الباب الفرعي للمستشفى والمستخدم لاخراج أو ادخال الأشياء بعيداً

عن أعين الناس وفي مقدمة ذلك اخراج أجساد الموتى عبره دون ضجيج! لكن هذه الغرفة المسمّاة بـ«المسجد» هي أوسخ نقطة في المستشفى حينها ـ في زمان العهد البائد ـ مما يعكس حالة اللامبالاة التي كانت سائدة اتجاه كل ما يمت للإسلام والدين بصلة.

على كل حال، ينقل المتوفى من المسجد إلى المقبرة.. مثلما حصل للقرآن الكريم في عصرنا إذ حذف من حياة المجتمع وحصر في المقابر... والأمر اليوم يطال الأئمة والمعصومين عليهم السلام إذ لدينا جنة الزهراء عليها السلام وجنة الحسين عليه السلام وجنة الرضا عليه السلام وغيرها.

استناداً للمعلومات التي كنت أحملها، وهي أقل مما لدي اليوم منها، أقدم على فتح أزرار قميص المحتضر ورفع الوسادة من تحت رأسه والغطاء عنه وغير ذلك مما هو جزء من الأوامر والوصايا الإسلامية الأمر الذي جعلني في معرض سخرية الآخرين، وهو أمر طبيعي حيث الاستهزاء بالأنبياء عليهم السلام ديدن من لا الإيمان له ﴿**يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلاّ كانوا به يستهزئون**﴾[1] ومن يتأسى بهم وبأفعالهم معرض للاستهزاء أيضاً من قبل عديمي الإيمان... بيد أنه لم يمض وقت طويل حتى ارتفعت الأصوات بالاحتجاج فخُصِّص درس جديد في الجامعات كما خصص له مقعد في بعض كبريات الكليات في العالم، هذا الدرس خاص بكيفية «التعامل مع المحتضر»، وعلى نفس المنوال لن يمضي وقت طويل على وضع دروس في التعامل مع الزوج حتى تَؤسَّس دروس لكيفية التعامل مع الزوجة ومن الممكن جداً اقرار نظام لأسلوب التعامل مع المرأة ولا يؤخر تفعيل هذا الأمر سوى الشعور السائد بعلوّ مرتبة الرجل على المرأة فلو أرادت النساء تشكيل

---

(١) سورة يس: الآية، ٣٠.

جمعية تنادي بحقوقهن فإن الرجال يرون لأنفسهم الحق بمنع الجمعية من رفع لافتة باسمها.

لقد أشار القرآن الكريم مراراً وقبل أربعة عشر قرناً إلى مبدأ عام في القرآن الكريم ﴿**ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف**﴾[1]، وشرح مفاهيم الآية الشريفة مدرج في المجلدات السابقة، ومن تلك المفاهيم أنه: أيها المسلمون... انكحوا النساء على ما أمر به الله تعالى واحذروا من أن تتعاملوا معهن بما يخالف حكم الله تعالى وتضيعوا حقاً من حقوقهن.

إن عدم الالتزام بالمنهج الذي أقرّه سبحانه وتعالى بشأن التعامل مع الزوجة يعد في الواقع مضيعة للأولاد ويتحمل الرجل جزءاً كبيراً من هذا الأمر.. ومثلما قلت للمرأة بأن التعايش مع خصائص وطباع الزوج أسهل من التذمّر والتمرّد عليها الأمر الذي قد ينتج عنه العنف فإنه ينبغي للرّجل تحمّل طباع الزوجة ويعرف أن ذلك أسهل من تسفيه بعض خصالها والتذمّر عليها وذلك قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «إنما مثل المرأة مثل الضلع المعوج إن أقمته كسرته...»[2].

نعم، ستكسر الضلع وستحطم شخصية المرأة التي هي وعاء الأولاد وبذلك ستساهم في توجيه الظلم للأولاد وشاركت في افسادهم. إن الزوج لديه كل ما تنشده المرأة؛ المرأة التي شيّدت ماضيها في بيت والديها وكرست مستقبلها لمطالبيه، ولذا فلا تجعل

---

(١) سورة البقرة: الآية، ٢٢٨.

(٢) وسائل الشيعة ـ ج (٢٠) ـ باب استحباب خدمة المرأة زوجها في البيت ـ ص (١٧٣).

أيامها تعيسة وهي إلى جانبك وإلا كمَن التقصير في النواحي الجنسية والاجتماعية أو سلبها صلاحياتها أو نزعها من ماضيها للطفل إذ ستعكس ذلك الاجحاف في تعاملها مع الطفل وتنزل على هامها غضبها.

في عصمتك زوجة عزلاء لا تملك ما يحميها وتضع في نفس الوقت بيدها أطفالاً عزّلاً أبرياء، فإن لم تتورع أنت عن ظلمها وأذيّتها فاعلم إنها، إن لم تكن تتحلّى بالإيمان، لن تتورع أيضاً عن التقصير بحق الأطفال الأبرياء بل وينبثق تصرفها معهم من تلك الأماني غير المحققة ومن ذلك التمرّد والتذمّر الذي واجهته من زوجها وتجمّد مفعول تضحيات الأمومة التي تحل عادة محلّ الآلام والأضرار التي يسببها الزوج لها وللعائلة... إن الأم التي تصفع ابنها بسبب سقوط حبيبات الأرز من يده على الأرض لم تكن لتلامس بيدها وجه ابنها فيما لو سمعت قبل ساعات أو حتى قبل يوم كلمات عذبة من زوجها، لن تفعل ذلك حتّى لو هشّم إناءً غالي الثمن. وفي الحقيقة إن هذه الصفعة لم توجهها الأم للطفل بل وجهتها لزوجها ولنفسها ولحياتها، وبعبارة أخرى إنها لجأت للانتقام.. لكن عاطفة الأمومة لا يمكن كتمانها فنفس هذه الأم سرعان ما تنفجر عينيها بالدموع أو تطلق لسانها لينال من الزوج أو تلطم على وجنتيها وكل ذلك لتنتقم من نفسها على ضرب ابنها. وفي الوقت ذاته تقدم على صفع ابنها مرة أخرى في موقع آخر إذا ما تذكّرت إضاعة زوجها لحقها وتكرر الأمر يجعل الطفل يضجر من جنس الاناث وقد يتجنب الزواج حتى لو بلغ الأربعين من عمره أو يمتطي في شبابه جادة الانحراف وهنا لا بد من الإشارة إلى أن أبناء الآباء المتزمتين والمستخدمين للعصا غالباً ما ينحرفون عن الطريق القويم فضلاً عن ترك الزواج.

ربما يتحلى الزوج بمستوى من الفهم فيلتفت إلى معنى الضرب الذي يتعرض له الولد من الأم وينتبه للأمر عند مطالعته لهذا الكتاب، ومثل هذا النموذج من الرجال لا يقابل ولا يعالج صور انعدام الإيمان بتصرف لا إيماني لأن وعيه لا يسمح له بإيجاد طوق غليظ حول حياة العائلة يستحيل كسره. النموذج الآخر يسيء إلى زوجته فتنتقم هي من ولدِها فيعاود هو اساءته لها وهكذا دواليك والشيطان في وسطهم يوسع نطاق الدائرة ويحكم طوقه على الوالدين اللذين يتسببان معاً في ضياع الأولاد، مع الإقرار بأن الأب يتحمل القسم الأكبر من هذا الخطأ لكونه البادىء بالظلم.

مَن يعرف بأن القرآن الكريم يقر حقّاً للزوجة ويسمع قول الرسول الأكرم ﷺ وهو يترحم على من يرحم عياله.

ثم لا يبالي بذلك فهل يمكن عدّه من المسلمين؟! لو كان مسلماً بحق لاحترم على الأقل المنطق والقانون الإلهي الذي نبذه وراء ظهره، ولِمَ يُعدّ مسلماً وهو الذي لم يتورع عن الممارسة القبيحة مع زوجته..

وقد أشار رسول الله ﷺ إلى ذلك عند دفنه لسعد بن معاذ.

وأن ضمة القبر قد أخذته لما كان في خلقه سوء مع أهله، رغم أنه عاش مجاهداً، ومات شهيداً، وشيعته الملائكة، ولحده رسول الله ﷺ بيده.

أي أنه كان من أصحاب رسول الله ﷺ ومن المؤمنين بل ولم يكن يرضى هو بما يفعله مع عياله؛ فالنية الحسنة في داخل المرء تشكل الإيمان وترجمة الإيمان على صعيد الواقع ينتج عنها العمل الصالح ومن يحمل في قلبه النية السليمة الصالحة ويظهر منه ما يخالف ذلك فسيتعرض إلى ضغوط نفسية لأن ما يصدر منه يتنافى بصدق مع ما يحب

وما يرغب في تحقيقه من خير للآخرين، بيد أن ذلك لا يمنع من مواجهة جزاء فعله.

يعيش الإنسان حياته بين أمرين؛ بين الجبر والتفويض. مجبور في تقادم الأيام، مجبور على تناول الطعام وكذا هو الوصال إذ فيه حالة من الجبر عجيبة.. تتسلم المرأة بمقتضى عقد النكاح زمام الأمور داخل البيت وتوكل للرجل شؤون العائلة في خارجه وفي الوقت ذاته يود الزوج التدخل في شؤون البيت أكثر مما ترغبه الزوجة من تدخل في شؤون خارج البيت، وعلى كل حال فهما قائدان لمسيرة حياة العائلة ينصب عملهما في بوتقة واحدة .

على الزوج أن يقرّ القيادة للزوجة في البيت وعليها أن تقرّها لزوجها في خارجه إلاّ أن الزوج مثلما يمنح الحق لنفسه في التدخل بشؤون البيت فعليه أن يمنحها الحق إذا ما أرادت الاطلاع على علاقته مع الجنس الآخر خارج البيت.

نظراً لفطرة المرأة فإنها لن تكذّب قول زوجها ما دام يلاطفها ويستخدم معها كلمات معسولة، حتى لو تيقّنت من كذبه أما الرجل فينتفض ويضيق صدراً إذا ما عرف بمخادعة زوجته في حبها له ولذا يتجلّى عقل الزوج ومنطقه من خلال كيفية التعامل مع زوجته التي تتدخل في أموره خارج البيت.

إثارة... حول البكارة

لا ينبغي لرب العائلة التصور بأن على الزوجة تسليم نفسها بيده كلّياً..

إن تمكين المرأة نفسها من زوجها لا يعني الاستسلام ومنحه مطلق الصلاحيات على كيانها، وإن ابتغى الرجل يوماً من الزواج اخضاع الزوجة لحكمه ونفوذه، أو تطلعت هي لحصول ذلك، فليعرف أنه لم يدخل عش الزوجية وإنما حصل على وصال نتيجة الانعزال؛ فالزواج شركة رأس مالها اقتصاد الرجل، وجسد المرأة تبرير لحاجة كل منهما للآخر وخلف باب موصدة يسلّم كل منهما نفسه للآخر ولكن.. لكل راحة، تعب يسبقها.

إن ديمومة الحياة الزوجية تقوم بتبلور المودة والرحمة فيها كما يخبر به القرآن الكريم وتنبثق من هذه الدويلة الثقة والشوق والتعاون والعشق..

أما إذا ألقينا نظرة في ماهية التعامل مع الآخرين عبر الآية الشريفة ﴿**أشداء على الكفار رحماء بينهم**﴾[1] ندرك أن ردّة الفعل التي تظهر من المرء ينبغي أن تتناسب مع نوع الفعل ولذا قيل إن على الرجل اعتبار

---

(١) سورة النساء الآية ٣٤.

الأعمال القبيحة للزوجة بمثابة الكفر وأفعالها الحسنة مصداقاً للإيمان مما يخرجه من قيد الانقياد التام لها.. أحياناً تكون الحياة مفعمة بالمحبة والدلال وأخرى مليئة بالشكاوى والتذمّر... سواءً اغتابت أو كذبت أو تجاهلت فكل ذلك مما يسخط الله تعالى ولا ينبغي للزوج أن يقف موقف المراقب ازاءها.

لكن أسوأ تلك الموارد عدم تمكين المرأة نفسها من زوجها إذ يأمر القرآن الكريم بحالة أشبه ما تكون بالجفاء ﴿**واللاّتي تخافون نشوزهنّ فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن**﴾[1] وذلك بغصن من شجر السواك وبما يولّد لا الحمرة في مكان الضرب ويستوجب دفع الدية.

بيّنت ذلك بالتفصيل في المجلد الحادي والعشرين الذي صدر بالتزامن مع لقاء فني مع إحدى نجمات السينما المعروفات... فحينما سئلت« لماذا تبدين هذه الأيام على غير ما يرام وكئيبة؟» أجابت بالقول: كان زوجي يصفعني في السابق كلما رآني على علاقة حميمة مع رجل غريب لكنه لا يفعل ذلك معي منذ ثلاثة أشهر وأنا واثقة من أن السبب في تغير تصرفاته يعود إلى دخول امرأة أخرى في حياتنا فانشغل بها وبات لا يعتني بي.

إن القرآن الكريم لا يقرّ الضرب إلاّ عند عدم تمكين المرأة نفسها من زوجها، شريطة أن لا يكون الضرب مبرحاً ويكون بالسواك[2].

يعتريني الخجل وأنا أثير موضوع ضرب الزوجة خاصةً وأن الله جلّ وعلا لم يتناوله بأكثر مما ذكرناه، ولن يفارقني الخجل حتى لو

---

(١) سورة النساء الآية ٣٤.

(٢) مجمع البيان في تفسير الآية الرابعة والثلاثين من سورة النساء.

عزوت الضرب في الحياة الزوجية إلى البعد الحيواني في الإنسان لأن ضرب الحيوان في الإسلام يعد جرماً ولقد شرحت ذلك في فصل حماية الحيوانات.

وبالنتيجة يمكن مخاطبة من يرفع يده ـ لا سمح الله ـ لضرب زوجته بالقول: إنك قدّمت في هذه اللحظة قانون الغاب على القانون الإلهي.

الرجل الذي أقر بأن القرآن الكريم كتاب رب العالمين ويعرف بأنه جعل المودة والرحمة ثمرة الزواج، ثم يضرب الزوجة لا يكون قد عمل بما آمن حيث لا يمثل الضرب أياً من أوجه المودة والرحمة. وفضلاً عن النهي الإلهي فإن أيّاً من المجتمعات حتى المتخلف منها لم يصادق على جدواه بل ورفضوه أجمعهم.

من يحمل فكرة ضرب الزوجة في رأسه لا يفكر بتقديم الشكر لزوجته مهما تفانت في خدمته ومراعاته لا سيما أثناء مرضه، ليس هذا فحسب وإنما يبادر إلى القول بأنها قامت بواجبها، لا أكثر.

يدخل الشاب عشّ الزوجية ومعه ماضيه من علاقات وارتباطات في النادي والأصدقاء والوسط الدراسي وبيت والديه فيما تدخل البنت القفص الذهبي وليس لها سوى ما يتعلق ببيت والديها وحتى هذا الماضي تضحي به في سبيل المستقبل الذي يرسم معالمه الزوج عادة، ومن هذا المنطلق نجدهما حينما يلتقيان أن الزوجة لا تسأله عن أفعاله في الماضي أما الزوج يسعى لمعرفة إن كان يربطها شيء بالماضي أم لا، والاطمئنان من أنها أدّت حق الأمانة التي تحملها وهي قادمة من بيت والديها وبذلك استعاد غشاء البكارة أهميته بعد أن فقدها أثر نظرية «براين» المتتبع لأثر «فرويد» واللذان رفعا من شأن الآلة التناسلية

حتى جعلا الدماغ منقاداً لها ـ كما فعل ماركس الذي اعتبر الدماغ منقاداً لتأثيرات البطن ـ بمثابة الأمانة التي أمر الله سبحانه وتعالى بالحفاظ عليها. وأيّ أمانة.. فأهمية الحفاظ على غشاء البكارة لا تنطلق فقط من المحافظة على جسدها ليكون خالصاً لزوجها وإنما تحفظ لنفسها مكانتها التربوية والاجتماعية أمامه، وبعبارة أخرى ثبتت أنها عاشت ماضيها لزوجها ومن أجل أن تكرّس وجودها لبناء كيان سام اسمه «العائلة» وأشخاص مصاديقهم الزوج والأولاد، وما طهارتها إلاّ لهذا السبب.

إن ليلة الزفاف تعد نوعاً من الاختبار للبنت من زاوية حقيقة ماضيها ونمطاً من الاختبار للشاب من زاوية «ماذا سيكون مستقبله وإلى أي مسير سيسلك»، فربّما سقطت البنت في الامتحان وربما..

يضفي سقوط البنت في الامتحان أمام زوج مذعور أجواء خاصة على العائلة غير محمودة وسقوط الشاب فيه يبدد كل الهواجس الأولية وتتسرب الآمال والأماني فالزوجة الشابة تضطر وهي في عنفوان شبابها وغضاضتها لممارسة دور الجدّة في الفراش، ومع استمرار الوضع تبدو أمارات الضجر والملل على الزوجة الشابة يرافقها تضاؤل لشخصية الزوج يصل إلى حد الهزيمة فتعرف والدة العروس تفاصيل الموضوع بسرعة، ومن هنا يبدأ تدخلها في شؤون الحياة الزوجية لابنتها وعريسها.

الرجل كان يتصور غرفة القفص الذهبي أنها ما أن يضع قدمه فيها حتى كأنه دخل جنة زاهية وفردوساً برّاقاً، لكنه فجأة يلتفت إلى أن ذلك كان حلماً وها هو سقط في نار لاهبة وجهنم تلتهم كل شيء.. حاله أقرب ما تكون للافراط والتفريط.

ليست سوى تخيلات. . امتطى طريق العشق والهوى بغية الوصال مع بنت ستكون زوجة لي في المستقبل.

إن البنت تفضل بالزواج مصيرها عن أمّها وأبيها، تفقد موقعها الاجتماعي، تترك خلفها أنسها مع عائلتها وتتجاهل ذكرياتها. . من أجل ماذا؟ من أجل الزوج، الزوج الذي يريد أن يمارس دور السيد عليها! ولكن ماذا سيكون موقفها من جهة وحالهما معاً من جهة أخرى إن لم تأت هي بما يتطلع إليه الزوج وكانت ممن انطلت عليها الأحاييل أو انساقت خلف الأهواء.

إن غشاء البكارة مبعث طمأنينة وثقة الزوجة، وبدونه يرى الزوج أن حليلته قد خُدعت من قبل وأزال غيره رمز عفّتها وقد تحطم هدفه السامي المتمثل بالعروس المستورة.

لطالما بحثت أيها الشاب المتبددة آماله والمتسربة تطلعاته، وفي خضم مشاعرك وأحاسيسك الشبابية عن الخيار الأفضل. . عن نصيبك المنشود لئلا يكون ممن اعترضه لص سرق الأمانة أو غرّر به محتال ورغم ذلك تتجرع اليوم الحسرات والآهات وأنت ترى أنك قد ابتعت ما بيع لغيرك من قبل.

انعدم في معاملتك خيار الغبن وتحولت بهجتك العارمة في غرفة اللقاء والالتقاء إلى مرارة. . من حقك أن تقول أي شيء، بل الإسلام العزيز نفسه يقف إلى جانبك إذ سمح لك أن تعاقب هذه الفتاة وترجعها إلى بيت والديها أو إلى الغرفة التي فقدت فيها بكارتها دافعاً لها نصف مهرها إن دخلت بها ولك أن تعيدها دونما درهم واحد إن لم تدخل بها وفي هذه الحالة تبقى غرفة زفافك تحمل بريق آمالك الزاهية، وستعلم الأم وربما الأب أيضاً بمرور الأيام أين كانت غرفة زفاف ابنتهما. .

كل ما ذكرناه حق أكيد لك..

ولكن..

تعال يا عبد الله، يا بن الدين والقيم، وزن نفسك ووضعك ومن أمرها بيدك.

دع كل ما يقال سوى الحسن منه ﴿**فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه**﴾[1]. زن نفسك وامتحنها فإن آل قلبك للحنوّ على البنت المخدوعة وجرت عاطفتك على الضعفاء النادمين وتعرف في نفسك الخلق السامي والرفيع، فاحفظ لهذه المغلوب على أمرها والمخدوعة سمعتها واحفظ لعائلتها كرامتها جاعلاً ذلك في عين الله تعالى ومن طريق التقرب إلى الله جلّ وعلا هو ما يستلزم تحمّل عبءٍ كبير وثمن باهظ إذ لا مناص لك من تناسي أمانيك العذبة الممتدة لسنوات وأفراحك التي تسرّبت بعد وقوفك عبر لحظات على وضع البنت وحالها.

في مثل هذه الحالة فقط، تستطيع مسامحة البنت والعيش معها.

أما إذا لم تعهد في نفسك العاطفة الاستثنائية وقوة الإيمان المدهشة في تأثيرها وعظمتها ففكر بعرس آخر منفّذاً ما سمح لك به الإسلام الحنيف ولا تقْضِ على نواة سعادتك بسبب هيجان آني وإلاّ.. فإن قبلت هذه الثيّب لتعيش معها تحت سقف واحد تكون ضجيعتك طوال عمرك فاحذر أن تجرح مشاعرها بما فعلت هي قبل لقائك ومسامحتك لها عند غرفة الزفاف. فإقدامك ولو لمرة واحدة على لسعها بتلك الذكرى الموحشة وشهد ولدك المنظر وفهم معنى حديثك فاعلم

---

(١) سورة الزمر الآيتان ١٧، ١٨.

أنه لن يفكر حينها في الاحتمالات التي تواجه الإنسان في حياته ولن يستسيغ بعد ذلك الكثير من الأمور، ومنها لن يفكر بالذهاب إلى المدرسة ولن يقدم مستقبلاً على الزواج ولن يعرف معنى اللذة الجسدية والروحية وهما من مستلزمات الزوجين في اطار العلاقة الإنسانية المتبادلة. أما لو لم يعرف الولد معنى حديثك ولم يلتفت إلى مضمونه فإنه سيدفعه للبحث عن سبب هذا التعامل والكلام الانفعالي الغريب من قبل الأب وهو أمر أضرّ من سابقه لأن الأول عرف حقيقة دون تكدّس العقد في نفسه.

وإذا لم يكن للزوجين ولد بعد، فإن لوم وتأنيب الزوجة على بكارتها الممزقة يعد تبديداً للأجر الذي رجاه الزوج من الله تعالى عندما تغاضى عن ماضيها أو ما فعله من منطلق عاطفي وإنساني. لكن أسوأ الحالات هي التي يأتي فيها التأنيب أثناء فترة الحمل حيث الجنين عضو من أعضاء الأم ويعيش في رحمها ومعنى ذلك أن تذكير المرأة بأنها دخلت «شركة الحياة» وهي خالية الوفاض أو بدون رأس مال يذكر، سيثيرها ويجعلها ترتعش بكل كيانها مما قد يعرّض طفلها في المستقبل للصرع وأمراض أخرى عصيبة.

أيها الرجل، أيّها الأب! «إنها تذكرة». . . إذا جئت ببنت إلى غرفة زفافك ووجدت أنها ليست بكراً، والبكارة ليست مما يشترى، فلك في مقابل هذه المعضلة التي تواجهك في مطلع حياتك الزوجية أن تردّها عملاً بالقانون الإسلامي أو أن تقبلها إلى جانبك كلياً انطلاقاً من المدرسة الأخلاقية للإسلام الحبيب، أما أن تبقيها مذبذبة لا إلى هنا ولا إلى هناك فتحتفظ بها من جهة وتجرح كرامتها بين الفينة والأخرى فاعلم أنك لم تحظ بأيّ من أبعاد الحياة. . فإمّا أن تقبلها إلى جانبك كلياً وإمّا أن تردّها إلى حيث جاءت. لو كنت ممن أدّيت خدمة العلم لعرفت أنه

لا توجد فيها حالة البين بين فإمّا أن تكون جندياً أو معفياً من الخدمة العسكرية تماماً ولا يوجد في الدنيا مفهوم اسمه «جندي معفي إلى حد ما» أو بالعكس، وعلى هذا المنوال أيضاً إما أن يقال للبنت الفاقدة لبكارتها اذهبي وشأنك وإما أن يقال لها «شأنك من شأني».

صحيح أن القبول هنا مصحوب بالاكراه والاجبار إلاّ أن عدمه يعني ضياع الأولاد والحياة من جهة وتعرّضه لهواجس حياة هذا العالم الفاني..

لتثق المرأة وتطمئن أنها ليست سيئة الحظ طالما أخذت بيدها طرف السلسلة التي ينجذب بواسطتها الزوج إليها، وعندها لن تقيم وزناً لما تشعر به أحياناً من أنها بمثابة الجارية أو الأمة بين يديه.

بيد أن هواجس الزوجة لا تنتهي، كما حال لا أبالية الزوج.. تضطجع الزوجة في الفراش والزوج يطوي ساعات من الليل بين المطالعة أو مشاهدة برنامج تلفزيوني، أو تحلق به فكرة وتهوي به أخرى وهي تحدث نفسها «آه من هذا الرجل! يشغل نفسه بما هو دوني من الأهمية والجاذبية.. ماذا حصل؟! أيكون قد وجد من تلبي رغباته وأهواءه أفضل مني. لقد كان جسدي هذا لعبة بين يديه، فماذا حصل؟! ينظر إليّ ثم كأنه لا يستشعر السكينة في جانبي.. كأني غريبة عليه أو مملة..» وهكذا تقضي لحظات في نزع العشق، عشقها لزوجها، وتتلوّى على فراشها كمن يتضوّر ألماً في عضوٍ من أعضائه.

إنه لمن المملّ حقاً بالنسبة للزوجة أن يكون جسدها طعمة لأهوائه دوماً ثم يفضل عليها في ليله الذهبي مطالعة الصحف مثلاً. هنا يأتي سوط الخلق الإسلامي ليوقظ الزوج المسلم من غفلته ويخبره بأنه لا

يليق بل وليس من الانصاف أن يبيت خارج منزله وهو في المدينة التي فيها أهله.

نعم؛ مثلما أمرت الزوجة بتمكين نفسها منك وأنتما في فراش واحد، يأمرك الإسلام العزيز بأن تكون إلى جانب زوجتك حتى يظهر الزوجان في ذروة الفوران والهيجان معاً وكأنهما جسد واحد، أو تداعبها وتلاعبها حتى تمكنك من نفسها أو تعمل هي على إثارتك ومغازلتك إلى أن تباضعها، وفي تلك اللحظات التي يرضاها الخالق جلّ وعلا للزوجين تُحات ذنوبهما التي ارتكباها في ذلك اليوم باللسان والفعل وتنقشع سحاب الغموم عن روحيهما. . .

إن تمكنك الزوجة من نفسها فبضررها لأنك قد تتعرض لقائد البيت في مقرّه مستقبلاً وتوجّه له اللوم والإساءة وقد يتسبب فعلها بلجوئك إلى فراش محلل آخر متخذاً من ذلك ذريعة لترجمة أنانيتك على صعيد الواقع. غير أن فعلك هذا يتنافى مع صريح الآية الشريفة ﴿**واهجروهن في المضاجع**﴾[1] التي تسمح لك فقط بأن تدبر عنها ولكن في الفراش فإن لم تعد إلى صوابها وتمكنك من نفسها جاز لك أن تضربها وبالمقدار الذي سمح لك به الإسلام العزيز ـ ضربها بعصا شجر السواك دون أن يستلزم الدية وبعبارة أخرى إن إصرارها على عدم التمكين لا يسوّغ لك ترك الفراش.

إن قيمة فراش الزوج ومنزلته السامية نابعة من اضطجاعك إلى جانبها من جهة وتمكينها نفسها إيّاك من جهة أخرى وهذان الأمران هما عبارة عن حق وواجب متبادلين، أي أن من حق المرأة عليك أن لا تسكن غير فراشها.

---

(١) سورة النساء الآية ٣٤.

أمّا الواجب الذي يقع على عاتقها أن تمكّنك من نفسها والعكس صحيح أيضاً.

إن كل المخلوقات تسبّح للّه سبحانه وتعالى ﴿**تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيءٍ إلا يسبح بحمده**. . .﴾[1]، حتى المولود يسبّح الله جلّ وعلا «كل مولود يولد على الفطرة»[2] أي أن عبادة المولود للخالق تعالى حق ـ موجودة لكنها غير ظاهرة ـ هذا الحق يُترجم على صعيد الواقع بصورة عبادة وفرائض أطلق عليها «التكليف الشرعي» ومن هنا جاءت تسمية الأنثى بالمكلَّفة حينما تتم التاسعة من عمرها وتسمية الذكر بالمكلَّف حينما يتم الخامسة عشرة من عمره حيث يجسّدان في هذين السنّين معنى تحوّل «الحق» إلى «تكليف».

ما ينبغي لك التفوّه بكلمات يشمّ منها رائحة الشماتة والتقريع بزوجتك عند تمكينك منها؛ كأن تقول مستهزئاً: «ماذا حصل؟! استسلمت هذه المرة بسرعة، ربما احتجت إلى معطف» وهذا يعني أنك وضعت معاملة البيع والشراء والسلعة المادية في مقابل المودة والرحمة التي بشّر بها الله تعالى. إن ما وعد به الباري تعالى من أطعمة وحور عين في الجنة ووضع الماديات إلى جانب ﴿**وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون**﴾[3] إنما لنعلم بأن الماديات لا تحول دون اكتساب غير الماديات، وكلماتك البليدة هي التي وضعت حائلاً بين الماديات والرحمة.

ترك اصرارك المتوالي أثره على زوجتك وهو أمر يحمل في كنفه

---

(١) سورة الإسراء: الآية، ٤٤.
(٢) بحار الأنوار ـ ج (٣) ـ ص (٢٧٩).
(٣) سورة العنكبوت: الآية، ٦٤.

أسراراً كثيرة كما أن تسليمها نفسها بيديك مليء بأسرار لا تعرف شيئاً منها، ولذا حتى لو علمت بأن فعلها هذه المرة من أجل المعطف فلا ينبغي لك أن تقرّعها بها بسبب ذلك، وإذا عمدت الزوجة إلى الاستفادة من تمكينها نفسها إيّاك فهي امرأة، والمرأة ترى في عملية التمكين صلة بدفع المهر الذي يعبّر عنه القرآن الكريم ﴿**وآتوا النساء صدقاتهن نحلةً**﴾[1]. ولأن النحل ينتج العسل ويطير في اليوم مائتين وخمسين مرة، عشراً منها ضرورية لديمومة حياته والباقي من أجل أن يمنح الناس «نحلة» العسل، فإن العريس له أن يقدّم الهدايا للعروس مصحوبة بنظرات الودّ والحبّ وهو ينشد تمكينها إيّاه نفسها بعد لحظات.

بل يمكنك أن تستعيض عن شراء المعطف بكلمات شكر على تمكينها إيّاك منها إذ تعرف حينها بأن الزوج لا يفكر بحجم الخسارة المادية وإنما ينشد ترسيخ وتعميق الأسس الأخلاقية في العائلة حيث اعتبر الشكر والثناء هو الأجر الذي يليق بالتمكين لا المعطف.

لقد فهم الرجل أن ممارسة الزوجة نشاطها في البيت بدون إجازته لا يعني منحها الحكم الذاتي في التصرّف حيث البيت عموماً أمره بيد الزوج بما في ذلك اختيار مكان السكن واختيار المسكن إلاّ أن يقيّد عكس ذلك في عقد الزواج منذ البداية، ومع ذلك يكون أمر البيت والعائلة بيد الرجل الذي يكون محيط عمله خارج البيت والبيت نفسه محاط بالعالم الخارجي. على كل حال فإن عمل المرأة لا يتصل بالمستقبل لأنها لا تدخل في صلب الوسط الاجتماعي وبعبارة أخرى أن عمل المرأة ليس انتاجياً إلاّ أن تلد مولوداً يكون مآله إلى خارج البيت ويتصل بالجانب الآخر من المجتمع، وهنا نفهم لماذا يولي الرسول

---

(١) سورة النساء: الآية، ٤.

الأكرم ﷺ الأهمية ويطري على الولود ويقلل من قيمة العاقر إلى جانب تأثيرها في محيطها الخاص، ونفهم أن الولود توسّع محيط البيت ليبلغ اللانهاية وندرك كذلك سبب منح الزوجة الحق في المطالبة بأجر إزاء عملها في المنزل وكذلك في مقابل الرضاعة.

قال الرسول الأكرم ﷺ: «تزوّجوا بكراً ولوداً ولا تزوّجوا حسناء جميلة عاقراً...»[1].

إن الزوج والزوجة يكمل أحدهما الآخر، وليس للزوجة مهما كان تفانيها إذا لم يمدّ الزوج يد العون إليها.. إذا كان كذلك فما فلسفة حق الزوجة المطالبة بالأجر؟! المعروف بين الناس أن المرء إذا أراد كسب ودّ خصمه بادر إلى الاستقراض منه لأن ذلك يشد من العلاقة بينهما، والخمس أيضاً يرتكز على هذه القاعدة فالعامل لهذه الفريضة يوثق بأدائه للخمس صلته بمحمد وآله محمد «صلوات الله عليهم أجمعين» ويزداد تقرّباً إليهم، وتفصيل ذلك تضمه مجلداتي السابقة.

من هذا المنطلق أيضاً، لا يمكن تفسير المطالبة بالأجر في مقابل الأعمال المنزلية التي تنجزها الزوجة لزوجها أو في مقابل ارضاع الطفل على أنه نوع من النقص أو وسيلة لتثبيت موقعها كقائد للبيت وإنما المطالبة بالأجر نوع من التماس الود والمحبة من الزوج. إنها خلاصة تجربة أقدمها لمسلمي العالم كافة؛ لا تتوانوا عن اللجوء للاستقراض كوسيلة لازالة الخصومة بينكم وبين شخص آخر، ثم دققوا فيما جاء به الإسلام العزيز! لماذا سمح للزوجين بأن يقوما بما لو قام به الآخرون لاعتبر في عداد الكبائر؟! مثل السماح لهما بأن يكون بينهما ربح وخسارة بالمقامرة. لماذا سمح بأن لا يكون عمل الزوجة في بيت

---

(١) الكافي ـ ج (٥) ـ ص (٣٣٣) ـ ح (٢).

زوجها وله وارضاع ولده مجاناً بل من حقها المطالبة بالأجرة على ذلك؟! فمثلاً؛ نفس العودة للبيت بسرعة والمطالبة بالأجرة نوع من ربط عمل المرأة بالمحيط الخارجي للبيت وتحرير لها من قيود الجبر بواسطة الإسلام الحنيف والاتجاه صوب الاختيار الذي هو في نظر المذهب الشيعي عبارة عن حالة وسطية معتدلة «لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين»[1] وهو ما أعبّر عنه بأن يكون «الإنسان مختاراً في الجبر» والمرأة أيضاً تشعر بالحرية والاستقلالية على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي عند مطالبتها للأجرة.

على الرجل أن يوحي للزوجة بأنّه على أحرّ من الجمر لعودتها كلما رامت الخروج من البيت وفي الوقت ذاته لا يدعوها للاسراع بالعودة للدار بأسلوب التوبيخ أو يربط عودتها بخروجه كأن يقول مثلاً «عودي بسرعة لأني أريد الخروج» وهو ما يتسبب في إثارة الفتنة، فترجيح عمله على عملها يعني اظهار ردة فعل محتملة ازاء الأولاد أو حتى صنابير المياه المتآكلة التي يتقاطر منها الماء.

إذا شعرت الزوجة بأن زوجها يعتبر وقته أهم من وقتها فإنها ستقابله بسياسة التجاهل واللامبالاة إزاء شؤونه وممتلكاته مما يعني زيادة محتملة في النفقات، هذا إذا كانت المرأة نجيبة وترى كيانها وكيان زوجها جزءاً واحداً لا يتجزأ غير أن هذا الشعور قابل للزيادة والنقصان في مضيق المقارنة بين أهمية وقت الزوجة في مقابل وقت الزوج.

حينما تلحّ الزوجة بالسؤال في «هل تحبني؟» وكررت ذلك مراراً فاعلم أن امرأة أخرى باتت تتدخل في شؤونكما وتحسس زوجتك بأنها

---

(١) بحار الأنوار ـ ج (٥) ـ ص (١٧).

في وضع خطر فتحثها على اختبارك ومعرفة إن كان لامرأة أخرى شأن في حياتك. . وتتلخص معالجة الموقف في أن تتجنب ارتداء الملابس الجديدة والاهتمام بمظهرك وكأنك في أيام الزواج الأولى والسعي إلى العودة للمنزل في أسرع وقت وإجابتها على هذا السؤال بما يقنعها بأنك لها لا لغيرها كأن تهتم بالطفل أو أن تقول لها بأن «الوحيد الذي أحبه أكثر منكِ هو هذا الطفل» وعدم اتخاذ مواقف قاسية ازاءها متزمّتاً بأنانيتك فذلك ليس من العقل والحكمة في شيء. لقد تولّد لدى المرأة جرح بسبب تدخل امرأة ثانية فلا ينبغي رشّ الملح عليه لأن ذلك سيترك أثره بشكل أو بآخر على الأولاد مما يعني أن ستدفع ثمن قولك اللامسؤول أو تصرفك السيىء بعد سنوات عن طريق أولادك.

يكفي أن تصوّرك الزوجة للأطفال بمظهر الخصم لهم. . فلأنها تتصور أن أخلاقك قد تغيّرت وربما تستهلك مشاعرك المليئة بالحب والحنان في مكان آخر غير العائلة تقوم بذرف الدموع دونما سبب والتعلل بأبسط الأشياء وبذلك يعم الهمّ أفراد العائلة وتتلبّس الوجوه بأقنعة الغم، وكل ذلك من منطلق حبها للسكينة وتوفير عوامل الأمان لنفسها وعائلتها. وعودة أخرى إلى الإسلام العزيز الذي يعلمنا اجراءات الوقاية ويشجع على منح العائلة الثقة بكيانها عبر تقبيل الوالد للأولاد واضعاً لذلك الأجر الجزيل والآثار الممدوحة والتي منها على صعيد الحياة الدنيا تحصين الزوجة من التفكير أو الاحساس بنقصان محبة الزوج لها وتقلص اهتمامه بالعائلة، أما على صعيد الآخرة فيقول الرسول الأعظم ﷺ: «قبلّوا أولادكم، فإن لكم بكل قبلة درجة في الجنة ما بين كل درجتين خمسمائة عام»[1].

---

(١) مكارم الأخلاق ـ في فضل الأولاد ـ ص ٢٢٠.

ليثق كل من ينتهج هذا الأسلوب أنه يزرع في بيته أشجار السدر ولم يزرع شوكاً..

وللحديث الشريف «ابدأ بما تعول» مدخلية أيضاً في هذا المجال... إن الباري تعالى يقول: ﴿**ما أصابك من حسنةٍ فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك**..﴾[1] ولا يمكن أن تكون المعاملة السيئة هي المراد من الأمر الإلهي والصادر من أوليائه عليهم السلام في «ابدأ بما تعول» وإنما يراد منه إنك تبدأ عائلتك بكل خير لك أو يصدر عنك، والآخرون يأتون في المرتبة التالية.

ابدأ بما تعول، على صعيد الاحترام وعلى صعيد الدلال وعلى صعيد توفير أسباب الراحة.. كل ذلك زوجتك أحق به من غيرها فضلاً عن أن بذر هذه البذور في أرض أخرى لا تعطيك ثماراً كالتي تعطيك إياها أرض عائلتك حيث مصداق ذلك في الأولاد والذرّية التي تنعم بآثار التزامك بالأوامر الإلهية إلى يوم القيامة.

---

(١) سورة النساء: الآية، ٧٩.

العائلة بين أمواج المشاعر الهادرة

ابدأ بما تعول. . شعار حياة منهجية متوازنة.

رغم أن هذا الموضوع فيه شيء من التكرار لكنه جدير بطرق بابه مجدداً لما فيه من جاذبية وفائدة، ولذا. . .

بسم الله الرحمان الرحيم.

﴿تبّت يدا أبي لهب وتبَّ ما أغنى عنه مالهُ وما كسب سيصلى ناراً ذات لهبٍ وامرأته حمّالة الحطبِ في جيدها حبلٌ من مسدٍ﴾[1].

كان أبو لهب الملعون رجلاً ثرياً يأكل الربا، وفضلاً عن أنه لم يكن يوفر لزوجته وسائل الراحة والرفاهية فإنه كان يستخدمها كحمّال بدل استئجار الرجال وكان يجبر زوجته على الاستفادة من الحبال المصنوعة من جريد النخل التي هي أرخص سعراً من غيرها.

إن الله وهو أرحم الراحمين ينظر بعين الرحمة حتى لزوجة أبي لهب السيئة الصيت المرابية، فهل تضع أنت أصدقاءك في صف من يعاديك. . لم يراعِ أبو لهب نظرية «ابدأ بما تعول» فنزلت في لعنه وتوبيخه سورة كاملة وجاء اسمه، وهو الوحيد الذي ذكر من الصحابة

---

(١) سورة المسد.

الهاشميين في القرآن الكريم، مقروناً باللعنة في الكتاب العزيز.

لا شك أن النظرية القائلة بضرورة عدم تجاهل المصلحة العامة مقبولة، ويرى قسم من علماء الاجتماع بأن الحركة الاصلاحية في المجتمع تينع ثمارها إذا ما أصلح كل من أفراد المجتمع نفسه، أي تكون انطلاقة اصلاح المجتمع من الأفراد واحداً واحداً. ويرى القسم الثاني من هؤلاء العلماء بأن المجتمع إذا صلح أمره صلح أمر الأفراد.

غير أن القرآن الكريم يعتبر عنصر الوسط بين الاثنين «المجتمع والفرد» والمتمثل بـ «العائلة» هو اللبنة الرئيسة لاصلاح المجتمع ﴿**يا أيُّها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً**..﴾[1] وربّ العائلة قادر على الاصلاح كما يفهم من الآية المباركة فإن الهدف المنشود في تحقيق الاصلاح والمصلحة العامة يرتكز على العائلة.

تحمل الزوجة عادة جملة من الأحاسيس والهواجس تتعلق بارتباطها وصلتها بوالديها؛ فبعض الأزواج يتصورون بأن تردد زواجاتهم على بيوت والديهن يخرج بيت الزوجية عن حالته الطبيعية ويجعل الزوجة تفكر وتميل لمراحل الطفولة وكل ما يذكّرها بالفترة التي كانت في كنف أمّها وأبيها مما قد يجعلها تثور بوجه الزوج لأي سبب كان، لكن حقيقة الأمر هي أنه لا وجود لفعل أو عمل في الدنيا بل وحتى في الآخرة إلاّ ويكون مشروطاً أو مرتبطاً بعوامل متعددة؛ فما من مكروه يرتكب أو مستحب يؤدي إلاّ وله صلة بالسنّ والشغل والتربية وطهارة المولد أو عدم طهارة المولد وغير ذلك من العوامل. وعلى هذا فإن تردد العروس على بيت أمها وأبيها مرتبط بعوامل أولها عدد أخواتها

---

(١) سورة التحريم: الآية، ٦.

ووضعهن فإن كانت الأم قد زوّجهتن كلّهن فاحتمال إثارة الماضي وتأليب الأوضاع تكون نسبته عالية أما إذا كانت الأخوات لا زلن في البيت ولم يتزوّجن بعدُ فإن الأمّ ـ وكذلك الأب ـ لن تقدم على تحريض ابنتها المتزوجة ضد زوجها تحسباً من أن يذيع لها صيت سيىء بين الناس ويمتنع الشباب بسبب ذلك عن خطبة بناتها وتأخّرهن في دخول القفص الذهبي. أما إذا لم تكن لدى الأم سوى بنت واحدة أو بنتان فقط ولا أخ لهما؛ حيث الدور الذي تمارسه الأم بصفتها والدة العروس غير الذي تمارسه بصفتها والدة العريس علماً أن ممارسة دور والدة العريس يفوق في أهميته ممارسة دور أم العروس، فإنها ستكون في هذه الحال أصعب على صهرها لأن همتها وجلّ تفكيرها ينصب في قالب دور والدة العروس ويزداد فيها حب السيطرة والتسلّط فتندفع لتلقين ابنتها وإثارتها بما يهيّج الأوضاع في بيت صهرها. بيد أن ذلك مرتبط أيضاً بمستوى إيمانها إذ أن الأم المتمسكة بالإسلام والمؤمنة لن تتخلى ولو عن الحد الأدنى من العلاقات والتعامل الإنساني مهما كانت مغرورة وحتى لو لم يفعل صهرها لابنتها ما فعله ابنها لكنّتها، ولو كانت والدة العروس قد سيطرت عليها الرغبات الدنيوية وشكل الغرور السمة الغالبة في شخصيتها فإن أذية الصهر سيمثل جزءاً لا يتجزأ عن برنامجها اليومي حتى يصير بالنسبة لها نوعاً من التسلية.

يعتبر عدد البنات أو الأبناء ومقدار الإيمان ومستوى الذكاء والتعامل الإنساني ونوع التربية المصحوبة عادة بالتشجيع والتوبيخ مما تتذرّع به أم الزوجة ضد صهرها لكنها في نفس الوقت لا يروقها إقامة بنتها عندها بعد الزواج؛ فخوفاً من تجاهل الصهر لابنتها أو ارجاعها إلى حيث نشأت تُظهر الأم التي كان تزويج بناتها شغلها الشاغل من قبل عدم رضاها عن بقاء ابنتها في بيتها ولا حتى ليوم واحد وتفصح في

تعاملها معها عن صورة غير التي كانت تراها البنت في أمها أيام الصغر. . . فبعد مضي يوم أو يومين على بقاء البنت في بيت أمّها، تتمارض الأم أو تبدو وكأنها غير منسجمة مع ابنتها أو تظهر منها الحالتان معاً فمرةً تزعق بوجه أحفادها أو تضربهم وأخرى لا تجالس ابنتها وثالثة تترك الطبخ وغسل الأواني وهكذا.

وأخيراً تعود البنت إلى بيت زوجها، تسعى لأن تظهر بمظهر القدّيسة الذائبة في زوجها من جهة ومن جهة أخرى تندفع تلقائياً إلى التحدث عن مرض ـ غير حقيقي ـ أصيبت به أمّها ونجابة وتفاني أمّها رغم ما ألمَّ بها وكل ذلك حتى لا يعرف الزوج شيئاً عن دوافع ظهورها بمظهر الذائب فيه والمعاملة التي قوبلت بها من أمّها، لكن هذه الحالة لا تدوم طويلاً بل هي أقصر من سابقتها وقتاً، أي أن البنت إذا دام بقاؤها في بيت والدتها شهراً فإن حالة ذوبانها في زوجها وملائكيتها لن تتجاوز الأسبوع إن لم يكن أقل من ذلك. إن اختبار القوة هذا بين الأم وابنتها ينتهي دوماً لصالح الأم حينما تظهر بمظهر الضعيفة المستكينة وتشعر البنت بذلك أمّا إذا كان عودة البنت الوحيدة لبيت زوجها ناجماً فقط عن عدم الانسجام بين الطرفين فإن الأم حينها لن تكون هي المنتصرة دوماً لأن الصهر سينتبه عندها لطعنات وإهانة والدة الزوجة لزوجته وأطفالها وحينها لن يكون تمرّده وثورته على الوضع لصالح والدة الزوجة ولا حتى لصالح الزوجة، وإذا ما أردنا الحل لهذا الحال فسيأتي الجواب بأن الإيمان بالله تعالى هو الوحيد القادر على مسك عصا التوازن من الوسط وتحقيق ما يرضيه سبحانه وتعالى وكافة الأطراف. هنيئاً لأم الزوجة، هنيئاً للصهر وهنيئاً للعروس إذا ما كانت لهم حصة في هذا الكنز العظيم الموصل لرضاه جلّ وعلا وإلاّ فإن حصة الأكل والغذاء أو الجنس أو الجسد تخضع للأبعاد المادية فإذا كانت

قليلة صارت مصدراً للغم والهمّ وإذا كانت كثيرة جداً صارت تعارض التسامي الذي يستشعره كل من الثلاثة، لكن الحقيقة الأكيدة هي أنه لا وجود لسرور أو غم دائم.

إن أم الزوجة إمّا أن تكون أسيرة لابنتها أو منافستها وضرّتها أو معينة لها أو المغيّرة لحياتها، لكن حدّة كل من تلك الحالات تتغير وفقاً للظروف فأم العروس التي يقدم ابنها على الزواج تفضل الانتقال لممارسة دور أم العريس لاحساسها بأنه أكبر شأناً وأليق بها فضلاً عن احساسها بأنها ستفقد حالة التفرّد بابنها بعد دخول البنت في حياته، ولذا فإن الصهر الذي يقدم أخو زوجته على الزواج يستشعر شيئاً من الراحة وهفوت الغبار الذي كانت تثيره أم الزّوجة ويدرك أن قسماً من قوانين الغاب بدأت تطبق في بيت آخر متحوّلة عن بيته.

يسعى الرجال في الدرجة الأولى إلى تجنب طريق أم الزوجة المتذرعة بكل صغيرة وكبيرة وكذلك الوالدة التي على خلاف دائم مع كنتها، لكن الزواج الذي هو أمر مقدس تحدُّ المرأة فيه من كل جانب حدود الزوج ووالدته في حين يحد الرجل من الشمال والجنوب والدة زوجته ووالدته ومن الشرق والغرب حدود مختلف شرائح المجتمع، علماً أن القيود الحياتية أشد وطأة على الرجل مما هي على المرأة وهو في الواقع مصداق للمختار في الجبر. إن ميزة الاختيار تضطره إلى بذل جهود مضنية بغية الحفاظ على البيت والزوجة والأولاد وهي في نفس الوقت ركيزة يشيد عليها صرح مستقبل سليم، حينها استطاع الزوج بواسطة الاختيار والتعامل المنطقي تجاوز الحالات غير الممدوحة الصادرة عن والدته أو أم الزوجة دون أن يسمح بضياع حق أيٍّ من الأطراف، لاحق الوالدة الذي هو أعظم الحقوق ولاحق أم الزوجة التي أخذ عصمة ابنتها بيده. لا يمكن للعريس أن يؤدي حقوق الوالدة حسبما

يريد وغرامة زواج الابن تفوق دوماً غرامة زواج البنت؛ صحيح أن البنت تدفع غرامة صيرورتها أنثى عبر تسليم جسدها والقيام بأعمال البيت ومداراة الأطفال إلاّ أن الرجل مسؤول عن دفع المهر والنفقة والإشراف على الطريق الذي تسلكه العائلة في الحياة وكذلك تحصيل الأولاد الدراسي وعملهم وهكذا. وفي وصف آخر يمكن القول بأن البنت مسؤولة عن دفع غرامة صيد العريس والزوج مسؤول عن دفع غرامة صيد الحياة. وإن كنت أيّها الرجل تريد أن تكون لك كلمة الفصل فاعلم أن ذلك منوطاً بحسن نواياك؛ فحسن النية يخزي الشيطان ويردم الهوّة العميقة المحتملة بين العائلتين.. أليس من الاجحاف أن تكون الأم عبدة لحق مشروع لها على ابنها؟ وأن تصير العروس عبدة لحق لها في عاتق زوجها؟ ولذا فإن كل حق تتضح معالمه ويدخل حيّز التنفيذ فهو تكليف وعلى هذا فالحق يُمتلك والتكليف يؤدّى، ثم إن حق الأم وحق الزوجة كلاهما لك وعليك في آن واحد ولصالحهما، أما تكليف الأم وتكليف الزوجة فكلاهما ليس بصالحهما وحق الرجل عليهما ينصب في صالحه، وتوضيح ذلك في أن الزوج ووالدته وزوجته لو وقفوا جميعا في مقابل العدالة الإلهية فإن الزوج هو المدان في مجال المسؤوليات التي لم يجر تنفيذها، فالزوج مدان لأنه الحاكم والمسؤول في المنزل.

تمعّن في سيرة الرسول الأكرم ﷺ وكيف هو تعامله مع حتى الضرّات من نسائه.. «ذكر النبيّ ﷺ خديجة «رض» يوماً وهو عند نسائه فبكى، فقالت عائشة: ما يبكيك؟ عجوز حمراء من عجائز بني أسد.

فقال ﷺ: صدّقتني إذ كذّبتم، وآمنت بي إذ كفرتم وولدت لي

إذ عقمتم. قالت عائشة: فما زلت أتقرب إلى رسول ﷺ بذكرها»[1].

أنت أيضاً أيها الزوج، عليك أن تكون مملوءاً بالاحسان في مقابل والدتك ومفعماً بالمحبة والود إزاء زوجتك، وإذ ذاك تكون قد امتثلت للقرآن المجيد ﴿.. **أن لا تعبدوا إلاّ إيّاه وبالوالدين إحساناً**﴾[2] و﴿.. **جعل بينكم مودة ورحمة**..﴾[3].

إن الأم لا تفكر بالعدل ولا تنشد الانصاف وإنما تتطلع للاحسان.. نعم على الابن أن يقابل حتى إساءة الأم بالاحسان أي يتخلق كما أوصى الرسول الأكرم ﷺ بـ«أخلاق الله» فهو المحسن وهو الرحمان وهو الرحيم وهو المانح عباده الحياة والذرية والنور رغم ركوبهم المعصية. أما الزوجة فكلمة الحب تخترق القلب كالسهم وتستقر فيه حاملة معها حلاوة العسل، إنها تأنس بلفظة «أحبكِ» حتى لو صدرت من الزوج كذباً بينما الزوج لا يستطيع قبولها إن كانت كاذبة.

من هذا المنطلق فإن السبيل الوحيد لتخطي الزوج المشكلة المقلقة والمؤلمة بين الوالدة والزوجة اللتين عوّلتا عليه في حلّ العقدة وبذر الألفة بينهما يكمن في الإحسان للأولى ومقابلة الثانية بالمحبة، وإن أي اخفاق في حل المعضلة مردّه إلى قصور أو تقصير في الزوج فتلك أمّ وقلبها معلّق بالابن ـ وهو الزوج ـ وهذه زوجة وأملها في الزوج أي أن الزوج هو العامل المشترك بينهما. إن عجلة الحياة الدوارة لتغلب الناس على أمرهم وهي تتحرك كالسيل الهادر ولا يمكن لأحد أن يحيى دون آلام وهموم سوى الأموات، وليس كل الأموات بل الذين لم

---

(١) بحار الأنوار ـ ج (١٦) ـ باب (٥) ـ ص (٨).
(٢) سورة الإسراء: الآية، ٢٣.
(٣) سورة مريم: الآية، ٢١.

يتسببوا في أذية الآخرين وعلى هذا فإن تعايش وتآلف الوالدة والزوجة رهن خطوة عاقلة مصحوبة بنية حسنة ومن ينفي ذلك ويقول «لا أستطيع فعل شيء بشأن القضية العالقة بين الوالدة والزوجة» فكيف له تحقيق النجاح في باقي القضايا مع عموم الناس الذين لا هم بمثابة الأم حيث هي رمز الحنان ولا هم بمنزلة الزوجة حيث التعلّق بالزوج.

إن أسوأ أمهات الأزواج هن اللاتي يثرن أحفادهن وهم في سن البلوغ والدراسة ضد أمهاتهم، وقد شرحت ذلك في مجلد «كيف تتعاملين مع الزوج». وفي الحال هذه يكون دور الأب متبايناً وفقاً لمدى ارتباط والدته بالله جلّ وعلا وأوامره ونواهيه فإن كان التمسّك بتعاليم الإسلام سائداً في بيت الوالدة فما أفضل للابن الزوج أن يمارس دور الأنبياء عليهم السلام فيبادر للموعظة والانذار والتذكير بأن النار عاقبة من لم يراع الأوامر الإلهية ويحذر الوالدة من مغبة اشعال الفتنة وبذر الفرقة بين أبناء العائلة الواحدة، وإن هو ناور بصورة ذكية في هذا المجال فسيكون النجاح حليفه بالتأكيد، وإلا تجرأ الأولاد بعد سنوات على ظلم والدتهم والتعامل بقساوة معها وسيشعلون ناراً لن يكون الأب بمأمن من دخانها.

والأسوأ من أمهات الأزواج تلك، أمهّات الزوجات اللاتي يحرضن أحفادهن بالقول «خذوا حقكم من أبيكم.. هذا هو أبوكم الذي صرف ويصرف وقته لانجاز أعمال الناس الغرباء تاركاً إيّاكم دون أن يلتفت إلى أحوالكم ويؤمّن احتياجاتكم.. يضربكم ولا يعطيكم مصروفكم اليومي.. لا يشتري لكم الملابس ولا يوصي المعلم بكم. إنه لا يهتم بكم...»، وهذا النموذج من أمهات الزوجات يغفل عن أن الأولاد إذا شعروا مع مرور الوقت بحنان وعطف والدهم عليهم فستظهر منهم ردة فعل شديدة إزاء الأم وسيتسببون في نشوء فتور وزعزعة بالعلاقة بين عائلة الصهر وعائلة الكنّة، وإذا اتّسم الأب والأم باللامبالاة

في معالجة الأمور ساد منهج اللامبالاة كل العائلة سواء على الصعيد الداخلي أم على الصعيد الخارجي. أمّا إذا كان الأب على ما وصفته عائلة الأم متسماً بالحيونة فسرعان ما سيؤول حال العائلة إلى الحال الذي يعيش فيها الأولاد إجبارياً مع زوج أمّهم أو زوجة أبيهم، وبما أن دور الأب يفتقر هنا لحسن النية مع الأسف فإن الأم لا تستطيع استمالة والدتها لصالح عائلتها كما هو مطلوب ومنشود. إن سلوك الزوج ـ زوج الأم ـ مع امرأته وتعامله معها بمنتهى المحبة والودّ يدفع الزوجة إلى تصوير مشاهد محبوبة عن الوضع العائلي لوالدتها التي يلين موقفها عند ذاك ولو من أجل ابنتها، وما أفضل ذلك لو كان لوجه الله تعالى إذ عودة الأيام واللحظات السعيدة والهانئة أفيد وأحب للنفس والقلب من التعثر بأيام مظلمة والانغماس في وحل النفاق.

اعلم أيها الرجل! إنها مهمتك ووظيفتك.. عليك أن تكون متزناً في مقابل الوضع العائلي الهش الذي تسببت والدة الزوجة بظهوره وضيّقت فيه الخناق على حياتك، عليك أن تخلق حالة من التعادل على مختلف الأصعدة دون أن تقلق زوجتك أو تفعل ما لا يرضي الله تعالى ولن يكون ذلك بصعب عليك إذا ما كان العقل والتدبير والحنكة سلاحك.

أعتقد أن حلّ مشاكل أم الزوج منوط بالثروة الأخلاقية التي يمتلكها الابن المتزوج، لكن المشاكل الصادرة عن أم الزوجة أكثر تنوّعاً وتشعبّاً والسبب في ذلك أن الزوجة ووالدتها تشتركان في عنصرهما الأنثوي الذي ثبت بالتجارب أنه عظيم التنوّع فلو أريد تقسيم خمسين رجلاً على مجاميع وصُنّفوا في عشر مجاميع وفقاً لخصال معينة فإن النساء الخمسين سيُصنَّفن وفقاً لنفس الخصال في أكثر من عشر مجاميع كما أن الحديث الذي يدور في مجلس الرجال الخمسين أقل تنوّعاً منه

فيما يدور بين النساء الخمسين في مجلسهن، والعجيب أن الرجل يستطيع حين التحدث أن يستمع ويفهم فقط قسماً من حديث مخاطبه أو حديث شخصين وربما ثلاثة كحد أقصى في ذلك المجلس في حين بإمكان المرأة احتواء كل ما تقوله مخاطبتها فضلاً عن قدرتها على أن تلتقط في نفس الوقت ما تتحدث به بعض النسوة الحاضرات. . على كل حال وبصفتي كمؤلف أقول: أن التغلب على المشاكل الناجمة عن تصرفات أم الزوجة يرتكز إلى أسس مادية أكثر مما هو عليه الحال في المشاكل الناجمة عن العلاقة بين الزوجة وأم الزوج، ولا بد من الاهتمام بهذه الأسس المادية لكونها وسيلة لحل معظم تلك المشاكل.

في الوقت ذاته، لا تحظى أمهات الزوجات المثيرات للمشاكل بمكانة محبوبة لدى بناتهن رغم أن العادة جرت على أن يكون قول وفعل الأم سُنَّة بالنسبة للبنت بل وتلقي هذه السُّنّة أحياناً بظلالها على سُنَّة الرسول الأكرم والأئمة المعصومين «صلوات الله عليهم أجمعين»، وإن الزوجة إذا مارست دور المذيع لنشاطات الزوج لم تحقق تلك النشاطات سواء على صعيد العائلة أو خارجها النجاح المنشود بسبب محاولات والدتها الرامية لفرض كلمتها أو سيطرتها بشكل أو بآخر وعندها ترغب أم الزوجة بأن توصف أمام النسوة اللاتي يعتبرن أنفسهن أفضل منها بأنها «بطلة» على أن احتواء هذا الوضع ممكن عبر ايحاء الزوج لوالدة زوجته بأنه يعيش مع من يفوقها نزعة سلطوية ـ أي الزوجة ـ بل يكون حينئذٍ ذا خطوة عند والدة الزوجة، أمّا إذا استطاع الصهر تخصيص مكان الوالدة زوجته في حياته أو أن يوعدها بمنزلة تشرف بها على كنه ما يجري في عوائل الأقارب فإن ذلك سيساعده إلى حد كبير في التغلب على المشاكل العالقة ذات الطابع المادي.

إنني آمل من رب العائلة وقبل أن يفكر ويشغل باله بتصرفات أمه وتصرفات زوجته وأمّها، آمل منه أن يفكر بالحياة والتعايش ويقرّ بوجود الآلام والهموم كحالة طبيعية للحياة لا أن يعتبرها المصير المكتوب على جبينه فالسيئة التي تصيب الإنسان إنما هي من نفسه كما صرّح بذلك القرآن الكريم ﴿.. **وما أصابك من سيئة فمن نفسك**..﴾[1]، لا أن يعتبر ويرى بيته محلاً للآلام والهموم ويبري تذمّره من هذا الوضع حتى يصل به الحد إلى التساؤل أن لماذا لم تحل هذه الآلام والهموم البيت المجاور؟ ويشطح الخيال السلبي بهذا النموذج ليتساءل: لماذا يكون منشأ الهموم في بيتنا؟ ولم لا يكون بيتنا محلاً لدفن تلك الهموم؟ ولم لا يكون نموّها في بيت الجيران؟ عليه أن لا ينحي باللائمة على جاره مثلاً ذاكراً معايبه أو ملصقاً به التهم والافتراءات: انظر! كيف هو متكبر؟ إنه يستخف بتعاملنا الودي معه.. إنه كذّاب.. إنه يعتبر عدوي صديقاً له، وهكذا متناسياً مساوئه وإن صدرت منه نفس تلك الأفعال اعتبرها صحيحة ولا غبار عليها، وبعبارة أخرى كان موقفه من تلك الأفعال كمثل اللعاب في الفم فهو حلو المذاق طالما ظل في الفم أما إذا بصقه وخرج من الفم كان مما يقزز.

والمخرج من ذلك هو الارتباط بالله تعالى، حيث يتخلص الإنسان من الشعور بالعجب عندما يوثّق علاقته به سبحانه وتعالى وليس ذلك بقليل خاصة إذا ما عرفنا جزاء التطهر من العجب بالنفس والارتضاء لها دون غيرها بما تريد وتحب..

يقول جل وعلا: ﴿**إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين**﴾[2].

---

(١) سورة النساء: الآية، ٧٩.

(٢) سورة البقرة: الآية، ٢٢٢.

لكن بماذا ينفعه التطهر من درن المعصية بالتوبة ثم لا يتورع عن ارتكابها ثانية وثالثة حاله في ذلك حال من يتخلص من الفضلات والجراحة ثم يرفعها ليتناولها أو يلطخ بها جسده!! .

أحاسيس ومشاعر خارج سوار البيت

مثلما أقررت بمعاصيك التي ارتكبتها بنفسك، حاول أن تتقبل الآلام فهي حصيلة ما اكتسبت يدك.. فكّر بالدنيا بصورة صحيحة.. اعرف أنها لم تُخلق لتكون خالية من المتاعب والهموم وهذه معك وليست في مصيرك.

يخطّ النبي الأكرم ﷺ ذات يوم خطاً مربعاً ويخطّ خطاً في الوسط خارجاً منه ثم يخط خُطوطاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، بعدها يقول ﷺ: هذا الإنسان وهذا أجله محيط به أو قد أحاط به وهذا الذي هو خارج أمله وهذه الخطط الصغار الأعراض ـ أي البلايا ـ فإن أخطأه هذا نهشه هذا وإن أخطأه هذا نهشه هذا[1].

ويصف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الدنيا بالقول: «دار بالبلاء محفوفة وبالغدر معروفة»[2] وكل ذلك يصب في الخط الطولي لا أن يكون جزءاً من المصير، هكذا هي الدنيا ولا دوام لها دون الغموم والهموم كما لا دوام لها دون الفرح والسرور.

---

(١) البخاري ـ ج (٤) ـ باب «ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلاّ عيش الآخرة».
(٢) ميزان الحكمة ـ ج (٣) ـ باب الدنيا.

وبنفس المعنى يصف الإمام علي عليه السلام المرأة فيقول: «المرأة شرٌّ كلّها ـ امتحان ـ وشرّ ما فيها أنه لا بد منها»[1].

إن لكل إنسان أباً وأمّاً بالضرورة.. سوى سيدنا آدم عليه السلام ووالدتنا حواء وسيدنا المسيح عليه السلام إذ لا أب له بمعجزة من الله جلّ وعلا ـ وفي أكثر الأحيان أخاً وأختاً وهؤلاء ينتظرهم بقوة دور أم الزوجة وأم الزوج ووالد الزوج ووالد الزوجة والعريس والعروس، ولكل منهم أن ينجب مع زوجة مولوداً بفعل المباشرة كما أن كل إنسان ذو بعدين حيواني وملكوتي ولا بد في يوم من الأيام أن يغلب أحدهما الآخر حسب اختياره وهناك ﴿**فريق في الجنة وفريق في السعير**﴾[2].

يعتبر الرجل الذي يفكر بالحياة وشؤونها لا بالمصير ساعياً لتبرير سحب الغمّ والهمّ ودفع عجلة حياته وعائلته إلى الأمام، ويجهد نفسه من أجل اسعاد الآخرين من حوله الأقربون فالأقربون وهذا الفعل غاية النية الحسنة التي ستقضى على كل خصومة ونفرة.

إن الرجل الذي يفكر بشؤون الحياة أوسع من أن تحدّه الماديات ولا يصل إلى طريق مسدود، وستكون أبعاده عند اللانهاية أي عند الحضرة الإلهية المقدسة ولن يزلّ عن الطريق القويم في هذه الدنيا وإذا أراد أن يعمل بوصية الإمام الحسن المجتبى عليه السلام حينما قال: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً»[3] فحينئذٍ لا هو من أتباع المدرسة المادية حيث الدنيا فيها المنشأ والغاية ولا هو نبذ

---

(١) نهج البلاغة ـ حكم أمير المؤمنين «ع».
(٢) سورة الشورى: الآية، ٧.
(٣) مستدرك وسائل الشيعة ـ ج(١) ص (١٨).

المادية وراء ظهره، وكان كما أراد القرآن الكريم في نظرته للمادية باعتبارها لا تقف عقبة أمام المعنوية ولا حتى في الدار الآخرة ﴿**وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون**﴾[1] كما أن الحديث الشريف يرى للدنيا فضلاً إن كانت أرضاً خصبة لبذر الخير «نعم العون الدنيا على الآخرة»[2] ومن زرع في هذه خيراً حصد في الأخرى خيراً وهو ما يؤكد مفهوم عدم فناء المادة، بل خلودها.

أذكر أنني أوردت في مطلع هذا الكتاب بأن الوالدة التي صفعت ولدها بسبب نثره حبيبات الأرز على الأرض لو كانت سمعت كلاماً طيباً من زوجها قبل ساعات أو حتى قبل يوم لما أقدمت على صفع ولدها حتى لو هشّم حاجة أثرية ثمينة، وفي الحقيقة أن الصفعة لم تكن لهذا الولد الناثر لحبيبات الأرز بل كانت للزوج والمجتمع والدنيا والخلقة. لهذا السبب تسترجع الخلقة كل ما منحتنا إياه بدءاً من عناصر التكوين ومروراً بالعظام واللحم وانتهاءً بالروح وفي المقابل سنلاقي جزاء كل ما أعطيناها، ونفس هذه الصفعة التي وجّهناها للخلقة سنتلقاها بعد ذلك.

تشارك المرأة في محفل نسوي.. عند دخولها لم تواجه بالاحترام والترحيب السابق فيترك ذلك أثراً سلبياً في نفسها وتظهر ردة فعلها بمجرد عودتها إلى البيت، وقبل أن تفتح باب غرفتها تشرع همهمتها ثم يتعالى صوتها بالتدريج وإن عرفت أنك علمت بما حصل لها في المحفل النسوي تطال ردة فعلها الأطفال فتقسو عليهم وإن علمت أنت بتصرفها مع الأطفال أيضاً ثارت أكثر وصارت قطعة من الجمر، ويتجسد هذا المفهوم في تصرفاتها داخل البيت فإن أرادت ـ مثلاً ـ كنس

---

(١) سورة العنكبوت: الآية، ٦٤.

(٢) بحار الأنوار ـ ج (٧٣) ـ ص (١٢٧).

البيت فعلت ذلك بقوة وعشوائية أضرّت بالمكنسة والسجاد معاً.

في هذا الاطار، لا بد للزوج من ممارسة دور الصديق المذكّر فيلفت نظرها إلى أن العزة تكون لله تعالى ولرسوله والمؤمنين خاصة ﴿. . . **وللّه العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون**﴾[1] ولا ينبغي لها أن تعتبر الاحترام السابق سوى منّة إلهية وبإمكانها أن تحتسب عدم احترامها في عين الله تعالى، وأن عدم تكريم من لم يرتكب المعصية أمر عاشه الأنبياء عليهم السلام إذ أنهم أفنوا أنفسهم وحملوا هموم الآخرين لكنهم لم يقابلوا إلاّ بالاستهزاء ﴿**يا حسرةً على العبادِ ما يأتيهم من رسولٍ إلاّ كانوا به يستهزئون**﴾[2]. أما إذا كانت الزوجة لا ينفع معها هذا الكلام ولا تدرك معنى نهج الأنبياء عليهم السلام وما لاقوه فبإمكان الزوج التنسيق مع عالم الدين في تلك المنطقة ليتحدث عن حالة المرأة التي لم تلق الترحيب المتعارف في المحفل النسوي ويقدم نصائحه بهذا الشأن وذلك في اليوم الذي تحضر فيه الزوجة إلى مجلسه ويخبره هو بحضورها. لكن الزوجة لن تخبر زوجها بما قاله عالم الدين ولا ينبغي له أن يفاتحها بالموضوع، ومثل هذه الزوجات سرعان ما يبادرن عقيب عودتهن للبيت إلى الهجوم على عالم الدين ووصفه بالتخلّف وقلة الوعي. . وأنا واثق من أن عالم الدين راض عن الاستهزاء به داخل البيوت إذا كان ذلك يحل محلّ التخبّط في تربية الأولاد وممارسة القساوة معهم.

غير أن هذا الأمر لن يستمر طويلاً، فالمرأة المسلمة وبسبب كونها مسلمة وتلتزم بتعاليم خاصة سرعان ما تكف عن الإساءة لعالم الدين

---

(١) سورة المنافقون: الآية، ٨.

(٢) سورة يس: الآية، ٣٠.

خاصة وأنها تعتبر تقديم النصائح جزءاً من وظائفه.

وبالنتيجة فإن الزوجة لن تسامح تلك النساء اللاتي لم يقابلنها بالاحترام والتقدير اللازم لأنها تعتبر ذلك من واجبهن، إلاّ إذا عوّضن ذلك التصرّف في موقع ومكان آخر وبما يعيد لها شأنها.

لا ينبغي للرجل أن يحمل في داخله مفهوم «أفضلية الرجل على المرأة»، ولقد بحثت الموضوع هذا من قبل من زاوية القرآن الكريم من زاوية الأعلى والأدنى للخلقة وأشرت إلى أنواع كل من المرتبتين والفرق بين الرجل والمرأة؛ ومن ذلك أن عدداً من الرجال لو تم تقسيمهم إلى خمس مجاميع وفقاً لسجايا وصفات معينة فإن نفس العدد من النساء سيقسم وفقاً لنفس السجايا إلى أكثر من خمس مجاميع مما يدل على تنوّعهن أكثر من الرجال وهي ميزة لهن عليهم.

حريّ بالرجل أن يقر في نفسه الفضل الذي للمرأة في مقابل الرجل ويكسر الطوق الذي حدّ به المرأة عبر الاستعانة بمطرقة المقررات الإلهية، ويعتبر أنها معنية بالقوانين والشروط الإسلامية والاجتماعية شأنها في ذلك شأنه، ولها في الحقوق الإسلامية ما له ﴿**ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف**. . .﴾[1]، علماً أن الرجل العامل بالقوانين الإسلامية لا يرى لنفسه فضلاً على أي امرأة أو رجل آخر ويعرف أن التقوى هي المؤشر الوحيد للأفضلية كما نصّ على ذلك القرآن الكريم ﴿. . **إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم**. .﴾[2].

على العريس أن يدرك بأن البنت الشابة قد نشأت في عائلة لها صفاتها وسجاياها الخاصة، كما يجدر بالعروس، وبمجرد أن تدخل

---

(١) سورة البقرة: الآية، ٢٢٨.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

عش الزوجية، أن تهيء نفسها لوضع كثير مما تعلّمته ودرجت عليه سابقاً جانباً بغية مماشاة الزوج ومراعاة تقاليد ورسوم عائلته وتتغاضى عن كثير مما بنته وتبدأ مشواراً جديداً في التعلم والتأقلم، وفي هذا السياق لا بد من القول بأن من الخطأ جداً التنكيل بالزوجة وأنها تعمّدت القيام بالخطأ الفلاني.

ليس بمقدور الزوجة مطلقاً أن تجعل نظام الحياة مطابقاً لمطاليب وذوق الزوج بالكامل كما أن الزوج لن يستطيع تحقيق النظام المعيشي الذي ينشده والدا العروس لابنتهما.

إذا كنت أنت تقوّم الزوجة، محاسنها ومساوءها، عبر تشخيصها وتمييزها بين الجيد والسيء، فاعلم أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وهو سيد الأحرار وأفضل الأزواج بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقوّم الشخص من خلال تمييزه للأسوأ عن السيء. لا تقارن زوجتك بالملائكة بل قارنها بباقي النساء على أن لا يكون ذلك تدخلاً في شؤون باقي العوائل.. قارنها ابتداءً بوالدتك ـ وهي الزوجة للوالد ـ بعد أن تضع جانباً محبة الأم الفطرية لولدها، فإن رأيت عيباً في زوجتك قياساً بدور الزوجة لوالدتك فارجع وقارنها بوالدتها فإن وجدتها ورثت منها الطباع السيئة فتأمّل بالمستقبل خيراً وتطلّع أن تنزع زوجتك البريئة عن نفسها ما قيّدته به أمها، وترسّخ قدمها في البيت الجديد على أساس المحبة والطباع الحسنة.

في بداية المجلد الخاص بمعاملة الزوجة للزوج «كيف تتعاملين مع الزوج» إن مداراة المرأة ليس من فعال الطفل أو الرجل ذي التصرفات الطفولية.. فالرجل المأمور بذكر اسم الله تعالى عند الشروع بأي عمل، وإلاّ كان العمل أبتر، مأمور أيضاً على صعيد العائلة بـ «ابدأ

بما تعول» فالتعامل الحسن للزوج مع سائر الناس يلزمه أن يكون تعامله حسناً مع زوجته أولاً، وحتى لو لم تكن أخلاقه جيدة مع الناس فليس من الانصاف بل ومن الاجحاف أن يسيىء لبنت قام أهلها بتسليم أمرها بيده لأنه في هذه الحالة قد جاء بأسير إلى البيت لا بزوجة، وللأسف وقوع مثل هذه الزيجات حيث يمكن للمدعي العام الإسلامي أن يتدخل في مثل هذه الظروف، بل من اللازم تدخّله.

أنت إذا تدبّرت في معنى القبلات التي طبعها سيد الكائنات محمد ﷺ على يد ابنته سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام واقتديت بإمامك علي بن أبي طالب وهو يعين أم الحسنين «صلوات الله عليهم أجمعين» على أمور البيت فاعلم أن ومضة من بريق البيت الإسلامي برقت في سماء بيتك، وإذا لم تدرك أو لم تفعل ذلك فحاول أن تطالع وإن لم تستطع فاجلس تحت منبر الوعظ علك تقف على جانب من تعاليم الإسلام.

السلام نعمة إلهية بل هو اسم من أسماء الله جلّ وعلا، وقد أفاضت الأحاديث الواردة عن الرسول الأكرم ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام في كيفيته وافشائه وأدبه، ومن ذلك «يسلّم الصغير على الكبير، ويسلّم الواحد على اثنين، ويسلّم القليل على الكثير، ويسلّم الراكب على الماشي، ويسلّم المارّ على القائم، ويسلّم القائم على القاعد»[1] وكل ذلك من أجل أن لا يشعر من هو في مكان مرتفع بالكبر لأن الحديث الشريف يقول: «البادىء بالسلام بريء من الكبر»[2]... وأنت أيّها الزوج إذا دخلت البيت فسلّم على أهلك «إذا

---

(١) كنز العمال ـ ح (٢٥٣٢١).

(٢) ميزان الحكمة ـ ج (٤) ـ باب «السلام».

دخل أحدكم بيته فليسلّم فإنه ينزله البركة وتؤنسه الملائكة»[1] وهو معنى الآية المباركة ﴿. . . **فإذا دَخلتُمْ بُيوتاً فسلِّموا على أنفُسِكُمْ**. .﴾[2]، هذا فضلاً عن أنك إذا دخلت البيت كنت أنت القائم وإن كانت هي واقفة فإنها مشغولة بأمور منزلية. . إن الإسلام الحنيف لم يترك سلامك هذا دون أجر وإنما خصه بعظيم من الأجر «السلام سبعون حسنة، تسعة وستون للمبتدىء وواحدة للرّاد»[3]، لقد فزت هنا بتسع وستين حسنة بالإضافة إلى كل الحسنات الخاصة بتمتينك للوضع العائلي لأن سلامك على زوجتك المشغولة بترتيب وتنظيم أمور البيت هو بمثابة تثمين وتقدير لها.

حينما تدخل البيت وتسلّم على أهلك، انتبه إلى الردّ جيداً ومدى ارتفاع الصوت فيه فبواسطته تستطيع معرفة ما إذا كانت مهمومة أو عصبية أو متعبة. . اقترب منها وسلِّها وأظهر محبتك لها فسرعان ما ستبوح لك بالسّر؛ فإذا كانت متأثرة لكونها أساءت إليك فبادرها بالقول بأن حتى الغريب لا يعتب ولا ينحي باللائمة على من يرتكب الخطأ سهواً فكيف بي وأنا كل ما لديّ وضعته معك في إناء واحد وفي حياة مشتركة. وإن كانت متوترة الأعصاب بسبب أذية الأطفال فذكّرها بأنك وهي مررتما بمرحلة الطفولة أيضاً وقل لها: إننا أيضاً كنّا نلعب ونتحرك كثيراً ونؤذي الآخرين فلا تقومي بضربهم إذا لا طائل من الضرب وربما يحرفهم عن الطريق المستقيم في الحياة، وعندها يتطلب الأمر جهوداً حثيثة من قبل أهل الفضل لإعادتهم للطريق القويم، ولكِ أن تقرئي الآثار السلبية والمشؤومة لضرب الأطفال في المؤلفات التربوية.

---

(١) بحار الأنوار ـ ج (٧٦) ـ ص (٧).
(٢) سورة النور: الآية، ٦١.
(٣) بحار الأنوار ـ ج (٧٦) ـ ص (١١).

إذا كانت نظافة البيت جزءاً من مهام الزوجة فعلى الزوج توفير أفضل وسائل التنظيف حتى يمكنها القيام بمهمتها على النحو الأكمل وبأقل مجهود ممكن وبالتالي فإن ذلك يعود بالنفع على ربّ العائلة حيث لا أوساخ ولا أقذار يتجمع حولها البعوض والذباب ولا أمراض يصاب بها أعضاء العائلة ولا تكاليف لمعالجة تلك الأمراض، والأهم من هذا كلّه أن مراعاة النظافة في البيت لها آثار إيجابية على الأطفال إذ تعلّمهم على الاهتمام بأمر النظافة والطهارة في حياتهم وبالنتيجة تكون سبباً في زيادة عمرهم جميعاً وفي ظل أجواء تتّسم بالحيوية والنشاط.

هل تعلم أيّها الزوج إلى أيّ مدىً يريد الله سبحانه وتعالى ورسوله الأكرم ﷺ أن يكون ارتباطك بالرسول الأكرم وآل بيته «صلوات الله عليهم أجمعين»؟ بالمقدار الذي بيّنه رسول الله ﷺ حسب ما جاء في الرواية التالية: قال محمد بن مسلم: سمعت أبا جعفر ـ الباقر ـ عليه السلام يقول في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى**﴾[1].

قال عليه السلام: «جاءت الأنصار إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنّا قد آوينا ونصرنا فخذ طائفة من أموالنا فاستعن بها على ما نابك فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودَّة في القُربى**﴾ أي في أهل بيته»[2].

ولقد برهنتُ في مجلد «كيف تتعاملين مع الزوج» إن هذا الكلام دليل على خاتمية الرسول الأعظم ﷺ.

إن ارتباطك برسل الله تعالى وأوليائه عليهم السلام إنما يقوى بحبل

---

(١) سورة الشورى: الآية، ٢٣.

(٢) تفسيرة الميزان ـ ج (١٨) ـ ص (٥٢).

المودة، بينما عرّف الله جلّ وعلا الارتباط بينك وبين زوجتك بأكثر من ذلك حيث نص الكتاب العزيز على ﴿**وجعل بينكم مودة ورحمةً**...﴾[1] ومعناها أنك تحقق في ظل الزواج نجاحات ونجاحات أخرى. أتعتقد أن زواجك من البنت الفلانية لم يكن سوى نقلها من بيت إلى آخر؟ كلا، إنك كنت بمثابة الملك الذي حقق لها أحلامها الحلوة فصارت تعيشها على أرض الواقع. ولكن... ماذا سيحل بها لو رأت أنها وبدل أن تحلق في السماء بأجنحة الملائكة كما كانت تحلم قد هوت في وادٍ عميق لشيطان مخوف تواجه فيه كل أنواع المشقّة والنقمة دون أن ترى أثراً للمودة والرحمة.. أمِنَ المعقول أنك لم تعثر ومن بين كل تلك المليارات على وجه البسيطة، على من تعيش معه بمودة وبرحمة؟! بأي وجه ستقابل ربك غداً وهو خالق المودّة والرحمة؟.

هل أنت مستعد حقاً لأن تتحمل من أجل زوجتك ولو بالمقدار الذي تبديه من قدرة وتفانٍ من أجل شاتك أم دكّانك أو جيرانك أم معلّمك أم رئيسك؟.

صنع رسول الله مع سعد بن معاذ بعد موته ما لم يصنع مع غيره، فلمّا سوّى التربة بيده الشريفة قالت أم سعد: يا سعد! هنيئاً لك الجنة. فقال رسول الله ﷺ: مه، لا تجزمي على ربِّك فإنَّ سعداً أصابته ضمة.. فرجع رسول الله ﷺ ورجع الناس فقالوا له: يا رسول الله، لقد رأيناك صنعت مع سعد ما لم تصنعه على أحد، إنك تبعت جنازته بلا رداء ولا حذاء.. وكنت تأخذ يمنة السرير مرة ويسرة السرير مرّة.. أمرت بغسله وصلّيت على جنازته ولحّدته في قبره ثم قلت: إن سعداً قد أصابته ضمة. فقال ﷺ: نعم، إنه كان في خلقه مع أهله سوء»[2].

---

(١) سورة الروم: الآية، ٢١.

(٢) بحار الأنوار ج (٦) باب (٨) ـ ص (٢٢٠).

أتتوقع أن تقسو بالخلقة دون أن ترى رداً على ذلك؟ قلت مراراً إن ما تعطيك الخلقة إياه على صعيدي الروح والجسم ستستردّه بالكامل وستفعل بك ما تفعل بها ﴿**فمن يعمل مثقالَ ذرةٍ خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره**﴾[1] ألم أنبّه إلى سوء نتيجة الخلق السيىء في هذه الدنيا قبل الآخرة فتصير الأمّ ملكة وهو حال الأب وسيظهر بين الأطفال من هو مصاب بـ «الاسكيروفرن» وسينحرفون انحرافات جنسية فضلاً عن عيوب أخرى، حيث سأذكر ذلك في المجلد الخاص بهذا الشأن.

كان السُّذَّج من الناس في القدم ينكسون في قبور المفسدين مزماراً ويقضون الليلة الأولى في قبر مجاور حتى يعرفوا كيفية ضمّة القبر، في الوقت الذي أدرك الجميع ضمة وضغطة الدنيا.. في الدنيا يكون أحدهم مديناً ويوشك على الافلاس وهو يعيش في بستان كبير، يطرق الباب عليه موظف العدلية، يشعر الرجل بانقباض شديد ويقول لزوجته بأنه في حالة انهيار ولا يستطيع أن يجيب موظف العدلية ولا الدائن! مثل هذا الوضع يكون في القبر حيث تنفتح عين البصيرة ﴿**فبصرك اليوم حديد**﴾[2] ويرى ما يحصل فيه فتأخذه الضغطة والضمّة.

إذا كنت واثقاً من ائتمان زوجتك للسر فأخبرها عن كل ما تسأل وإن لم تكن واثقاً من كتمانها للسر فاكشف لها فقط عمّا لا يضرّ الكشف عنه، واكشف لها أيضاً عن الأماكن التي ستذهب إليها والمجالس التي ستشترك فيها لأن اطمئنان الزوجة من عدم وجود امرأة أخرى في حياة زوجها يعزز من ثقتها بنفسها ويحفّزها على مواصلة مسيرتها الودية معه.

---

(١) سورة الزلزلة: الآيتان، ٧ ـ ٨.

(٢) سورة ق: الآية، ٢٢.

إن الزوجة لتملّ وتضجر من تسقّط الزوج لعثراتها والتذرّع بكل صغيرة وكبيرة وحتى لو قبلت هي بكل نقاط ضعفها فليس من الانصاف ممارسة الضغط عليها بهذه الصورة. كما لا ينبغي للمرء أن يبرهن على قدرته وقوته من خلال فرض الآلام على الآخرين لأن الله جلّ وعلا هو الأقدر والأقوى وهو الناصر للمظلوم، والقرآن الكريم يأمر بالمعاشرة الطيبة بعيداً عن تسقط العثرات والتنكيل بالزوجة ﴿. . . **وعاشروهنّ بالمعروف**. . .﴾[1] ثم لا بد أن يكون الزوج مصدر خير لعائلته حتى يُصنَّف في عداد الخيّرين فقد قال رسول الله ﷺ: «خيركم خيركم لأهلِه، وأنا خير منكم لأهلي»[2] وفي السياق ذاته، قال ﷺ: «ما أكرم النساء إلاّ كريم وما أهانهنَّ إلاّ لئيم».

وجعل صاحب الخلق العظيم محمد ﷺ معاملة الأهل ضابطاً في مستوى الإيمان فقال: «أحسن الناس إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله»[3]، وعنه ﷺ أيضاً: «خير الرجال من أمّتي الذين لا يتطاولون على أهليهم ويحنّون عليهم ولا يظلمونهم»[4].

وكذلك «. . فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهُنَّ بأمان الله واستحللتم فروجهُنَّ بكلمات الله. . .»[5].

وقال ﷺ: «أخذتموهنّ على أمانات الله عزّ وجل لما استحللتم من فروجهنّ بكلمة الله وكتابه من فريضة وسنَّة وشريعة محمد بن عبد الله ﷺ فإنّ لهنّ عليكم حقاً واجباً استحللتم بما

---

(١) سورة النساء: الآية، ١٩.
(٢) مكارم الأخلاق ـ في حق الزوج على المرأة ـ ص (٢١٦).
(٣) بحار الأنوار ـ ج (٧١) ـ باب (٩٢) ـ ص (٣٨٧).
(٤) مكارم الأخلاق ـ في حق المرأة على الزوج ـ ص (٢١٦).
(٥) بحار الأنوار ـ ج (٢١) ـ باب (٣٦) ـ ص (٤٠٥).

أجسامهن وبما واصلتم من أبدانهن ويحملن أولادكم في أحشائهن حتى أخذهُنّ الطلق من ذلك فاشفقوا عليهن وطيّبوا قلوبهنّ حتى يقفن معكم ولا تكرهوا النساء ولا تسخطوا بهنّ ولا تأخذوا مما آتيتموهُنّ شيئاً إلاّ برضاهنّ وإذنهنّ»[1].

وفي حق المرأة على زوجها الذي إذا فعله كان محسناً، قال الإمام الصادق عليه السلام: «يشبعها ويكسوها وإن جهلت غفر لها» وقال عليه السلام: كانت امرأة لأبي عليه السلام تؤذيه فيغفر لها»[2].

وكان مما أوصى به الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ابنه محمد بن الحنفية «.. فإنّ المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، فدارها على كل حال، وأحسِن الصحبة لها فيصفو عيشك»[3].

إن المؤمن، سواء كان إيمانه في مرتبة عالية أم متوسطة، لا تكون القهقهة من صفاته بل يقتصر ضحكه على التبسُّم وهو معنى قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «المؤمن بشرُه في وجهه، وحزنه في قلبه»[4]، فحينما يرى الانزعاج على وجه زوجته لا يقابلها بالضحك وإلاّ كان فعله هذا من الحمق؛ يقابلها بتبسّم وبشاشة تنمّ عن مواساة لها على ما ألمَّ بها ودعوة لتناسيه.

إذا ذهبت الريح بقبعة الأصلع صار عدّاءً كبيراً يسبق الآخرين ليأتي بها، والضحك هنا من قبل الزوج دلالة على صَلَعَ عقله.. يجب أن يكون وقار الزوج هو عرضه وإطاعة الزوجة له طلبه وبعبارة أخرى

---

(١) مستدرك الوسائل ـ ج (١٤) ـ باب (٦٨) ـ ص (٢٥٣).
(٢) الكافي ـ ج (٥) ـ ص (٥١٠) ـ ح (١).
(٣) مكارم الأخلاق ـ في حق المرأة على الزوج ـ ص (٢١٨).
(٤) نهج البلاغة ـ حِكَم أمير المؤمنين (ع) ـ في صفة المؤمن.

أن قوام «شركة الحياة» وقار الزوج وطاعة الزوجة وتوقع كل منهما رؤية الصفة المنشودة في الآخر، وإن ظهرت الصفتان بشكل معكوس فيهما كان ذلك دلالة على اتّسامهما بالحمق..

على كل حال، مثلما أن الأصلع تزداد سرعته في ركضه خلف القبعة المتطايرة كلما كان صلعه أكثر فإن شدة القهقهة أو عرض الابتسامة التي في غير محلّها تعكس مدى درجة الحمق لدى الرجل.

الحماقة على درجات

مثلما توجد آلة لقياس درجة حرارة الجسد وجهاز لقياس درجة الألم، هناك ضابط لقياس درجة الحمق والتهوّر ومدى قوتهما وضعفهما لكن هذا الضابط متنوعة مصاديقه بعضها في «كيف تتعاملين مع الزوج» وبعضها في «كيف تتعامل مع الزوجة»، وإليك ـ عزيزي القارىء ـ ضابط من نوع آخر يحدد حماقة الرجل دون المرأة.. أي أن الزوجة إذا الرجل المهموم بالضحك فإن ذلك لا يكشف عن مدى حماقتها لأن الزوجة تلجأ عادة للانتقام؛ إنها تنتقم من الزوج لتكاسله وضعفه جنسياً، تنتقم من الزوج لتقصيره في توفير الرفاهية المعيشية، تنتقم منه لتهاونه في الاهتمام بوضع الأطفال و..

هناك وسيلة أخرى لتعيين درجة حمق المرأة ذكرناها في مجلد «كيف تتعاملين مع الزوج»، وضحك الزوج أمام زوجته في ظرف غير مناسب ضابط لتحديد مدى حمق الرجل...

ضحك الرجل في مثل هذه المواقف لا يمثل أيّ صورة من صور الانتقام، فانتقامه ينفذه بأساليب أخرى، يترجم انتقامه في الضرب أو السيطرة على الطرف المقابل أو حتى في المباشرة. إذا أراد أن ينتقم لكون الحساء كان مالحاً أو لأن الخبز كان يابساً أو لأنها لم تغسل يدي

ووجه الأطفال فإنه لا يقهقه في هذه الحال ولا يظهر شيئاً يعبّر عن حماقته وإنما يلجأ لأحطّ الأساليب الحيوانية ألا وهو الضرب ابتداءً ومن إتباع أسلوب التقتير على العائلة أو اصدار الأمر بمنع الخروج من البيت أو ملاقاة الأقرباء ليعكس بذلك صورة تجعله في صدارة قائمة المجحفين والقساة، على أن حيوانيته أو اجحافهُ يكون على مراتب ودرجات.

ولو أنكم رافقتمونا ونحن نتجول في عالم الزوج والزوجة، خطوة بخطوة، فستقفون عن كثب على الأضرار الناجمة من جراء افتقار حياتهما الزوجية للمودة والرحمة بسبب ابتعادهما عن الدين، أما بيت الزوجية الذي تكون المودة والرحمة ثمرة الزواج فتزهو فيه السجايا الخلقية وتتجسد فيه درجة الآدمية وتعلو فيه كلمة الانصاف. قد يسأل سائل: ماذا أفعل حتى أمنع نفوذ عوامل التلوث والاضطراب إلى حياتنا؟ عليك أن تجعل مبدأ البراءة هو السائد لمنهجك في الحياة، لا مبدأ الاتهام.

ولعلك تهدأ ويرتاح بالك حينما تجد أنّ الإمام علياً الهادي عليه السلام يحدد المعيار في الأخذ بحسن الظنّ أو الأخذ بسوء الظنّ فيقول عليه السلام: «إن كانَ زمانٌ العدلُ فيه أغلبَ من الجورِ فحرامٌ أن يُظنّ بأحدٍ سوءاً حتى يُعلم ذلك منه، وإذا كان زمانٌ الجور أغلبُ فيه من العدل فليس لأحدٍ أن يَظنَّ بأحدٍ خيراً ما لم يعلم ذلك منه»[1]، لك أن تحقق ولو بصورة اجمالية بشأن الوسط الذي تعيش فيه فإن رأيت الصلاح هو السمة الغالبة فعليك أن تحمل قولهم وفعلهم على الصحة وإن رأيت العكس فعليك أن تتبيّن حقائق الأمور. بيد أن التحقيق

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج (٥) ـ باب الظنّ.

والتثبُّت لا يصدق على عائلتك فالمرأة زوجتك والأطفال أولادك وغالب طباعهم وسجاياهم موروث منك، إن كنت طيباً فمبدأ البراءة هو السائد وإن كنت سيئاً فليرحمك الله تعالى. عليك أن تعمل لسيادة مبدأ البراءة على أجواء العائلة فمصير الأولاد متعلق بك وبمنهجك سواءً كنت طيباً أم سيئاً. إن خمساً وسبعين بالمائة من شخصية الأولاد يتم بناؤها في البيت، في اطار العائلة، وإذا لم تكن تؤمن بسيادة مبدأ البراءة وضرورته فأنت من المفسدين لأنك قلبت معايير تربية الأولاد رأساً على عقب **﴿وإذا تولّى سعى في الأرض ليُفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحبُّ المفسدين﴾**[1].

نعم؛ أنت بهذا الشكل كالقبطان الذي يتسبب في تحطم وغرق السفينة وهلاك ركابها، بفعلك هذا حطمت شخصية العائلة بأعضائها، أنت مفسد والمفسد بعيد من الله تعالى بعيد عن الرحمة الإلهية قريب من النار. لا بد أن يسود مبدأ البراءة وعليك أن تتأسى بالإمام الباقر عليه السلام حيث كان يعفو عن زوجة له تؤذيه، أنت أيضاً عليك أن تعفو وتسامح وإلاّ آل الأمر إلى العنف ومهّدت لأولادك أن يركبوا جادة الانحراف الجنسي أو عملت على ضياعهم، ولك أن تطالع تفاصيل ذلك في المجلدات الخاصة بالتربية.

لا يصح للرجل أن يعيّر ويوبّخ زوجته بأنها لا تجيد الطبخ أو لا تعرف كيف تغسل الأواني والصحون فهي تستطيع المطالبة بأجر إزاء كل عمل تؤدّيه لك في البيت وعليك حينها أن تعطيها الأجر كما تعطي أجيرك أجره مع الفارق، فأجيرك تستطيع استبداله إن لم يحسن عمله بينما أنت مجبور على تحمل الزوجة مهما كانت ضعيفة التدبير لأن

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢٠٥).

ضياع الأولاد موضوع يهددك في كل خطوة تقدم عليها ضد الأم، بل إن كل خطوة وكلمة مهما كانت صغيرة فإنها ستترك أثرها في شخصية الطفل. يفترض بك أن تنبهها إلى نقاط الضعف وما إلى ذلك بصورة مؤدّبة تشعرها بالخجل من نفسها، إذا لم تخط زرارة قميصك رغم تذكيرك لها مرات عديدة فقم أنت بإخاطته واعلم أنها إذا عرفت أنك قمت بإخاطة الزرار بنفسك فسترتعش خوفاً من تدخّل امرأة أخرى في حياتها ولو بمقدار تركيب الزرار، إن سألتك: من الذي خاط الزرار؟ فأجبها بأنك أنت الذي فعلت ذلك، رغم أنها لن تصدق كلامك بسرعة وهنا عليك أن تقنعها بطريقة ما بأنك لا تكذب عليها كأن تتحدث لها عن بحثك عن الابرة والخيط وأين وجدتهما فهذه الأمور تهدّأ من روعها.

حينما تطرقنا لموضوع الضحك في غير موقعه، نسيت أن أتحدث عن البكاء الذي في محلّه. أشرنا إلى تنوّع المرأة وفقاً للسجايا وتفوّقها في ذلك على الرجل وتضمن ذلك البحث أن المرأة تمتاز بعاطفة خاصة دون غيرها. إذا حضر في مجلس عزاء الإمام الحسين عليه السلام عشرة رجال وعشر نساء كلهم يذرفون الدموع مع ذكر مصاب أبي عبد الله الحسين عليه السلام فإن وجد بين الرجال شخص يبكي مصابه هو في هذه الأثناء فمن المحتمل أن يكون بين النساء ثلاث يبكين همهنّ ومشاكلهنّ، ولذا فبكاء الرجل لا يتناسب مع رجولته، غير أن هناك أمران لا ينبغي تجاهلهما:

الأول: إن البكاء يفصح عن وجه آخر للرجل وقد يخبّىء وراءه الدواهي، وتنص مذكّرات كبار الساسة على أنهم ذرفوا الدموع في مواقف خاصة وقد أقرّ رئيس الوزراء البريطاني في زمان الحرب العالمية الثانية «تشرشل» بذلك في مذكّراته، لكنه يجدر بك أن تلزم الحذر إذا ما

شاهدت أحد المستكبرين أو المترفين وهو يذرف الدموع فربما تحوّلت هذه الدموع إلى صفعة يرنّ صوتها في آذان المستضعفين من الناس.

الثاني: هناك بكاء اختص به الأنبياء عليهم السلام وأولياء الله تعالى والمؤمنون حيث يقضون ليلهم في ذرف الدموع خوفاً وخشوعاً في مقابل الذات الإلهية المقدسة، على عكس الخلفاء وكثير من ولاتهم الذين قضوا لياليهم بل وأيامهم أيضاً في الرقص والفساد واللهو والشراب، والعياذ بالله تعالى. البكاء من هذا النوع يحظى بأهمية بالغة بحيث يعتبره الإمام علي عليه السلام وسيلة يقدّمها المرء للّه جلّ وعلا ليحميه من الشيطان الرجيم والذنوب والنار «... ارحم مَن رأسُ مالهِ الرجاء وسلاحه البكاء...»[1].

ولذا إذا شوهدت دموعك تنهال على وجنتيك، سوى ما كان منها من مخافة الله تعالى أو على أوليائه، فاعلم أن مطرقة حديدية قد هوت حينها على رؤوس الأولاد. وتيقّن أن لدموع الخوف من ربّ العزة وقعاً مؤثراً جداً في نفوس الأولاد قد يفوق أثر كل عبادة يشاهدونها وأنت تؤدّيها.

إن زوجتك وطفلك ووالديك لم يتصور أي منهم أنك بحاجة إلى ذرف الدموع وما أكثر ما تثير مثل هذه الدموع دهشة الحاضرين! ماذا حصل؟! ما معنى ذلك؟! ويعجّ المكان بالاستفهامات.

ولذا كان من الضرورة بمكان أن يكون بكاء الرجل تلبية لما يعزز الجانب المعنوي للعائلة، لا لشيء آخر.

إذا طلبت الزوجة منك تغيير عملك أو مهنتك فاعمل أوّلاً على

---

(١) دعاء كميل لأمير المؤمنين عليه السلام.

تقويم كل ما له صلة بشغلك وأعطه درجة عليه ثم قارنه مع الشغل المحتمل وما به من مزايا فإن توصّلت إلى النتيجة فتمسّك بالشغل الذي يوفر لك ولعائلتك من وسائل الترفيه والراحة ما تمكنك من العيش بصورة أفضل دون الابتعاد عن المنطقية والموضوعية، فالعيش الأفضل يكون أحلى وأهنأ إذا صاحبه العقل لا في بيت مساحته آلاف الأمتار، ولقد ثبت أن الأرصدة المالية الوافرة تقف حجر عثرة في كثير من سبل نمو العقل. لا تكن كأبي لهب الذي يوبّخه الرَّبّ الرحيم بصورة بحيث وكأنه تعالى يعطف على زوجته السيئة الصيت ولا تكن كزوج زليخا الذي أطلق لها العنان في أن تنفق ما تنفق من أجل أن توقع الغلام في شراكها.

تبّت يدا أبي لهب الذي ما شبعت نفسه من الأموال المكدّسة وهو منهمك فقط بزيادتها، ولتأخذه ألسنة النيران هو وزوجته الحمالة للحطب. كان أبو لهب الملعون يحمّلها الحطب بواسطة حبل من جريد النخل لأنه أرخص قيمة من الحبل القطني ثم يحاسبها على قيمة الحبل والفوائد المترتبة عليها خلال مدة استعماله. تبت يدا أبي لهب لوقوفه أولاً أمام تنامي عقله بانشغاله فقط بالربا وزيادة رؤوس أمواله بهذه الطريقة، وتبّت يدا أبي لهب لاجبار زوجته على نقل الحطب رغم ما يملكه من ثروة ورغم قدرته على استئجار الآخرين، كان يجبرها على حمل الحطب بواسطة أسوأ أنواع الحبال أي خلافاً لما يريده الله جلّ وعلا في توفير وسائل الراحة والرفاه للعائلة حيث ورد عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: «أرضاكُم عند الله أسبغكم على عياله»[1].

---

(١) وسائل الشيعة ـ ج (٢١) ـ باب استحباب التوسعة على العيال.

وعن الإمام الرضا عليه السلام قال: «ينبغي للرجل أن يوسّع على عياله لئلاّ يتمنّوا موته»[1].

وعودة أخرى للإمام السجاد عليه السلام وهو يقول: «لئن أدخل السوق ومعي دراهم ابتاع بها لحماً لعيالي وقد قرموا أحبّ إليّ من أن أعتق نسمة»[2].

على أي حال؛ في الوقت الذي يقف الفقير على حافة الكفر، يقف الكنّاز على حافة الحماقة.. الأول يشكو القلّة والثاني متخوم بالكثرة، وكلاهما بعيدان عن حدّ التوسّط والاعتدال، والهلاك نصيب كل من خرج عن الحد.

يتحرك مؤشر البطالة بين مستوى الاعتدال إلى شدة الفقر، ولأن العاطل رسول الفقر فهو مؤشر على نوع من الكفر. لقد كان الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أول ما يسأل من الشاب حينما يراه يسأله عن عمله، فإن جاء الجواب «عاطل عن العمل» أدار الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عنه وجهه وقال «سقط من عيني»، بمعنى أنك لن تكون ذا قيمة في نظر المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذا كنت عاطلاً عن العمل، بل أنت حينها رسول الكفر.

رغم علاقتي الكبيرة بالقضايا الاقتصادية ومطالعاتي في هذا الصدد إلا أنني لم أر كتاباً يقنعني بأنه أدّى حقّ الإسلام الحنيف والقرآن الكريم أو أشار إلى دقائق أمور الفقه الإسلامي حول الاقتصاد في الوقت الذي يبيّن القرآن الكريم أهمية الاقتصاد ووزارته في الدولة عبر الحوار الذي تم بين فرعون مصر والنبي يوسف عليه السلام: **﴿وقال الملك ائتوني به أستخلصْهُ لنفسي فلمّا كلَّمهُ قالَ إنَّكَ اليوم لدينا مكينٌ أمينٌ قال**

---

(١) من لا يحضره الفقيه ـ ج (٢) ـ ص (٣٩) ـ ح (١٦٨).
(٢) الكافي ـ ج (٤) ـ ص (١٢) ـ ح (١٠).

اجعلني على خزائنِ الأرضِ إنّي حفيظٌ عليم﴾[1] أن يكون مسؤولاً على وزارة الاقتصاد حسب اصطلاحنا المعاصر، في حين أن الوزارة الرئيسة والبنّاءة التي إذا سيطر عليها الاستعمار يكون قد سيطر على البلد كلّه وإن كانت بيد أهلها مات الجميع وهم أحرار هي وزارة التعليم والتربية.

صحيح أن الأنبياء عليهم السلام يرسلون كوزراء للتربية والتعليم ﴿**كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة..**﴾[2]، وصحيح أن النبي يوسف عليه السلام قبل بهذه الوزارة لما عرفه من جدب وقحط سيحل بهذه المنطقة إلاّ أنّ ذلك يعكس في نفس الوقت مدى أهمية الاقتصاد ويصنف أهمية اشباع البطن في المرتبة الثانية بعد تغذية العقل بل القلب، وفي كل الأحوال إن الله جلّ وعلا وأنبياءه عليهم السلام يريدان الاثنين دون البطالة التي هي مدعاة لسقوط الشخص من عين الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

الملفت للنظر إن الرجل يمكن أن يكون عاطلاً والداعي في نفس الوقت، إلى مركز الكفر بينما المرأة لا يمكنها ذلك وهذا اختلاف آخر بين الرجل والمرأة يسجل فضلاً للثانية على الأول لأن على المرأة حينما تبلغ بطالتها وكسلها الذروة أن لا تنسى إن صوت تقاطر الماء من صنابير المطبخ يطرق أسماعها أو أن رائحة احتراق طهيها ما زالت تعم أجواء البيت، وهي بالفعل لا تنسى ذلك وتحاول معالجة الموقف بشكل أو بآخر.. لكن المحيط الخارجي للبيت ساحة لبرهنة القيم الرجولية، فربما عاد الرجل إلى البيت صفر اليدين لأنه لم يبحث عن عمل له ولم يكدّ في طلب الحلال.. عند دخول الدار أراد أن يسلّم عملاً

---

(١) سورة يوسف: الآيتان، ٥٤ ـ ٥٥.

(٢) سورة البقرة: الآية، ١٥١.

بالاستحباب ويقول «السلام عليك يا رسول الله..» فتذكّر مباشرة أن الرسول ﷺ سيسأله بعد الردّ على السلام عن عمله. أجاب: أنا عاطل.. سقط من عيني.

أما النمط الآخر فيقول الرسول الأكرم ﷺ بعد أن يردّ عليه السلام: ما هو عملك؟ يا رسول الله انظر إلى ما في يدي تكسبت واشتريت لزوجتي وأولادي ما يسدّ رمقهم. حينها يضع الرسول الأكرم يده على ظهر الرجل ويقول مرحباً بك ثم يمنحه رتبة أعلى حيث يبشرّه بالقول «الكاسب حبيب الله».

وشتان ما بين هذا الكاسب المحبوب وبين ذلك العاطل المنبوذ «سقط من عيني».

الكاسب مجاهد في سبيل الله تعالى على حدّ الحديث الشريف: «الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله»[1].

الكاسب يكدّ من أجل رفاه وراحة عياله وإن بادر بعد عودته للدار بمساعدة زوجته في أعمال البيت فهو من المتأسّين بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي كان يبادر في البيت إلى مساعدة زوجته الطاهرة البتول عليها السلام. في هذا الاطار نقرأ الرواية التالية حيث يخاطب الرسول الأكرم ﷺ الإمام علياً عليه السلام فيقول: «اسمع مني يا أبا الحسن. وما أقول إلاّ من أمر ربي: ما من رجل يعين امرأته في بيتها، إلاّ كان له بكل شعرة على بدنه عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها.. يا علي، من لم يأنف من خدمة العيال دخل الجنّة بغير حساب. يا علي، خدمة العيال كفارة للكبائر، وتطفىء غضب الربّ، ومهور حور العين، وتزيد في الحسنات والدرجات. يا علي، لا يخدم العيال إلاّ صدّيق أو

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج (٤) ـ باب الرزق ـ طلب الحلال.

شهيد، أو رجل يريد الله به خير الدنيا والآخرة»[1] «الجنة تحت أقدام الأمهات»[2].

تسمّى البنت أمّاً منذ تكوّن الجنين في رحمها «الجنّة تحت ظلال السيوف»[3].

هو محل السيف والجهاد في سبيل الله تعالى.

يتضمن الحديثان قواسم مشتركة كثيرة.. على الرجل أن يضرب بالسيف لوجه الله تعالى حتى يدخل الجنة وعلى الأم أن تقبل أن تكون أمّا لكي تكون معه من الداخلين.. الأم تضع قدمها على أرض الجنة والجنة تحنو أمام سيوف المجاهدين.. الأم تربي المحبين والأصدقاء والأب يقتل الأعداء وكلاهما يبني الجنة لبنة لبنة والدولة التي لا يحمل رجالها السيف لن يكون لها أجيال غيارى ورغم أن هذا الموضوع مرتبط بالأساس بأسلوب التربية إلاّ أنه بمثابة تنبيه للزوج لأن العقل الذي عرّفهُ الإمام الصادق عليه السلام بالقول: «ما عبُد به الرحمان واكتُسب به الجنان»[4] يقضي بأن تبقى قوة السيف بيد لرجل ويبقى ثقل الذرية عند اقدام الأمهات، فأحياناً يجب الضرب بالسيف وأخرى يسلتزم الأمر أن يكون للزوجين ولد فلا بد أن ينجبا وزمان الانجاب بيّنته في مجلد «الصحة وتحديد النسل».

إن مسؤولية الأب أثقل وأكبر، فالأم التي الجنة تحت قدميها يحمّل الزوج مسؤولية مضاعفة لا سيما فيما يتعلق بشؤون الأولاد في

---

(١) جامع السعادات ـ ج (٢) ـ الانفاق على الأهل والعيال.
(٢) كنز العمال ـ ح (٤٥٤٣٨).
(٣) كنز العمال ـ ح (١٠٤٨٢).
(٤) ميزان الحكمة ـ ج (٦) ـ باب العقل.

حين أن مسؤولية الأم في مقابل «ظلال السيوف» تكون محدودة وفي أوقات معينة، ثم ما أطرف تعبير «ظلال السيوف» وكذلك «تحت أقدام» لا «ظلال الأقدام» ذلك أن قتل العدو لا يتحول إلى عضو من أعضاء الإنسان بل يكون مدعاة للفخر والمحبة في العائلة.

حقوق الزوجة

الناس مسلطون على أموالهم.

والإسلام الحنيف يقرّ للأفراد الاستقلالية في الملكية.

حتى لو تزوّج الرجل بعد علاقة حب ممن تفوقه من الناحية الاقتصادية فإن النفقة تقع عليه ولا تسقط عنه. أضف إلى ذلك أن عليه تجنّب الإشارة إلى ثروة أو ملكية زوجته إذا ما توقع أن ذلك قد يدفعها للعمل على فرض سيطرتها على البيت، بل ويعتبر أنه جاء ببنت فقيرة إلى بيته متناسياً وضعها المادي الجيد كلياً.

ليس للزوج أن يأخذ من زوجته الموظفة راتبها الشهري أو دخلها من جراء بعض الأعمال كالخياطة للآخرين مثلاً، أو أن يستفيد من أموالها وإن فعل فهو ممن يمارس السلطوية في البيت، وهاتان الحالتان «سلطوية الأم وسلطوية الأب» لهما أضرار لا يمكن تعويضها وذكرت سابقاً بأن الإسلام الحنيف يرفضهما معاً.

ولو عمل الزوج على ما يدفع الزوجة للتنازل له عن ملك أو مال بدافع الاستحياء منه فعمله يتنافى مع التعاليم الإسلامية لأن الرسول الأكرم ﷺ قال: «المأخوذ حياءً كالمأخوذ غصباً».

لا بأس أن يفرح الزوج لوجود دخل خاص بها من جهة أنه مدعاة

للترف والتنوّع لا من جهة توفّر مصدر آخر للانفاق والنفقة. إن جرأة الزوج تضعف أو يقل مفعولها في مقابل الزوجة المتمكنة مادياً كما أن جاذبيتها تتبدد في مقابل الزوج في حين تحتاج الزوجة دوماً إلى الاطراء والإشادة بجمالها. وعلى نحو الإجمال نقول بأن الرجل لا يستطيع تجاهل الوضع الاقتصادي للزوجة المتمكّنة مادياً كلياً كما أنها فقدت بأفول جاذبيتها التي يصعب تعويضها عاملاً ضرورياً في شخصيتها كامرأة.

ثم يكفيك أيتها الزوجة فهماً وادراكاً أن لا تصرّي على أن يفكّر زوجكِ بالطريقة التي تفكرين بها بل من الأفضل أن تتحركي أنت باتجاه ما يفكر به زوجك وثقي بأنكِ لم تتزوجي بمن كنت تتمنيه شأنكِ في ذلك شأن الأخريات من البنات. رغم كل التشابه بين الأجسام إلا أنه لا يوجد تشابه كامل بين شخصين بالشكل فكيف يُتوقع أن يكون هناك شبه في السجايا والصفات بين شخصين خاصة إن السجايا لا تحدّها حدود كالجسم بل يتسع أفقها إلى اللانهاية. إذاً يترتب على المرأة وكذلك الرجل أن يعرفا بأنهما كانا قبل الزواج وفي بدايته يرسمان صوراً خيالية في ذهنهما عن هذه العلاقة ويقبل كل منهما أن عليه التعلّق بالآخر في حياة مشتركة. الطيبون قلائل والعشق مبدأ مفروغ منه في علم النفس، فلطالما سكن رجل قبيح المنظر قلب امرأة تقدر وتحترم الفن بسبب مهارته في العزف أو الكتابة ولطالما سقطت الفتاة التي ترى الثروة مظهراً للكمال في هوى ثري غير وسيم أخذ العمر منه مأخذه؛ أي أن صفة واحدة تغطي كل القبائح والعيوب وتصوغ من الحبيب هيئة جميلة ومحببة سواءً كان هذا الجمال ظاهراً فيه أم مستوراً.

رغم أن المرأة يجب أن تكون على النحو الذي يحبه الزوج، وهو عين ما يريده الإسلام الحنيف من أن تلبس أو تظهر بالمظهر الذي يطلبه

الزوج منها، ورغم أنه ينبغي للرجل أن يتهيأ لزوجته وإلاّ فسدت كما فسدت نساء اليهود. إلاّ أن عليهما أن ينتبها إلى أن تقليد الغرب في تقليعاته وتصرفاته يعني الاقرار لهم بالأفضلية والرغبة منّا في السير على خطهم ومنهجهم في حين أن السير على ما تقتضيه الفطرة وما تحمله من سجايا وخصال أفضل دوماً من السعي لاكتسابها من الآخرين بالتقليد. . من هذا المنطلق صار الأفضل للمرأة المسلمة أن لا تحيد عن اتباع ما ألفَتْ عليه آباءها وأجدادها من منهج قائم على أساس الدين الإسلامي الحنيف.

المتفق عليه في الشرق والغرب هو هروب المرأة من الرجل البعيد عن الشجاعة والقوة وعلامات الرجولة وهروب الرجل من المرأة التي تنعدم فيها الرّقة والظرف والمشاعر المرهفة وتظهر بمظهر الرجل. ولأن الأخلاق والميول تترك أثرها على شكل وهيئة المرء حيث المتقي والزاهد تطغى عليه النورانية والمقامر والمدمن له مظهر آخر فإن التنوّع في الشكل والخصال تتضح أكثر مع تقدم العمر. إن الأطفال الذين لم يختصوا بعد بخصال معينة يشبه بعضهم الآخر ثم يظهر الاختلاف والتنوّع مع نموّهم ثم ما أكثر التوائم الذين يصعب التمييز بينهم في الصغر وإن كبروا سهل التمييز بينهم بسبب تطبّع كل منهم على صفات وخصال خاصة.

الأمر ذاته ينطبق على الأمم المتوحشة فهي تشبه بعضها الآخر أكثر من غيرها وما أشبه الغرب ببعضه ولذا فإن التشبّه بالغرب نوع من الميل نحو الوحشية والرجوع إلى الوراء ونبذ التنوّع.

ذكرنا سابقاً أن المرأة أكثر تنوعاً من الرجل مما يسجل فضلاً لها عليه. .

ونشير هنا إلى أن الأنثى أجمل من الذكر في عالم البشرية على عكس ما هو موجود في سائر الحيوانات التي هي أقلّ تنوّعاً من عالم الإنسان، فالذكر في عالم الحيوانات هو الأجمل والأظرف، وعلى هذا كان تقليد الآخرين نوعاً من فقدان الأنسنة فضلاً عن الاقرار بأفضلية للطرف المقابل، وبالنسبة للمرأة يكون التقليد موجباً لخروجها عن طورها وعدم مواكبتها لما تتسم به الأنثى وما يتصف به الإنسان.

ومن المناسب أن تعلم ـ عزيزي القارىء ـ بأن من دلائل تفوق جمال الذكر في الحيوانات على الأنثى سعي الأخيرة لكسب ودّ الأوّل واختيار زوج لنفسها وإن حصل العكس فذلك يعني بأن جمال الذكر لا يفوق بتلك الصورة جمال الأنثى التي اختارها لنفسه، أما الحال لدى الإنسان فبالعكس حيث يبادر الرجل في الأعمّ الأغلب لخطبة المرأة التي هي الأجمل ولا الأظرف.

الميزة الأخرى للاناث على الذكور في عالم الإنسان هي توفّر عوامل الجمال بين النساء أكثر من توفر عوامل الرجولة عند الرجال مما يعد تنوّعاً آخر لهن.. ينبغي للزوجة أن تستفيد من تلك العوامل في التهيّؤ والتجمّل لزوجها فقط لا لغيره كما يأمر بذلك الإسلام الحنيف «أيّما امرأة تطيّبت لغير زوجها لم يُقبل منها صلاة حتى تغتسل من طيبها كغسلها من جنابتها»[1]. إن المرأة حتى لو اتصفت بصفات الكمال فإنها لن يقال عنها جذابة ما لم تملك عوامل الجمال الأنثوي وما لم يكن لها مظهر يُتوسم فيه الجمال، وفي المقابل يفقد الرجل مكانته ووقاره إذا افتقرت شخصيته للرزانة وسمات الرجولة الحقة. وخلاصة القول هي أن كلاً من الزوجين يكمل أحدهما الآخر، فهي قادرة على أن تكون،

---

(١) مكارم الأخلاق ـ في حق الزوج على المرأة ـ ص (٢١٣).

بما تملكه، المكمّل للصفات الخلاقة في شخصية زوجها وهو قادر أيضاً على البلوغ بجماله الباطني مرحلة الكمال بواسطة الجمال الظاهري لزوجته وللاثنين أن يفهما الآخرين بهذا الموضوع بشكل أو بآخر.

في المجلس الذي يحضره الزوج المتزن والمتفاخر بجماله المعنوي، تتحدث الزوجة أكثر مما تتحدث في مجالس أخرى فتستشهد بأقوال زوجها وتلوح إلى حبه لها، وإذا كانت الزوجة جميلة تضفي بجمالها طراوة وحسناً مضاعفاً على الجمال الباطني والمعنوي للزوج فإنه غالباً ما يفضل الصمت بدافع «الغيرة» فهذه السجية تتغلب في مثل هذه المَواقع على باقي سجايا الزوج وتكون الحافز له للدفاع عن زوجته إن لزم الأمر، أي أن الجمال الظاهري للمرأة يكمّل الجمال الباطني للزوج. هناك عاملان مهمّان في تعزيز الجمالين الظاهري والباطني لكل من المرأة والرجل على التوالي وهما الشَّعر لدى المرأة والكتاب لدى الرجل، فللمرأة أن تظهر بالشكل الذي تحبه عبر تغيير تسريحتها بينما الرجل يستطيع الظهور بصورة الكتاب الذي يقرؤه، والحديث في هذا الباب يحتاج بحدّ ذاته إلى كتاب مستقل به.

لكن الشيء الذي ينبغي ذكره هنا هو أن الشابّ والشابة المتزوجين اللذين يذوب أحدهما في الآخر حباً، عليهما أن يعملا على تهذيب نفسيهما والسير على طريق التكامل وصولاً إلى المودة والرحمة التي يمكنها لمسها معاً، كما أنبأ بذلك القرآن الكريم. . على الشاب أن ينمّي في نفسه الصفة التي تحبها زوجته وذلك رغبة في المزيد من التقرّب إلى قلبها، وإن رأت الشابّة أن زوجها يفضل المنهج وطريقة العيش الفلانية فعليها أن تعمل على تطبيقها بغية تقليل الفاصل بينها وبينه إلى أدنى حد وسعي الاثنين هذا كفيل بسيادة المودة والرحمة أجواء العائلة، فبالمودة

تزول الفواصل وتقوم المساواة وبالرحمة يرفض أحدهما الخصال الممقوتة للآخر فمثلاً يلتفت الزوج إلى أن زوجته تحب الاستغابة فيعمل وانطلاقاً من «مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» ورفض الرأي العام للغيبة، على الابتعاد عن الغيبة مسجّلاً امتعاظه منها وهذا الفعل بحد ذاته رحمة للاثنين جاءت بعد أن ترسّخت المودة بينهما[1].

الظريف أنه قلّما شوهدت امرأة لا تهتم بمظهرها وزينتها أمام زوجها أو لا تتقرّب إليه من هذا الباب، وهي في نفس الوقت مستعدة للتخلّي عن الصفات الممقوتة واكتساب الممدوحة أملاً في المزيد من التقرّب للزوج، أما الرجل المقصّر في ممارسة الأساليب الكفيلة باستمالة الزوجة يلجأ إلى تعزيز قواه العقلية.

(١) إن الدين الإسلامي الحنيف يعتبر في اطار تعاليمه السامية للزوجين، الظهور بالمظهر الذي يريده الطرف الآخر وسيلة ناجعة لتقرّب كل منهما للآخر وبالتالي تعميم أجواء المودة والرحمة في العائلة.

المرأة في أحضان المشاعر الإسلامية

ليس لأحد أن ينكر بأن استمالة الصالحين والطيبين أمرٌ يستحق الثناء، وليس للمرأة أن يزيغ بصرها إلى رجل غريب بصفته أفضل من زوجها ولذا وجب عليها أن تتزيّن لزوجها فقط ولزم منه أن يلبّي طلبها.

أمّا لماذا لا ينبغي للمرأة أن تنظر إلى غريب باعتباره أفضل من زوجها؟ ولماذا لا ينبغي للرجل أن يكون اهتمامه بزوجته أقل من اهتمامه بغيرها؟.

بإلقاء نظرة على تصنيف الحيوانات، نلاحظ بأن قوة الاختيار في النوع الواحد تتناسب طردياً مع سلّم رقيّ الخلقة ولذا كانت القدرة على الاختيار والانتخاب لدى الإنسان في أوجها بل هي واحدة من أبرز ما يميّزه عن الحيوان، ويتجلّى هذا الاختيار في أهم مصاديقه عبر اختيار الزوج. إن الحشرات والديدان لا تختار لنفسها زوجاً فكلّما تقابل ذكر وأنثى منها فعلا فعلهما وانصرفا أما الأسماك والطيور والثدييات فلها على التوالي قدرة أكبر على الاختيار الذي يكون ضمن صلاحيات الأنثى، وهكذا إلى أن نصل إلى الإنسان إذ نجده يمتلك قدرة استثنائية على الاختيار، وإلى الحدّ الذي يسعى الرجل فيه وعبر اختياره للزوجة إلى تحسين صفات الأولاد الذين هم ثمرة مباشرته لها. الرجل القصير

تكملّه الزوجة الطويلة والمرأة الجبانة تفضل الزوج الشجاع، ولهذا فإن الاختلاف الشديد بين سجايا وصفات كل من الزوج والزوجة هو في الحقيقة سبب لتكميل أحدهما الآخر.

في الوقت الذي تتقدم عجلة عالم الفيزياء والديناميكية نحو الأمام، يحث العالم المعنوي غير الديناميكي الخطى باتجاه التوحيد والسير على الخط الإلهي، وانطلاقاً من كون الإنسان يقف عن أعلى درجة من سلّم الخلقة ويمتلك أعلى مراتب القدرة على الاختيار فإنه لا ينبغي للمرأة أن تنظر لغير زوجها أو الرجل لغير زوجته على أنها الأفضل، والفطرة تقضي بأن الرجل حتى لو غرق في حب امرأة جميلة فإنه لن يرضى عنها إذا ما أرادت أن تسيىء لأم أطفاله.

لا شك أن الرجل يحب المرأة التي تكون بمثابة المكمّل لشخصيته وهي أيضاً تحمل نفس الشعور، لكن هذا الحب لا يُدرك دوماً لوجود قوى أخرى أكثر تحكماً بالإنسان ويطلق عليها أسماء الثواب والعقاب أو الصواب والخطأ حيث تلقي هذه بظلالها على المشاعر الخاصة بحبّ من يكملّه. فقد يحب الرجل فتاة تكمّل سجاياها سجاياه لكنه يقدم على الزواج من أخرى كان له معها الاحتضان الأول ـ والرجل لا ينسى أبداً الاحتضان الأول ـ رغم أنها لا تتمتع بسجايا أو خصال الفتاة، ومن هنا ندرك معنى تركيز الإسلام الحنيف على عامل التديّن لدى الشاب والشابة دون عامل الثروة علماً أن الشباب الأثرياء أغلبهم يبحث عن فتيات من عوائل ثرية.

تبلغ الحيوانات ذروة غريزتها الجنسية في فصل تكون ولادة الاناث منها في وقت يكثر فيه الغذاء ويسهل الحصول عليه. تبيض العصافير في وقت يكون تفقيسها وخروج صغارها متزامناً مع حرث

الأرض وتوفّر الديدان ـ غذاء العصافير ـ بمقدار كافٍ على سطحها. ويباشر فحل الغزال الأنثى في وقت بحيث تكون ولادتها متزامنة مع اخضرار الأرض وتوفّر الأعشاب الطرية والمناسبة لصغار الغزال.. لكن الزمان الأمثل لتمتع المرأة وممارستها الجنس من زوجها وبالتالي الانجاب يكون عندما يسود الهدوء بين عوائل الجانبين وتربطها علاقات ودية وحميمة. وإن وُجد رجل ذو همّة وأبيٌّ كالنبي زكريا عليه السلام ووالدة كالسيدة مريم عليها السلام فعندها سينزل للحبلى غذاء من فصل آخر في المحراب وسيتساقط للوالدة ثمر شجرة يابسة في غير فصل إثمارها ولذا لا بد من أن تحاط الحبلى بالرعاية فلا اضطراب تشعر به ولا قلق يساورها وهذا الوضع ينبغي توفيره لها أيضاً في فترة الرضاعة، وقد شرحت الأعراض الناجمة عن عدم توفّر هذه الرعاية في المجلد الخاص بالموضوع.

صحيح أنه يكفي المرأة همّاً وغمّاً أن تخضع وتقبل الظروف والضرورات القاسية للحياة الزوجية ومنها النهوض بمسؤولية إدارة حياة عائلة بكاملها إلاّ أن عدم زواجها يعني في أحد أوجهه أنها لم تؤمن بأهليتها لتقبّل المسؤولية، ولهذا السبب تجد أن الرجل قد خلقها لممارسة دور المسؤولية والرئاسة أو بتعبير أكثر ظرافة لحماية المرأة أو ليكون في أفضل التعابير قوّاماً عليها. لا بد من توفير الحماية وتسيير أمور المرأة وهي وعاء الذرية وهي الوالدة. إن شخصية هذا الحامي والمسؤول بل وحتى تفكيره يترك أثره على المرأة وبالتالي على المجتمع باعتبارها الحاضن والمربيّ لأجيال الغد، بل وكأن القرن قد لبس حلّة جديدة.. نفس هذه القدرة في الرجل تجعله بمستوى المسؤولية والنهوض بها، القدرة التي بإمكانها دفع عجلة مجتمع بكامله أو جعله يراوح في مكانه، القدرة التي بامكانها سوق الآخرين باتجاه الله سبحانه

وتعالى أو الانزلاق بهم في مستنقع الفساد.

إن الرجل بحاجة إلى أن يحب شخصاً ويحبه شخص وكذلك المرأة تشعر بنفس الحاجة وليس هناك ما يلبي هذه الحاجة لدى الاثنين على أكمل وجه سوى الزواج فتبلور هذا الاحساس عبر الزواج هو نفسه الثمرة التي أخبر عنها القرآن الكريم قبل خمسة عشر قرناً حينما قرر بأن تكون المودة والرحمة هدية تقدّم لكل ذكر وأنثى ارتبطا بعقد الزواج المقدس، علماً أنهما لم يعرفا في هذا اليوم سوى المودّة وصورها ولم يدركا بعد معنى الرحمة الناجمة عن هذا الارتباط.

لاحظ الدين الإسلامي إلى أيّ مدى تعمّق في علم النفس واهتمامه به فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في ضرورة تحلّي الزوج بثلاثة أمور منها «. . . واستعماله استمالة قلبها بالهيئة الحسنة في عينها، . .»[1]، لكننا نعلم بأن الرجل إذا زاد وقوفه أمام المرآة لتحسين مظهره استفزّ زوجته ودفعها للقول بصوت عال: مسكينات هن النساء، لقد ذاع صيت سيىء لهن على أنهن يطلن الجلوس أمام المرآة!.

والأدهى من ذلك إن المرأة المتزوجة برجلٍ وسيم تتمنى بأنه لو كان قبيحاً أو لا يرتدي ملابس أنيقة، ولو كان زوجها دقيقاً في اختيار ملابسه كالنساء فعندها تتمنى أنه لم يكن لديه ما يجعله أنيقاً لأنها تفكر في الحالتين باحتمال وجود امرأة أخرى أو نسوة أخريات يتقرّبن منه أو يتقرب هو منهن، وهو واحد من أنواع الحسد لدى المرأة[2].

على الرجل أن لا يكثر الحديث في البيت عن عدم استقلاليته أو

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج (٤) ـ باب الزواج ـ ص (٢٨٥).

(٢) الزوجة تحب عادة أن تكون ملابس زوجها نظيفة ومرتبة لكنها لا تحب أن تكون كثيرة الألوان كالملابس النسائية.

تأخّره عن الدائرة أو توبيخه أو تشجيعه من قبل المدير العام أو احتمالات نقله من قسم في الدائرة إلى قسم آخر وما إلى ذلك من الأمور التي تمسّ باستقلالية الزوج لأن الزوجة التي هي في الواقع تنشد الاستقلالية أيضاً ولا تجدها تلجأ للبحث عنها في زوجها لتعوّض النقص الذي تشعر به في هذا الباب، فإن لم تعثر عليها عند زوجها زاد همّها وتضاعف ألمها مما قد يتسبب لها بالاصابة بأمراض عصبية.

ينبغي للرجل الذي استطاع برهنة استقلاليته لزوجته والفوز بمكانة له في نفسها وللرجل الذي لا استقلالية له ولا مكانة له عند زوجته، أن يعرفا أنهما في مجموعتين مختلفتين وتنظر النسوة إليهما من زاويتين وبأملين مختلفين. إن النساء يحببن أن يقضي النموذج الأول جلّ وقته في البيت أو الخروج للترفيه مع الزوجة والأولاد ويظهر عملياً بأنه لزوجته وأولاده ويكون وسيلة لتعريفهم للمجتمع بأنهم عائلة الرجل المستقل والمكين الذي لا يحب سوى عائلته.

تودّ المرأة تعويض وحدتها في البيت بعودة الزوج إليه فترغب أن تسمع منه ما شاهده وسمعه في الخارج ثم تحب أن تتحدث هي له عن الأماكن التي ذهبت إليها للتسوّق أو التي تزيّنت فيها أو المجالس التي حضرتها والدعوات التي لبّتها ثم تستطلع رأيه في كل ذلك. أمّا إذا قل تواجد الزوج في البيت أو أنه لا يأبه بما تقوله فإنها ستلجأ للأب أم الأم أو الأخ وإن توفّر خط هاتفي في البيت فسيكون وسيلتها لايصال صوتها للآخرين وعلى الزوج أن يتحمل تكاليف مكالماتها الهاتفية الباهظة. والظريف أن الزوجة بنفس المقدار الذي تحب فيه انفاق الزوج عليها لشراء الثياب والذهاب للصالون، تحب أن يقتصد في الانفاق على غيرها حتى لو كانت أمّه أو أخته. بل تتوقع أن ينفق عليها أكثر مما ينفق على الأولاد معتبرة ذلك صورة من صور الطاعة لها، فسبب التباين بين

صفات وسجايا الزوج والزوجة يسعى كل منهما إلى جعل الآخر مطيعاً له والزوج يرى في تمكين الزوجة نفسها منه والاهتمام به أثناء تواجده في البيت صورة من صور الطاعة له.

إذا لم يضحك الرجل في البيت فإنه غالباً ما يعوّض ذلك في خارجه أمّا إذا غابت الضحكة عن محيّاه فمعنى ذلك أنه يمرّ بظروف غير مريحة. تتسقط الزوجة التي تغيب الضحكة عن فم زوجها مع العائلة أخباره خارج البيت فإن عرفت عنه أنه لا يتورع عن الضحك عند لقائه بأصدقائه فستقوم بإكالة اللوم له وتأنيبه على أنه يقضي أوقاته المرحة مع الغرباء لا مع عائلته وما إلى ذلك، ولذا بات من الأفضل لهذا النموذج من الرجال أن يمارس اللطيفة ولا يخلو سلوكه من الممازحة أثناء تواجده في البيت خاصة وأن لذلك أثراً ايجابياً على الأولاد كما سنتحدث عن ذلك بالتفصيل في المجلدات القادمة والخاصة بالتربية.. وعلى كل حال من الأفضل للزوج أن يتمثل بقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام «المؤمن بشره في وجهه، وحزنه في قلبه»[1].

يجب على الرجل، وكما يأمر بذلك القرآن الكريم، أن يبدي بين حين وآخر محبته لزوجته كي تطمئن نفسها ويرتاح بالها وتلتفت إلى شؤون البيت وإن انصرف الزوج عن إظهار مشاعر الود والحب لزوجته فترة من الزمن فسيثير قلقها ويصيبها الفتور والتقاعس ازاء أعمال البيت وشؤونه.

تقضي الفتاة في بيت أبيها عادة أياماً تتّسم بالهدوء والراحة بحثاً عن حياة جديدة، حتى تتزوج. ويلاحظ أنها ستكون فاترة الطبع إذا لم تطرق بابها وتُسحب للعش الذهبي وكأنها لم تستطع بلوغ الاستقلالية

---

(١) نهج البلاغة ـ حِكَم أمير المؤمنين (ع) ـ في صفة المؤمن.

التي كانت تحلم بها معتبرة ذلك هزيمة لها.

لاحظ كيف أن القرآن المجيد يمنح المرأة الحق في أن يكون لها بيتٌ حتى لو كانت تعيش في بيت زوجها، فعيشها مع زوجها تحت سقف واحد يجب أن يكون مصحوباً بحرية الحياة الصحيحة المتفقة مع الفطرة فزوجة فرعون الصالحة رغم أنها كانت في بيت الشخص الأول لتلك الامبراطورية إلاّ أنها بقيت تسأل الله تعالى حتى آخر يوم في حياتها بأن يرزقها بيتاً يتناسب مع فطرتها السليمة ويمتاز بالقرب من الخالق جلّ وعلا ﴿**وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة**...﴾[1] فبيتها الذي ضمّها مع فرعون لم يكن فيه استقلال للفطرة.

على الرجل أن يهيّأ بيتاً لائقاً ويتناسب وشأن زوجته وهي وصية الإسلام العزيز.

---

(١) سورة التحريم: الآية، ١١.

أول مطرود.. أول ملعون

كثيراً ما يشهد العالم قتل الأخ لأخيه..

لكن القرآن الكريم يتعرض لأول حادثة قتل من هذا النوع ويذمّها **﴿فطوَّعتْ له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين﴾**[1].

ما أكثر المجاميع والدول التي مارست وتمارس اللواط..

لكن القرآن الكريم ينكّل بقوم النبي لوط عليه السلام، فهم أول من مارس هذا العمل القبيح **﴿ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوءٍ فاسقين﴾**[2].

وفي هذا السياق هناك مصاديق ومصاديق..

الأمر ينطبق أيضاً على الفعاليات الميكانيكة والفيزيولوجية.. القسم الأول من تناول الغذاء نحن مختارون فيه أما إذا مرّ من البلعوم فحينئذٍ يخضع لعمليات الهضم والامتصاص والدفع بصورة تلقائية ولا إرادية، والقسم الثاني لا يقلل من أهمية القسم الأول.

وهذا هو حال المباشرة، فالقسم الأول منه مهم، وإن تلاقحت

---

(١) سورة المائدة: الآية، ٣٠.

(٢) سورة الأنبياء: الآية، ٧٤.

النطفتان أخذ تكوّن الجنين ونموّه في رحم الأم مجراه الطبيعي..

إن القرآن الكريم يعرّف الشيطان على أنه أول مطرود وملعون، لماذا؟ لأنه استكبر ﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين**﴾[1]. والاستكبار غير الكبرياء فالأول يعني نسبُ العظمة والكبرياء للنفس دون أن يكون لها نصيب منهما وهو فعل إبليس لعنه الله تعالى مما جعله يهوي من درجة الملائكة إلى الحضيض في درجة الكافرين. لقد عصى إبليس الخالق جلّ وعلا بعدم السجود لآدم عليه السلام لأنه كان يرى لنفسه الفضل في مادة التكوين ﴿**قال ما منعك ألاّ تسجد إذ أمرتك قال أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طين**﴾[2] ونتيجة لهذا التكبّر وعدم الطاعة للخالق عزّ وجلّ حلّ عليه الغضب واللعنة الإلهية ﴿**قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين**﴾[3].

لقد حلّت اللعنة من قبل الله سبحانه وتعالى بإبليس لاستكباره، وحلّت اللعنة من على لسان الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم على من أهمل عائلته «ملعون ملعون من ألقى كلَّه على الناس، ملعون ملعون من ضيَّع من يعول»[4].

الحال هنا لا يفرق عن سابقه، فالرجل المضيع لعائلته يرى نفسه سيد البيت والرئيس المطاع لا المطيع، يرى نفسه مخلوقاً من النار أو الجواهر وزوجته وأولاده مخلوقون من التراب أو الرماد وهذا عين الاستكبار الذي مصيره اللعنة، تحل به أينما كان. إن المستكبر لا يعتمد

---

(١) سورة البقرة: الآية، ٣٤.
(٢) سورة الأعراف: الآية، ١٢.
(٣) سورة ص: الآيتان، ٧٧ ـ ٧٨.
(٤) الكافي ـ ج (٤) ـ ص (١٢) ـ ح (٩).

مبدأ الإنسانية في علاقاته مع الناس، والناس غير مستعدين لتحمّل استكباره ولذا فهما بعيدان عن بعضهما، ولكن أيهما بعيد عن الرحمة الإلهية قريب من اللعنة؟ هل الناس، وكثير منهم الصلحاء والمستضعفون؟ أم المستكبر ذي الصفة الشيطانية؟ لا شك أنه المستكبر هو الملعون.

يبقى المستكبر يراوح في مكانه دون أن يتقدم خطوة في طريق التكامل وذلك بسبب افتقاره للكبرياء الذي يحاول الظهور به تصنعاً. إن من يدّعي العلم وليس فيه شيء منه فهو من العاجزين، ومن يدّعي القدرة وليس فيه شيء من علامات الاقتدار التي يحاول التظاهر بها فهو مستكبر والمستكبر يراوح في مكانه كالتاجر الذي يعلن افلاسه. أمّا العالم الذي من صفاته الخشوع والخوف فيظهر بشخصية المتواضع حيث يشعر بقلة ما لديه وصغره في السير نحو الكمال الحقيقي، نحو الحضرة الإلهية المقدسة وكل ذلك من أجل بلوغ درجات أعلى من الكمال. إن كل تلك الإنابة وكل ذلك البكاء من قبل الأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام لم يكن لارتكابهم المعصية وطلباً لأن يعفو الله تعالى عنهم، فهم معصومون، بل هو طلب للمزيد من الكمال وعلوّ المراتب، وأنت أيها القارىء أيضاً تنجذب للخيّرين فإن أردت أن تنتمي لمجموعة أو حزب ما فستميل بالطبع إلى من يمتازون بالتقوى والتوبة والإنابة لا إلى الذين يتصفون بممارسة الفحشاء واللواط وشرب المسكر.

ذكرت مراراً بأن القرآن الكريم لعن أبا لهب الذي كان في الواقع الهاشمي الثاني والأخير الذي ورد اسمه في الكتاب العزيز بعد ذكر الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿**تبت يدا أبي لهب**﴾ رغم ما امتلكه من ثروة ورغم ما كان يكسبه

إلاّ أنّه لم يكن ليشبع، تعساً له من طعمة لألسنة النيران، كان يجبر زوجته على حمل الحطب على ظهرها بواسطة حبل من جريد النخل المؤذي لجلد الإنسان[1].

على أي حال، فإن آكل الربا لا يفكر إلاّ بزيادة أمواله ولو بفلس واحد، وغير مستعد لشراء حبال من نوع أفضل وبثمن أعلى ليعطيه لمستأجريه في العمل لكن أبا لهب لم يكن يفعل ذلك حتى مع زوجته.. في المقابل نجد أن الباري تعالى يثيب من يحسن لزوجته وأولاده في الدنيا قبل الآخرة حيث ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «من حسن برّه بأهل بيته زيد في عمره»[2].

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «خدمة العيال كفّارة الكبائر وتطفي غضب الرّب»[3].

وعن الإمام الرضا عليه السلام «هلك بذي المروّة أن يبيت الرجل عن منزله بالمصر الذي فيه أهله»[4].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إن التهيئة مما يزيد في عفّة النساء، ولقد ترك النساء العفّة بترك أزواجهن التهيئة»[5].

ألفت نظركم إلى لفظة «التهيئة» التي وردت أيضاً في سورة يوسف عليه السلام بصيغة أخرى، فزليخا أعربت عن رغبتها واستعدادها

---

(١) هناك حبل من نوع أفضل مفتول من وبر البعير الأحمر يسمى «الجمالة» كان يستخدم لهذا الغرض أيضاً.
(٢) ميزان الحكمة ـ ج (٦) ـ باب العمر ـ ص (٥٤٦).
(٣) جامع السعادات ـ ج (٢) ـ ص (١٤٢).
(٤) وسائل الشيعة ـ ج (٢٠) ـ باب استحباب الاحسان إلى الزوجة والعفو عن ذنبها ص (١٧١).
(٥) وسائل الشيعة ـ ج (٢٠) ـ باب استحباب التنظيف والزينة للرجال والنساء.

لبذل نفسها للنبي يوسف عليه السلام عبر ﴿.. **وقالت هيْت لك**...﴾[1]، وما يهمني في المقام هو تضييع المرأة المأخوذ من حديث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «ضيّع من يعول»، وهذا التضييع، حسب ما أفهمه، يكون على صعيد الظاهر والباطن.. فالزواج بالفتاة وجعل أيامها مليئة بالغصص والآلام هو تضييع لها.. التسبب في تبدد جمالها الظاهري وظهور التجعدات على وجه الزوجة قبل أوانها هو تضييع لها.. حرمانها من التغذية السليمة ومقابلتها بأخلاق سيئة وتعرّضها للضغوط بل وحتى الحؤول دون وصول المني إلى رحمها بطريق أو بآخر هو تضييع لها.. يتكون المني من مادتين، الأولى: الحيامن التي يتراوح عددها بين ثلاثة ملايين إلى خمسمائة مليون حيمن، والثاني: السائل الذي تتحرك فيه الحيامن.

تقتحم الحيامن الرحم حتى تنتج بعد تلقيحها البويضات موجوداً جديداً..

يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «ملعون ملعون من ضيّع من يعول»[2]، سواءً في البعد الظاهري أم الباطني أو حرمانها حقوقها. إن الإسلام يحذر مثل هذا الرجل بالقول «ينبغي للرجل أن يوسّع على عياله لئلا يتمنوا موته»[3].

لقد ثبت بالتجربة أن كثيراً من أرباب العوائل الذين تظل زوجته وأولاده في انتظاره حتى منتصف الليل وهو لا يبالي، يدفعون ثمن فعلهم هذا في أواخر حياتهم فإمّا أن يصابوا بعاهة أو مرض يجبرهم على القعود في الدار وعدم الخروج منه لأيام وربما لشهور وربما..

---

(١) سورة يوسف: الآية، ٢٣.

(٢) وسائل الشيعة ـ ج (٢١) ـ باب وجوب كفاية العيال.

(٣) جامع السعادات ـ ج (٢) ـ الانفاق على الأهل والعيال.

النمط الآخر غالباً ما يصرخ بوجه الأم والأولاد وهذا تُسلب منه عند الكبر قدرته على التحدث بصوت عالٍ أو الشلل، وغير ذلك كثير.

في حين تبيّن لنا أحاديث المعصومين عليهم السلام أهمية وأجر الالتفات لشؤون العائلة والاهتمام بهم..

فقد ورد عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «لئن أدخل السوق ومعي درهمٌ ابتاع به ـ أو: دراهم ابتاع بها ـ لحماً لعيالي وقد قرموا أحبّ إليّ من أن أعتق نسمة»[1].

وسئل الإمام الصادق عليه السلام: ما حق المرأة على زوجها الذي إذا فعله كان محسناً؟ قال عليه السلام: «يشبعها ويكسوها، وإن جهلت غفر لها»[2].

وفي قوله تعالى ﴿.. **ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله**..﴾[3]، قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن أنفق عليها ما يقيم ظهرها مع كسوة وإلاّ فرّق بينهما»[4].

وعنه عليه السلام: «من سعادة الرجل أن يكون القيّم على عياله»[5].

إن هذه الأحاديث الشريفة تتضمن مقومات غير المقومات التي مآلها تقريب الأجل أو الابتلاء بالمصائب.

أعود فألفت النظر إلى أمرين..

---

(١) الكافي ـ ج (٤) ـ ص (١٢) ـ ح (١٠).
(٢) ميزان الحكمة ـ ج (٤) ـ باب الزواج ـ ص (٢٨٥).
(٣) سورة الطلاق: الآية، ٧.
(٤) مكارم الأخلاق ـ في حق المرأة على الزوج ـ ص (٢١٧).
(٥) وسائل الشيعة ـ ج (٢١) ـ باب وجوب كفاية العيال.

الأول: قوله تعالى ﴿**وقال ربكم ادعوني أستجب لكم**..﴾[1].

في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إنّ الربّ ليلي حساب المؤمن فيقول: تعرف هذا الحساب؟ فيقول: لا يا رب!.

فيقول: دعوتني في ليلة كذا وكذا في كذا وكذا، فدخرتها لك.

قال: فمما يرى من عظمة ثواب الله يقول: يا ربّ ليت إنك لم تكن عجّلت لي شيئاً وادّخرته لي»[2].

الثاني: إن أشعة الشمس تجتمع وتتلخص في نقطة واحدة بواسطة المكبّرة، وخدمة الناس تتبلور في خدمة الأهل والعيال وما من شك بأنها سبب للعيش بعمر أطول مصحوب بالحيوية وراحة الضمير..

نخرج قليلاً لنتكلّم في الهامش..

لاحظ القرآن الكريم يقول: ﴿**ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهنٍ وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إلي المصير**﴾[3]، ويقول في مكان آخر: ﴿**وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم**...﴾[4] والزيادة هنا مطلقة غير مقيدة فتشمل جميع جوانب الإنسان سواءً كان العمر أو المال أو الأولاد أو الحيوية.

إن الاهتمام بحال الأهل والعيال يعتبره المعصوم عليه السلام واحداً من عوامل سعادة الرجل، فهل الزيادة فيه تعدّ من السعادة؟ إنها ستزداد إذا عُدّت من سعادة الشخص وإذا لم تعد كذلك فستكون بالمقدار الذي لا تتسبب بطغيان المرء.

---

(١) سورة المؤمن: الآية، ٦٠.
(٢) ميزان الحكمة ـ ج (٣) ـ باب الدعاء ـ ص (٢٨٠).
(٣) سورة لقمان: الآية، ١٢.
(٤) سورة إبراهيم: الآية، ٧.

المباشرة

المباشرة إحدى الحقوق التي للمرأة على الزوج، وتكون واجبة عليه شرعاً في كل أربعة أشهر مرّة واحدة إلاّ أن يكون هناك مبرر منطقي يحول دون تحقق ذلك.

سئل الإمام الرضا عليه السلام عن الرجل يكون عنده المرأة الشابّة فيمسك عنها الأشهر والسَّنة لا يقربها ليس يريد الإضرار بها، يكون لهم مصيبة، يكون في ذلك آثماً؟ قال: «إذا تركها أربعة أشهر كان آثماً بعد ذلك»[1].

روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: جاء عثمان بن مظعون إلى رسول الله، فقال: يا رسول الله، قد غلبني حديث النّفس ولم أحدث شيئاً حتى أستأمرك.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: بمَ حدثتك نفسك يا عثمان؟.

قال: هممت أن أسيح في الأرض.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: فلا تسح فيها فإن سياحة أمتي المساجد.

قال: هممت أن أحرّمَ اللحم على نفسي.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: فلا تفعل فإني لأشتهيه وآكله ولو سألت الله أن

---

(١) التهذيب ـ ج (٧) ـ ص (٤١٢) ـ ح (١٦٤٧).

يطعمنيه كل يوم لفعل.

قال: وهممت أن أجبّ نفسي.

فقال ﷺ: ليس منّا من فعل ذلك بنفسه ولا بأحد، إن وجاء[1] أمتي الصيام.

قال: وهممت أن أحرّم خولة على نفسي «يعني امرأته»؟.

قال ﷺ: لا تفعل يا عثمان[2].

إذا لم نقل بأن القضاء حتّم على المرأة بأن تكون المباشرة جزءاً مهماً من حياتها فإن القدر شاء أن تكون جزءاً من شخصيتها الأنثوية، والحالة هذه ليست مما تستورثه الانثى أبّاً عن جدّ بل تستشعرها في ذاتها وموقعها، فإذا تجاوزت سن الزواج المتعارف فستدرك الحالة وإذا مضى وقت طويل عليها فهم وأدراك من حولها الأمر.

لقد ذكرت القضاء والقدر من جهة أن «القدر» يعني الدرجة والمقدار والكمية وهو قول الله تعالى ﴿**إنّا كل شيء خلقناه بقدرٍ**﴾[3]، أمّا القضاء فما هو كذلك بل هو حتمي امتزج فيه المقدار والنوع ولا يمكن تغييره. إن القدر كالرسم الهندسي لقسم من المبنى بحيث يمكن توسيعه أو تقليصه أو زيادته أما القضاء فهو كالمبنى الذي شيّد على أعمدة راسخة وانتهى العمل منه، وإذا لم تكن المباشرة حملت على قضاء المرأة فإن القدر هو الذي هجم على المباشرة وجعلها جزءاً لا يتجزّأ عن جسدها بل وحتى روحها.

---

(١) الوجاء ـ بالكسر ـ: رض عروق البيضتين حتى تنفضخا من غير اخراج فيكون شبيهاً بالخصاء لأنه يكسر الشهوة.

(٢) مستدرك الوسائل ـ ج (١٤) ـ باب (٣٧) ـ ص (١٤).

(٣) سورة القمر: الآية، ٤٩.

(من المناسب الإشارة هنا إلى واحدة أخرى من معاجز القرآن الكريم.. يرى المتدبّر في القرآن الكريم مثل ﴿**إنا كل شيءٍ خلقناه بقدرٍ**﴾ و ﴿**وما ننزله إلاّ بقدرٍ معلوم**﴾[1] وآيات أخرى مشابهة تفيد معنى المقدار للأشياء لكنه لا تلحظ فيه آية عن نزول الشيء في مرحلة القضاء، وأننا لنعلم أن الأشياء التي مقدارها معلوم في مجموع التركيب تقل أو تكثر عند التحول إلى شيء آخر ولذا أشير إلى القدر كونه معرّضاً للتغيير ثم يثبت في حال نزوله، أمّا القضاء فهو ثابت ويمكن أن يتغير بعد نزوله).

إن المرأة لا تقبل مطلقاً أن يحول بينها وبين المباشرة شيء، فالمرأة التي تعتز وتفخر بشخصية الأمومة المكنونة فيها ترغب بأن تكون الوسيلة لخلود وأبدية الحياة ولتجسيد هذا المفهوم تلجأ إلى التفكير بالرجل وتحمل نفسها على الظهور بمظهر يحبه الزوج سواء على صعيد التسريحة أم الملابس التي ترتديها أم العطور التي يهواها وتظهر بأنها محدّدة بدون الرجل. وإذا كان مبيض المرأة مخفياً في زاوية من البطن وبيضتا الرجل ظاهرتان أسفل البطن فإن الطبع الأنثوي أكثر بياناً للعيان لدى المرأة منه عند الرجل، لكن الأمر المتفق عليه أنه مثلما لا يمكن العثور على المادة الأولية للخلقة بمعزل عن الزمان والمكان ـ لأن الزمان والمكان أمران نسبيان ـ فإن المرأة أيضاً لا يمكن النظر إليها بدون الرجل كما أن الرجل لا يمكن تقويمه بدون المرأة فالأخيرة ناقصة بدونه وهو ناقص بدونها في طريقهما نحو التكامل الإنساني. إذاً فحلاله فيه الثواب، وقد روي عن الرسول الأكرم ﷺ: «كمال المرأة في الرجل، والرجل في المرأة». وهل يمكن العثور على ما يخالف الفطرة

---

(١) سورة الحجر: الآية، ٢١.

أو لا يرتبط بها في الإسلام الحنيف.

أشرت آنفاً إلى تمتع الإنسان بحد من الاختيار في بداية كل عمل كتناول الطعام مثلاً، فشراء المواد الغذائية وطهيها ودخول اللقمة إلى الفم كلها باختيار الإنسان أمّا إذا نزلت إلى الجوف خضعت لآلاف العمليات في الهضم والامتصاص ودفع الفضلات بصورة تلقائية.. وفي المباشرة، تكون مقوماتها الأولية بيد الإنسان حتى إذا انعقدت النطفة بدأت آلاف من العمليات لتكوين موجود آخر. إن هذا الاجبار بصوره الكثيرة لا يقابله سوى قليل من الاختيار الذي ليس بمعزل عن الجبر، وفي عودة أخرى إلى الأحاديث الواردة عن المعصومين عليهم السلام نجد الإمام الصادق عليه السلام يقول: «لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين»[1] وهذه الحالة الوسطية يمكن التعبير عنها بأن الإنسان مجبور في التفويض.

إذاً، ومثلما أن الجبر عمل مفيد ولا يشتمل على نقطة قبيحة ـ ومن الأفضل القول بأن الجبر شأن عظيم قائم كسائر أجزاء الخلقة على الفطرة والصلاح ـ فإنه ينبغي لنا أن نحفظ الاختيار على خط الفطرة بل الدين الحنيف أمرنا عبر أوامره وتعاليمه بأن يكون اختيارنا متطابقاً مع الفطرة.

لقد أُرسل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لتنظيم الجوانب التفويضية، ولم يبعث الله تعالى أي نبي ليتدخل في شؤون الجبر القائمة أصلاً على منطلق الفطرة، ولذا صار الأجر والثواب على المباشرة المشروعة متأتٍ من قبول وتطبيق تعاليم الدين التي ما هي إلاّ جزء من مفهوم الفطرة ﴿**فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها**...﴾[2].

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج (٢) ـ باب الجبر ـ ص (٧).

(٢) سورة الروم: الآية، ٣٠.

دور الجسم والروح في الحياة الزوجية

للروح والجسم السليم صلة حقيقية ومتينة بالحيوية . .

ولكي يكون الزوج سليماً والزوجة سليمة على الصعيدين الروحي والجسمي، لا بدّ لهما من السير قدماً في ظل علاقة تحظى برضا الله جلّ وعلا .

يقول الرسول الأكرم ﷺ في هذا الصدد بأن الله سبحانه وتعالى يورد كلا الزوجين النار إذا كانا ظالمين لبعضهما[1] .

غير أن من الضروري تشخيص مقومات السعادة والنحس الموجودة عند كل من الزوج والزوجة، مع الانتباه إلى مقوّمين جعلهما الله تعالى بمثابة البضاعة التي يعامل عليها مع الإنسان ويجعل الجنة ثمناً لهما ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة . . .**﴾[2] .

إن بمقدار ما تتحمله الأم في تكوّن الموجود الجديد ـ سوى لحظات المباشرة التي يشترك فيها الرجل أيضاً ـ يتحمل الأب وعلى

---

(١) مكارم الأخلاق ـ الباب الثامن ـ ص (٢١٤) .

(٢) سورة التوبة: الآية، ١١١ .

صعيد آخر كل ما يتعلق بالنفقة وتوفير وسائل العيش المرفّه.. حينما يلتقي الجسدان ـ وفيه الثواب الجزيل ـ لا بد أن تكون القدرة والحرارة متوفرة وهذه العبارة لها منشأ اقتصادي يتعلق بالزوج ولهذا السبب جاء على لسان الإمام الصادق عليه السلام : «الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله. . . »[1].

وقال رجل للإمام الصادق عليه السلام : «إنّا لنحب الدنيا».

قال عليه السلام : تصنع بها ماذا؟.

قال الرجل: أتزوّج منها وأحج وأنفق على عيالي وأُنيل اخواني وأتصدق.

فقال عليه السلام : «ليس هذا من الدنيا، هذا من الآخرة»[2].

وروي عن الإمام الرضا عليه السلام : «الذي يطلب من فضل الله ما يكف به عياله أعظم أجراً من المجاهد في سبيل الله. . »[3].

بيّنت الأحاديث أعلاه البعد الخاص بتوفير المؤنة والمال والغذاء لإعداد الأجساد وكسبها القدرة والحرارة، أمّا الحيوية والسلامة الذهنية فيوليها الإسلام الحنيف أهمية أكبر كما بيّنت ذلك في المجلدات السابقة، فقد أظهر سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم تعجبه من صلافة بعض الرجال بقوله: «أيضرب أحدكم المرأة ثم يظلّ معانقها»[4].

إن لهذا الموضوع نقطتين تقابل إحداها الأخرى، فالأولى بائنة

---

(١) بحار الأنوار ـ ج (١٠٣) ـ ص (١٣).
(٢) ميزان الحكمة ـ ج (٣) ـ باب الدنيا ـ ص (٢٩٦).
(٣) بحار الأنوار ـ ج (٧٣) ـ باب (٢٦) ـ ص (٣٣٩).
(٤) وسائل الشيعة ـ ج (٢٠) ـ باب استحباب اكرام الزوجة وترك ضربها ـ ص (١٦٧).

سامية والأخرى غامضة وضيعة. الأولى تتجسد في احتضان الزوجة؛ احتضان الفطرة واحتضان مفهوم ديمومة الحياة والثانية تتمثل في التصرفات الشبيهة بتصرفات البهائم كالرفس والعض وما إلى ذلك مما يؤذي الجسد ويخويها من المعنى. إن الإنسان في الحالة الثانية لا يهبط فقط إلى مستوى الحيونة من حيث الأضرار الجسدية بل يهوي بنوعه إلى الحضيض في خضم تناقضات عجيبة؛ يقدم في النهار على الضرب وفي المساء يدعو المضروب إلى مائدة ملوّنة، والزوجة في مثل هذه العوائل تعيش الحيرة بين قبول هذه الحياة وبين رفضها والتمرّد عليها، تسلّم جسدها في النهار لحيوانية الزوج وتخضع ليلاً لسطوته الجنسية ولهذا أكد الرسول الأكرم موضوع الطاعة ووجوبه على المرأة ازاء زوجها إذ قال: «جهاد المرأة حسن التبعّل»[1].

ليس من شأن المسلم أن يكون بهذه الصفة.. ولو حدث أن انقاد المسلم لشيطانه وراح ينزل جام غضبه على الجسد أمامه في أول النهار دون أن يعير أهمية لما يلاقيه المضروب ثم يجثو في الليل على نفس الجسد غارقاً في اللذة، فعليه أن يتوب ويثيب إلى رشده وينزع عن نفسه حب أذية الآخرين.

وليس من الصحيح أو الانصاف أن ينزل الرجل حيفه بالزوجة، وأن يكون الضارب والفاعل ثم الفاعل والضارب وتكون هي المتلقي والمفعول في الحالين، وحتى يبيّن لنا القرآن الكريم عقم هذا التفكير وهذا التعامل ينبهنا إلى قوله تعالى: ﴿**ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف**﴾[2] مشيراً إلى مستوى عالٍ من احقاق حقوق المرأة حيث

---

(١) الكافي ج ٥ كتاب النكاح، الباب ١٤٨، ح ٤. وفيه عشرات الأحاديث في هذا الباب.

(٢) سورة البقرة: الآية، ٢٢٨.

شرحت ذلك من قبل. إن تبادل المنفعة الزوجية المتأتية من حاجة كل من الجانبين بعيداً عن الضرب واللوم والهواجس، يحتل مرتبة عالية لا يمكن وصفها في نظر الإسلام؛ فالإسلام ومن أجل أن يخرجها من اطار الحيوانية يصور المنفعة الزوجية المتبادلة على أنها «حاجة حياتية»، يسوق المرأة باتجاه المباضعة ويثير موضوعها في سياق مواضيع المباشرة والزواج نائياً بها عن الضرب.

إن الضرب اثمٌ قبيح، ورجس وحرام لا يضمر فيه أي ثمرة أو فائدة على الصعيد النفسي والروحي ومصيره سيىء لا يتعدى النار، وإن ترك الضارب أثراً في محل الضرب فعليه دية، بمعنى الغرامة وإن تقارب الاثنان من بعضهما وآذى الزوج زوجته بما يترك الأثر عليها فعليه الدية. أما إذا اقتربا من بعضهما ووجد كل منهما ضالته في الآخرة، وعلى تعبير القرآن الكريم ﴿**هن لباس لكم وأنتم لباسٌ لهن**﴾[1]، تمثلت فيهما كل المنافع والفوائد النفسية والروحية والحياتية وكانا على المسير الذي طواه أنبياء الله تعالى عليهم السلام وصولاً إلى جنة الفردوس، هذا فضلاً عن الآثار الدنيوية الطيبة لهذا الاقتراب والمتمثلة بانجاب ولد صالح يكون صدقة جارية لهما.

إن الرجل ليبذر بذرة العداوة والخصومة حينما يهوي بيده على زوجته موجهاً لها الصفعة مثلاً، بينما سرعان ما يتبدد ألم الضربة منها ويختفي في خضم تعقيدات الحياة ويتحول إلى صورة من صور ردود الفعل. بالإضافة إلى ذلك فإن فعل الرجل هذا ساعد على ممارسة الظلم ضد الآخرين؛ أي ساعد على قيام الأم بتحويل الصفعة إلى أبنائه. إن مثل هذا الزوج محروم من القيم كما أنه لن يشعر بتلك الحرارة وذلك

---

(١) سورة البقرة: الآية، ١٨٧.

الهيجان عند ذروة اللذة الجنسية بل سيشعر بتكلّف الزوجة في تمكين نفسها إياه في إطار حقوق الزوج في المباشرة.

شرحت في المجلد الحادي والعشرين أن كيف ولماذا يأمر القرآن المجيد بتجريد المرأة حريّتها التي طالما تم التأكيد عليها، هذا التجريد يكون حينما لا تطاوع زوجها عند المباشرة وأن الآية الشريفة ﴿**واللاّتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن**﴾[1] توضح وبالترتيب كيفية التعامل مع الزوجة التي لا تمكّن زوجها من نفسها علماً أنّ الروايات بيّنت كيفية الضرب وبما ذا يكون ثم أكدت ضرورة أن لا يترك الضرب أثراً على جسدها يستوجب الدية. كما شرحتَ كيف يضمن هذا التعامل مع الزوجة سلامة العلاقات في العائلة ويشدّ من أواصرها، وأضيف هنا بأن الدين الإسلامي الحنيف منع ضرب الإنسان في كل الأمكنة والأزمنة ولم يسمح به إلاّ في مقابل إباء الزوجة عن تمكين نفسها حتى يلفت نظرها إلى أهمية المباضعة ودفعها إليها، خاصة وأن ضرب الزوج امرأته في الفراش وبالطريقة التي ذُكرت آنفاً يصوّره على أنه بطل الحرية.

وبعبارة أخرى أن الضرب في المواقع الأخرى ولأي سبب كان، يكون مصحوباً بالشتم ومضيعاً لحقوق الزوجة أما الضرب الرمزي في الفراش فيعتبر وسيلة لاسترداد حقوقه وإبرازاً لحبه الشديد لزوجته، وقد قال الرسول محمد ﷺ: «إنّما المرأة لعبة، من اتخذها فلا يضيّعها»[2].

---

(١) سورة النساء: الآية، ٣٤.

(٢) الكافي ـ ج (٥) ـ ص (٥٠٩) ـ ح (١).

وفي كلام لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية، يقول فيه: «.. فإن المرأة ريحانة، وليست بقهرمانة»[1]، وروي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «أكثر أهل الجنة من المستضعفين النساء، علم الله ضعفهنّ فرحمهنّ»[2]، ومثلما إن الزوجة لا يقبل منها أيّ عمل إذا آذت زوجها بلسانها وكانت أول من يرد النار فإن الرجل له نفس الجزاء إن كان ظالماً لها[3].

تنهى هذه الأحاديث وعشرات غيرها، الرجال عن اتباع الأساليب الحيوانية.. إن الأمر حينما يسلّم بيد الرجل فإنما ليقود المسيرة نحو تحقيق الأحلام الحلوة وحتى يقضي الاثنان الحياة الزوجية في هناء وسعادة وبما يرضي الله عزَّ وجلَّ وصولاً إلى الجنة. لم يُسلّم الأمر الرجل ليكون ظالماً، بل كيف يمكن له أن يسلب زوجته حرمتها كأم تتحمل ما تتحمل في سبيل العائلة؟! إنه عين التضييع الذي أشار إليه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، تضييع للظاهر وتضييع للباطن. من يتسبب في ظهور التجاعيد على وجه الزوجة ويشيبها قبل أوانها فقد ضيّعها ومن تسبب في تحطم معنوياتها وتشويش ذهنها وأثر على نشاطها وحيويتها فقد ضيّعها. إن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، ينبغي أن تكون في الليل كالزهرة المتفتحة ينتشر عطرها في أرجاء البيت كله حتى إذا أعطى ﴿**والليل إذا عسعس**﴾[4] مكانه لـ ﴿**والصبح إذا تنفس**﴾[5] قامت غضة طرية تعاود نشاطها بكل فاعلية من أجل توفير أفضل الظروف للزوج

---

(١) مكارم الأخلاق ـ في حق المرأة على الزوج ـ ص (٢١٨).
(٢) من لا يحضره الفقيه ـ ج (٤) ص (٢٩٩) ـ ح (١٤٢٩).
(٣) بحار الأنوار ـ ج (١٠٣) ـ باب (٤) ـ ص (٢٤٤).
(٤) سورة التكوير: الآيتان، ١٧ ـ ١٨.
(٥) سورة التكوير: الآيتان، ١٧ـ ١٨.

والأولاد بعيداً عن الهواجس المختلقة.

وخلاصة القول إنه لا ينبغي سحب المشاكل وآثارها في الوسط الخارجي إلى داخل البيت، كما أن الزوج إذا كان خادماً فالزوجة خادمة أيضاً وإن كان سيداً فهي أيضاً سيدة.

ضعف المرأة

إذا كان الإسلام الحنيف استخدم مفردة «الضعيفة» بشأن المرأة، فإنما لتبيين مدى عدم استقرارها وكونها مستضعفة، أو لأن المستضعف مفردة تطلق على من توضع أمامه الموانع ويحال دون نموّه ويُحرم من الفرص المتاحة.

حينما تثور ثائرة الرجل يكون في نقطة هي أبعد ما تكون عن الصواب في اتخاذ المواقف المناسبة واللائقة على مختلف أصعدة حياته، وعموماً يكون الثائر العصبي في حال تغيّر لسجاياه، ولكن ليس من الانصاف أن يكون الرجل نفسه طرفاً في الخصومة ونفسه القاضي وهذا كله يعدّ تهاوٍ للصفات في عملية تجرّد من الحياة الإنسانية إلى الأساليب الحيوانية. لذا فإن كافة الأفعال والخطوات التي يقوم بها الرجال في أوقات العصبية وحينما تبرز خصالهم العدائية، تتسم باللامنطقية واللامعقولة وأحياناً بالحيوانية.

إن قول نبي الرحمة محمد ﷺ «من اتخذ زوجة فليكرمها»[1] يثير موضوع احترام كيان يتمتع في جانب أو أكثر بقيم أسمى وأعمق وإذا عمد الكتاب والخطباء إلى اخفاء هذا الاحترام والتركيز على كون

---

(١) مستدرك الوسائل ـ ج (١) ـ باب (٤٩) ـ ص (٤١٢).

المرأة ضعيفة ومستضعفة فإنهم لم يمهدوا لانتشار فكر سليم خال من الأغراض والتطرف إزاء هذا الموضوع بل وفضلوا مصلحة الرجال على وجهة نظر المصلحة العامة والمصلحين الذين يقرّون المنزلة السامية للمرأة. إن آفاق المسلم والمسلمة، لا سيما في مقابل القضايا المهمة، لا تتعدى إقامة حياة تستند إلى حقائق وأسس إسلامية؛ فالمسلم الحقيقي يكون حساساً ومراقباً لتصرفاته لئلا يكون ظالماً أو أن يكون أداة لمكائد الشيطان الرجيم أي عبداً للشيطان المستكبر المحدود لا عبداً للّه تعالى ذات المطلقية واللانهاية. وبما أن الانغماس في عالم الحدود والقيود مآله الاحساس بالوحدة والاصابة بأكثر المآسي الإنسانية ألماً فإن الحياة الحيوانية للمرأة تعد في ظل الظروف الحاكية عن ضعفها نوعاً من الوحدة. وإن أشار الرسول الأكرم ﷺ إلى نقطة ضعف أو نقص في المرأة فإنما منشأ ذلك الدين والعبادة حيث شاءت القدرة الإلهية ذلك، ومن غير المعقول أن تكون الفرائض والواجبات عليها أكثر من الرجل وإلاّ كان ذلك إضعافاً لها وليس ضعفاً.

روي أن الرسول الأكرم ﷺ مرّ على نسوة فوقف عليهن، ثم قال: «يا معشر النساء، ما رأيت نواقص عقول ودين أذهب بعقول ذوي الألباب منكن..، إلى إن قامت امرأة منهنّ وقالت: يا رسول الله... ما نقصان ديننا وعقولنا؟ فقال: أمّا نقصان دينكنّ فبالحيض الذي يصيبكن فتمكث إحداكن ما شاء الله لا تصلّي ولا تصوم. وأمّا نقصان عقولكن فبشهادتكن، فإن شهادة المرأة نصف شهادة الرجل»[1].

يقضي الشارع المقدس بحرمة لبس الذهب على الرجل خاصة

---

(١) مكارم الأخلاق ـ في أخلاقهن المذمومة ـ ص (٢٠٢).

وأن التحاليل أثبتت بأن خصلات شعر المرأة تحتوي على الذهب فيما لا تحتوي خصلات شعر الرجل على شيء من ذلك. إن حرمة لبس الذهب على الرجل لا هي تقلل من مكانة وشأن الرجل ولا هي تنزل من قيمة الذهب، كما أن سقوط الصلاة أو الجهاد بالسيف أو غير ذلك عن المرأة أو حرمتها عليها لا تضعّف ولا تنقص من شأن المرأة وفي نفس الوقت لا تقلل من شأن الصلاة والجهاد.

الخنثى التي فيها من صفات وعلامات الرجل والمرأة معاً، وهي لا رجل كامل ولا امرأة كاملة، تكون أقرب للرجل حينما تكثر فيها علامات الرجولة وفي هذه الحالة تكون هرمونات الرجولة أكثر افرازاً وفعالية فيها، وبنفس الطريقة تكون أقرب للمرأة.

ليس هناك ذكر تتوفر فيه عوامل الرجولة مائة بالمائة ولا وجود لأنثى تمتاز بأنثوية كاملة متكاملة ـ وقد شرحت كيفية ذلك من قبل ـ وهذا الكلام والتقسيم محدود في جسمية الإنسان وفيزيولوجيته أما على صعيد روح الإنسان وعالم النهاية يكون كمال المرأة حينما تصير أمّاً ويتكامل الرجل في رجولته عندما يصير أباً. . وهل يمكن أن يطأ الجنة غير الكامل، إن الأم أينما تضع قدمها فلذلك المكان قيمة الجنة وهو قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «الجنة تحت أقدام الأمّهات»[1]، ولو التفت المرء إلى الوالدة ووقف على حقيقة ما خفي عنه لأمكنه التعرف أكثر على قيمة كونها أمّاً، فالوالدة لا يمكنها أن تكون والدة لزوجها أو أبيها لأن الوالدة والدة لولدها أمّا لكن الأم بإمكانها أن تكون أمّاً للزوج أو الأب.

لقد لقّب النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ابنته العزيزة فاطمة الزهراء عليها السلام

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج (١٠) ـ باب الولد والوالد ـ ص (٧١٢).

بـ «أمّ أبيها»[1] قبل أن تلد الحسن عليه السلام، ولذا أينما وضعت قدمها كانت الجنة تحتها وهذا أفضل تكريم للمرأة الأم وليعلم الزوج أن زوجته أقرب للحقيقة حسب ما تمتلكه من تقوى.

تحظى المرأة عموماً بميزات اجتماعية تفوق التي يتمتع بها الرجل وذلك كتعويض لها على تجميد أجهزتها التناسلية لبعض الوقت، فضلاً عن تمتعها بنعمة حملها موجوداً آخر في رحمها لمدة تسعة أشهر تقل أياماً أو تزيد وبعبارة أخرى أن الأب إذا تعلّق بالولد حبّاً لفترة من الزمن فإن الأم حفظت بين أضلعها جذور الولد وتلك ميزة تعكس سمو مكانة المرأة.. مهما حاول الرجل أو تمنّى أن يضع قدمه في مكان يكون بمثابة الجنة فإنه لن يفلح ولن يكون ما يريده كما أن الجنة لن تكون تحت ظل أي شيء تحمله المرأة مهما تمنّت هي ذلك فهو أمر خصّ الله تعالى الرجال به وهو قول الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم: «الجنة تحت ظلال السيوف»[2].

الصلاة عماد الفرائض والعبادات، وعن الإمام الباقر عليه السلام: «إن أوّل ما يحاسب به العبد الصلاة، فإن قبلت قبل ما سواها»[3]. لا يمكن تفضيل شيء في المكان على محل اقامة الصلاة بل على العكس يمكن تفضيل محراب الصلاة على أماكن الأشياء الأخرى. تقدست كربلاء من تربة روتها دماء سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام فجعلها محراباً وصارت قبته حائراً، إنها الأرض التي أظلّتها السيوف فكانت الجنة المنشودة حيث الجنة تحت ظلال السيوف. ليس للمرأة أن تقف في هذا المحراب لكنها أينما وضعت قدمها صار ما تحته محراباً ومن الجنان؛

---

(١) أسد الغابة ـ ج (٥) ـ ص (٥٢٠).
(٢) الحكم الزاهرة (علي رضا صابري يزدي) ـ ص (٣٤٤).
(٣) بحار الأنوار ـ ج (٨٣) ـ ص (٢٥).

أي أن الأم تملك دوماً عشّاً لها في الجنة والأب أمامه الجنة ما امتد به البصر إذا ما حمل السيف للجهاد أو حينما يقف بين يدي الذات الإلهية المقدسة.

إن الرجل الذي يعتبر المرأة ضعيفة هو في الواقع محسوب على الآدميين أو ربما كان قد تُرك بينهم، والمصيبة كل المصيبة أن لا يعرف المريض ولا يعترف بأنه مريض، وأن ينسى بأن أداة قوته متصلة بجسمه لا بعقله ويرفعها ـ أي اليد ـ بدافع الهوى والطيش لا بدافع مفاتن الفتاة التي قدمت إلى بيت الزوج محملة بالآمال والأماني متطلّعة إلى حماية أكبر من تلك التي شعرت في بيت أبيها، الفتاة التي رسمت آفاقاً مشرقة في تشييد بناء جديد اسمه العائلة بعد تمكين جنسي من قبلها للزوج ومن ثم دفع عجلة الحياة.

إذا اعتبرت ضعيفة بحيث يُنظر إليها بأنها تعيسة الحظ لتزوّجها من الجنس الآخر فإنها ستنحرف عن المعيار الرئيس لمفهوم العائلة، إذ لا تربية صحيحة ويمكن أن يُتوقع منها ولا برنامجاً منتظماً على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي يُنتظر منها.

حينما كنت أدوّن في الكتب المتعلقة بموضوع الولاية ـ ثمانية مجلدات : المظلوم الضائع في السقيفة ـ ألتفتُ إلى أحد الاخوة من أهل السنة، وكان فاضلاً ومتعصّباً، وهو يبدي دهشته لما كتبت.. إن النبي الأكرم ﷺ وعلياً المرتضى وأبناءه المعصومين عليهم السلام جسدوا صور الخضوع والخشوع للّه تعالى «اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء»[1] بينما غط أمراء بني العباس وبني أمية في الشراب والرقص والغناء حذو أنفهم. لقد فتح التأريخ أبوابه ليمكننا وعبر قنوات العقل

---

(١) دعاء كميل.

والمنطق السليم تحديد هوية الفريق الخارج عن الإطار الإسلامي، فيا ترى أي الفريقين أحق بطرده من رئاسة المسلمين؟.

وهنا أقول للرجال الذين تبرز فيهم القوة البهيمية في حياتهم بأن الغضب البائن على شفتيك وعينيك وحاجبيك والهيجان الساري في عضلاتك ما هو إلاّ نتيجة للتفكير بصورة خاطئة وسيئة وأن هذه الصورة التي أنت بها يطبعها العالم في سجلاته ثم يعيدها إليك بعد أيام وربما شهور ﴿**لا تزر وازرة وزر أخرى**﴾[1].

لقد ورد عن النبي محمد ﷺ: «المرأة ضلع مكسور فاجبروه»[2]، وعنه ﷺ: «ومن صبر على خلق امرأة سيئة الخلق واحتسب في ذلك الأجر أعطاه الله... ثواب الشاكرين»[3].

وقال ﷺ: «من صبر على سوء خلق امرأته واحتسبه أعطاه الله بكل مرة يصبر عليها من الثواب ما أعطى أيوب عليه السلام على بلائه، وكان عليها من الوزر في كل يوم وليلة مثل رمل عالج»[4].

وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: «إن إبراهيم شكا إلى الله ما يلقى من سوء خلق سارة فأوحى الله إليه: إنما مثل المرأة مثل الضلع المعوج إن أقمته كسرته وإن كسرته استمتعت به، أصبر عليها»[5].

إن تشبيه المرأة بالضلع أمر يستحق التأمّل لأن لكل ضلاع

---

(١) سورة النجم: الآية، ٣٨.
(٢) مستدرك الوسائل ـ ج (١٤) ـ باب (٦٧) ـ ص (٢٥٢).
(٣) وسائل الشيعة ـ ج (٢٠) ـ باب استحباب خدمة المرأة زوجها في البيت ـ ص (١٧٤).
(٤) ميزان الحكمة ـ ج (٤) ـ باب الزواج ـ ص (٢٨٨).
(٥) الكافي ـ ج (٥) ـ ص (٥١٣) ـ ح (٢).

خصائص لا تكون لغيرها من سائر عظام البدن فالأضلاع تطوّق على كثير من أعضاء الجسم ومن بينها القلب والرئة موفرة لها الحماية شأنها في ذلك شأن الثوب الذي يحبس في داخله الجسد وهو في نفس الوقت يحميه من العوامل الخارجية المضرة، وهذا ما يتناسب مع مفهوم الآية الشريفة ﴿**هنَّ لباسٌ لكم وأنتم لباس لهن**﴾ إذ كل منهما وقاء للآخر. يتسع ما بين الأضلاع فتزداد قوة الجذب فيما بينها وبين الأعضاء ثم تنقبض فتضغط على الرئة. وبالتالي تزداد قوة التنافر وهنا شبه مع عالم المرأة لا يخفى على ذي لب فالزوجة أحياناً تتجلى فيها عوامل الجذب وتظهر فيها آثار الود العائلي وأحياناً تكون محطاً للصفات المنبوذة.

وهكذا تكثر في المرأة عوامل الجذب وعوامل النفور حتى أمكن البحث فيها عن كثير من الممكن واللاممكن في آن واحد.

إذا كانت الأضلاع تنبسط وتنقبض ست عشرة مرة في الدقيقة لتفصح عمّا تحامي عنه من الأعضاء فإن المرأة أيضاً تحاول عبر حالتها المختلفة إظهار ما تختزنه من أبعاد في شخصيتها وتظهر للمجتمع على الصورة التي نشأت وترعرعت عليها، وهذه كلها تضيع في تجاذبات الحياة ما لم تحتكم للعقل والمنطقية، والإمام الحسن المجتبى عليه السلام يقول: «عجبت لمن يتفكر في مأكوله كيف لا يتفكر في معقوله»[1].

يعد الفم الطريق المؤدي إلى نمو الجسم، والأذن والعين والفؤاد السبيل لنمو الروح..

نحن نهتم كثيراً بما نريد أن نأكله سواء على صعيد الجانب الصحي أم على صعيد الطعم لكننا أقل اهتماماً بنوع الكلام والأصوات التي ترد أسماعنا والمناظر أو المخطوطات التي نشاهدها أو العوامل

---

(١) بحار الأنوار ـ ج (١) ـ باب (٦) ـ ص (٢١٨).

التي تغيّر الأفئدة أو تكسيها الأغشية. إذا مال ضغط على الجانب الأيمن للأضلاع فإن جريان الهواء في الرئة الواقعة في ذلك الجانب سيضعف وإن تعرّضت الأضلاع للضغط ازداد احتمال تكسّرها لأنها أقرب للكسر من باقي العظام، وإن فقدت المرأة ثقتها في بعد من الحياة فإن ارتباطها بذلك الأمر سيشوبه السقم وإذا ساورها القلق والاضطراب من جهة أنها امرأة مما قد يبعدها عن حقها فإنها ستفقد ثقتها بنفسها وستعاني من هذا البعد.

ولذا فالرجل المسلم الذي يكنّ الاحترام والعزّة لرسول الله ﷺ ويقدم على الزواج متحملاً أعباء المسؤولية دون أن يؤذي زوجته، لن يتعرض إلى ضغوط بالحياة تؤدي إلى تكسّر أضلاع حياته، ومثلما يفقد ثقته السابقة ببدنه بعد تكسّر أضلاع بدنه فهو يفقد جانباً من ثقته بالحياة بعد تهشّم أضلاع حياته، وهنا ينجم عن هذا الخوف أن الأب والأولاد سيصابون بتحلل القوى قبل أن تأخذ الآلام والهموم الأم من كل جانب.

المرأة ريحانة وليست قهرمانة وقد أسهبت في الحديث عن ذلك في المجلدين التاسع والعاشر من سلسلة هذه الكتب، وأضيف هنا بأن الرسول الأكرم ﷺ : «حُبِّب إليَّ من دنياكُم النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة»[1].

لاحظ كيف هو حب الرسول الأكرم ﷺ للعطر والطيب إذ يوصله بحب المرأة.. المرأة ريحانة والعطر خلاصة الزهور والأوراد ولو التفتت النسوة إلى مدى الاهتمام الذي أولاهنّ به الإسلام الحنيف لعرفن مرتبة الكمال التي هنّ فيها، هذه المرتبة التي ليس للرجل أن يتصورها. إن مرتبة الأم يحدّها العرش الإلهي من الأعلى وجنة

---

(١) وسائل الشيعة ـ ج (٢) ـ باب (٨٩) ـ ص (١٤٤).

الفردوس من الأسفل، وإن كانت في زمن الحمل فهي كالقائم ليله والصائم نهاره وحينما تلد الطفل صارت كمن أعتق رقبة من ذرية النبي إبراهيم عليه السلام من ولد النبي إسماعيل عليه السلام، الذرية التي سأل النبي إبراهيم عليه السلام ربه الإمامة لها ﴿.. **قال ومن ذريّتي قال لا ينال عهدي الظالمين**﴾[1].

يكون الحق تكليفاً حينما يظهر للعيان.. «كل مولود يولد على الفطرة...»[2] أنه يولد على عبادة الله سبحانه وتعالى وهو حق حتى إذا صار إلى العالم الخارجي تحول الحقّ فيه إلى تكليف. تكون الأم والجنين في بطنها على حال العبودية والحق فهي كالقائم ليله والصائم نهاره فإن جاءها المخاض مصحوباً بآلام «مرغوبة» ولدت الطفل وتحول الحق فيها إلى تكليف. لقد كانت الأم توصل الدم إلى رأس الجنين في رحمها بواسطة الحبل السري وبعد أن ولدته يختار دماغ الطفل لنفسه الطريق وتختار الأم طريقها إلاّ أن يلتقيا في المسير إلى الله تعالى حيث ترتقي العلاقة حينها إلى مستوى الأخوة في الله تعالى ﴿**إنما المؤمنون إخوة**...﴾[3]. الظريف أن المسلمين أوصوا بالعالم أجمع لكنهم لم يُعبّر عنهم باخوة الإيمان ولهذا نجد أن الاتحاد ممكن بين الفئات المختلفة أمّا الوحدة فلا تكون سوى لدى أصحاب الفكر الواحد والمنهج الواحد.

إن اقتناع المرأة بالزواج متأت من اقتناعها بعدم توفر الاستقرار المنشود لديها فيما لو بقيت عازبة، وهذا الشعور الذي ينمّ عن جانب من الضعف لا يسوّغ للرجل أن يمارس دوراً سلطوياً ويلقي «الاستكبار

---

(١) سورة البقرة: الآية، ١٢٤.
(٢) بحار الأنوار ـ ج (٣) ـ ص (٢٧٩) ـ باب (١١).
(٣) سورة الحجرات: الآية، ١٠.

الرجولي» بظلاله على الحياة الزوجية. إن الفتاة تتطلع من خلال الزواج إلى هدف سامٍ وتطمع بالتكامل ولذا قامت بتقديم أغلى ما لديها من أجل الولد؛ الابن صار رجلاً والبنت صارت امرأة، لكن الامرأة هذه تشعر في لحظات أنها ذات حظ متعثر ويظهر ذلك عليها فتغدو أمّها تتحدث عن تعاسة ابنتها ويضغط الأب على آلامه ويكبتها فتنفجر دموعاً تنساب على خديه وهو في هذه الحال يتضرع إلى الله تعالى ويتساءل: ألا يعود هذا الرجل إلى أعماقه ويتحسس آدميته ويعرف بأن الله تبارك وتعالى أودع في يده نسمة من بين مليارات من بني البشر وجعلها في عصمته؟! .

جانب من حقوق المرأة

أين ومتى أقرت تعاليم الإسلام الحنيف للرجل حق استخدام القوة أو سلب المرأة حقوقها المستقلة، حتى يتصوّر الرجل أن من الخطأ إظهار الرغبة في إدخال السرور على قلب الزوجة أو أنه لا ينبغي للزوجة أن تتوقع مساعدة زوجها لها في البيت؟!.

إن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يبيّن في الحديث الشريف «من صبر على سوء خلق امرأته واحتسبه أعطاه الله بكل مرّة يصبر عليها من الثواب ما أعطى أيوب عليه السلام»[1] مدى الأجر الذي يصيب الرجل من جراء صبره على سوء خلق زوجته، وكذلك أجر الزوجة الصابرة على سوء خلق زوجها من خلال الحديث الشريف «من صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها مثل ثواب آسية بنت مزاحم»[2].

ولكي تعرف ما يجب أن نكون عليه، قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «رحم الله امرءاً علم من أين وفي أين وإلى أين» و «رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه»[3].

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج (٤) ـ باب الزواج ـ ص (٢٨٨).
(٢) ميزان الحكمة ـ ج (٤) ـ باب الزواج ـ ص (٢٨٨).
(٣) نهج البلاغة.

أي أن المرء بين حالات أو أوقات ثلاثة؛ بين الماضي والحاضر والمستقبل، ومن أجل أن يكون الإنسان في كل ذلك على مستوى واحد وفي مسيرة حياتية متوسطة لا بد له من امتطاء الصراط المستقيم الموصل مباشرة إلى الجنة، وحينها لا من المستقبل يخاف ولا من الماضي على حزن، وحاله اليوم تبيّنه الآية الكريمة ﴿**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون**﴾[1].

ما أعظمه من اعجاز، ففي آية واحدة جرت الإشارة إلى آلية الأداء ومعالم الطريق والمقصد في آن واحد.

إن الإنسان إذا لهج لسانه وقلبه وكافة أعضائه وخلاياه بذكر الله تعالى ثم سار على الصراط المستقيم فقد جسّد الثبات من جهة وحوّل القول إلى فعل على صعيد الواقع من جهة ثانية ومعنى هذا أنه عمل من أجل رفاه وسعادة المجتمع ومثل هذا النموذج لا يمكن أن يخاف من المستقبل ولا يحزن على الماضي لأن الملائكة ستتولى تدبير أموره ﴿**فالمدبّراتِ أمراً**﴾[2] مما يعني انتفاء معنى الخوف والحزن لديه.

لقد امتطى هؤلاء الصراط المستقيم الموصل للجنة ﴿**أبشروا بالجنة**﴾ والمردد لذكر الله تعالى يكون ككنز زخر بالجواهر وأحاط به الحرّاس فاحتفظ بقيمته وصار في مأمن من السرّاق، فإنه لن يحزن على ما اختزنه من جواهر ـ ذكر الله تعالى ـ فهي له ولن يخاف من فقدانها في المستقبل مما يعني تمتعه بحياة متوازنة متزنة. الطب يؤيد من جانبه هذا المطلب حيث يؤكد علم النفس بأن الإنسان المتزن في جوانبه الحياتية

---

(١) سورة فصلت: الآية، ٣٠.

(٢) سورة النازعات: الآية، ٥.

يكون ممن لم يتعرّض للضغوط النفسية في السابق ولا يأبه بما قد يواجهه منها في المستقبل واللحظة التي هو فيها تمثل نقطة الالتقاء بين أنه «كان» و «صار»، متحرراً من حالة الاضطراب والازدواجية مستقراً في حياة واحدة متسقة المنهج وسليمة مما يستوجب منه الشكر للّه تعالى قولاً وعملاً.

﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضيةً مرضية﴾[1].

يعد الحديث الشريف «ومن صبر على خلق امرأة سيئة الخلق واحتسب في ذلك الأجر أعطاه الله ثواب الشاكرين»[2] والالتزام به من الموارد التي يكون الشروع فيها بذكر الله تعالى وتساميها ومعاظمها بالشكر له وختامها في جنات عدن.

إن الشكر يعني اطلاق البشرى بعدم الانتقام مما سبق وعدم الغوص في وحل المذلة مستقبلاً... لقد أطرى الدين الإسلامي الحنيف على العلاقات الطيبة في العائلة إلى الحد الذي يشعر الإنسان معه بالغرور والبطولة.

إن حياة ومستقبل الأجيال مرتبط بما احتوته ملفات العلاقات العائلية، ولو عثر الزوج في دفتر مذكراته على جمل تفصح عن أفعاله القبيحة لشاهد بالتأكيد سطوراً تحكي تعدّيه على حقوق الزوجة وتصرفاته السبعية وما سببه من آلام لجسدها.

---

(١) سورة الفجر: الآيتان ـ ٢٧ ـ ٢٨.

(٢) وسائل الشيعة ـ ج (٢٠) ـ باب استحباب خدمة المرأة زوجها في البيت ـ ص (١٧٤).

الغيرة في انعدام الحياء

ذلك الجسد الناعم الذي ضاجعتُه في الليل وقسوتُ به في النهار..

تلك الروح التي عدّت الأيام تنتظر، وفي ظل قوة واقتدار رجولي، ناصراً ومعيناً.. لكنني صببت الهراوة على أمّ رأسها والسوط على جسدها.

ستأخذ الحيرة والضياع أولادي وسيلتهب قبري المظلم بالنيران التي أحجبتها من قبل بنفسي؛ هناك حيث لا عائلة ولا زوجة ولا ولد بل خزين من الأعمال والعلاقات مع الآخرين دون نسيان أو محو شيء منها.

أعرف شاباً له من الأخلاق الحميدة النصيب الوافر، إلاّ أنه يقدم على حبس زوجته في غرفة وضع عليها قفلاً كبيراً كلّما أراد الخروج من البيت.. متذرّعاً: لئلا يرى الجار من مكان مرتفع ساعديك حين الوضوء أو غسل الأواني.

إنه الجنون بعينه، لقد سلب منهما ابتسامة حتى شهر العسل مما ترك أثره السيىء للغاية حتى اليوم على المرأة بل إن الطفل الذي شاهد طريقة تصرفاته أو أحسّها بات اليوم بين يدي طبيب نفساني، ليس إلاّ.

أنت أيّها الشاب إذا كنت تغار على زوجتك، فاقرأ ما أوصى به الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ابنه الإمام الحسن عليه السلام: «إياك والتغاير في غير موضع الغيرة، فإن ذلك يدعو الصحيحة منهن إلى السقم، ولكن أحكم أمرهنّ فإن رأيت عيباً فعجل النكير على الصغير والكبير وإيّاك أن تعاتب فيعظم الذنبُ ويهون العتب»[1].

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام في مكان آخر: «إن رأيت من نسائك ريبة فعاجل لهنّ النكير على الصغير والكبير وإيّاك أن تكرر العتب فإن ذلك يغري بالذنب ويهوّن العتب».

إن دور الشيطان الرجيم يقوى ويتعزز حينما تقدّم عبادة النفس على عبادة الخالق تعالى وتبتعد الشخصية الإلهية للإنسان، ويعد اعجاب الشابة بجسدها ومفاتنها من النماذج البارزة لهذه العبادة؛ فالفتاة التي تعتبر جسدها ومفاتنها عوامل جذبها ستكون معرّضة لا سمح الله للانقياد للعجب بالنفس وبالتالي عبادتها. إن هذه الحال تسوقها للخروج من محراب الزوجية إلى غرفة زليخا لتعرض ما لديها على رجل غريب في مقابل معصية كبيرة لا تُغتفر، مما يستوجب على الزوج أن ينقّي العلاقات دوماً في اطار العائلة ويعمل على عدم ارتكاب الحماقات التي تستبع أموراً لا يحمد عقباها.

---

(١) الكافي ـ ج (٥) ـ ص (٥٣٧).

التهيئة من أجل الزوجة

تحب المرأة أن ترى معبودها معبوداً لها..

وإن هي احترمته، تعيش الأمل بأن تكون احترمت من هو أهلٌ للاحترام..

وهنا يتجلّى أكثر معنى قوله تعالى ﴿**الرجال قوامون على النساء...**﴾[1].

إن علاقة الفتاة بأبيها لا تتصف بالاثارة والهيجان؛ تنظر إليه ككتاب أدعية تعود إليه بين الفينة والأخرى للبرهنة على قدسيّتها ونزاهتها. أمّا علاقتها مع زوجها فترسم في مخيّلتها عنها صوراً خاصة واستثناءات عديدة، وعندما تدخل بيته تعرف أنه «إمام المحراب» و «الساجد في السجن» والسبّاق في ساحات الوغى.

تأمل الفتاة بتحقق أحلامها الذهبية وأمانيها العذبة بشأن شريك حياتها وتكون لها حياة بملامح ونوع جديد، وهي تسعى دوماً للمحافظة على حيويّتها وجاذبيّتها، وأيّاً كان زوجها ونوع عمله فإنها تقوم بانجاز أعمال البيت عن طيب خاطر وباندفاع ملفت للنظر وتُظهر من نفسها أمارات التفاني والوفاء وكل ذلك لاعتناق الزوج والتمتع بتفوّقه الجنسي

---

(١) سورة النساء: الآية، ٣٤.

الذي تطلّعت إليه في أحلامها الحلوة السابقة.

وبغية تحقق هذا الاعتناق الجنسي فإنها تحتاج إلى الآيات الجسدية للزوج والتي يتلخص كثير منها في موضوع التزيُّنِ والتطهُّر والتهيئة.

روى الحسن بن الجهم قال: رأيت أبا الحسن ـ موسى بن جعفر ـ عليه السلام اختضب، فقلت: جعلت فداك، اختضبت؟ فقال عليه السلام: نعم، إنّ التهيئة مما يزيد في عفّة النساء، ولقد ترك النساء العفَّة بترك أزواجهنَّ التهيئة.

ثم قال عليه السلام: أيسرك أن تراها على ما تراك عليه إذا كنت على غير تهيئة؟ قلت: لا. قال عليه السلام: فهو ذاك، ثم قال: من أخلاق الأنبياء التنظّف والتطيّب وحلق الشعر وكثرة الطروقة[1].

إن الإمام الكاظم عليه السلام أعطى تفاصيل واضحة عن زيادة القدرة الجنسية وعواملها التي منها التطيّب وحلق الشعر فضلاً عن أنه جعل التهيئة من عوامل انجذاب المرأة للزوج.

لقد شرحت من قبل كيف أن الطِّيب مثير للعواطف والغرائز الجنسية وبيَّنتُ أن الشعر الكثيف يقلل من شهوة الزوج.

---

(١) الكافي ـ ج (٥) ـ ص (٥٦٧) ـ ح (٥٠).

ذلاقة اللسان والقول الحسن

تودّ الفتاة أن تسحر الرجل بجسدها وتأخذ بلبّه ومشاعره بمفاتنها، وهي لا ولن تفكر بسلاح أمضى من ذلك..

قبل أن ترد بيت الزوجية وفي بيت والدها، كانت تطيل النظر في مفاتنها وهي أمام المرآة.. تنظر إلى ساعديها البرّاقين، ترفعهما بانسيابية والخيال يحلق بها نحو زوج في ذروة الشهوة والقوة يقوم بوضع سوار ذهبي في يدها ثم يقبلها..

لكن هذا الفعل لا يبدد هواجسها، إذ هناك ما هو أثمن!.

فهل الزوج أخرس؟ أليس له لسان؟! وهذا الفلزّ الثمين الذي يزينني هل يجعلني محبوبة أيضاً؟.

لقد ألبسني السوار لكنه لم يدنُ منّي، لماذا؟! ليس في عيني شيء أعزّ رغبة تجمح بزوجي نحوي، ولا أعرف لذّة أكبر من أن أشعر بأن زوجي يحبّني.

أهداني السوار وهو يرمي شيئاً آخر، بيد أني لم أر منه الكلام المعسول المفعم بعبارات الحب التي يتداولها الأزواج. ألم يأمر القرآن

الكريم قائلاً ﴿. . **وقولوا للناس حسناً**. .﴾[1]، ثم أليس بالكلام يُعرف المؤمن والكافر والصديق والعدو؟.

ألم يقل رسول الله ﷺ : «الجمال في اللسان»[2].

ثم هل بالامكان إزالة الصدأ عن الروح إلاّ بالقول الحسن والكلمة الطيبة؟ إن ذلاقة اللسان وعذوبته لا تعتبر فقط المعيار على مدى تعلّق وانجذاب الرجل لزوجته بل هي جزء من كيان الإنسان فضلاً عما يترتب عليه من ثواب.

عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام : «القول الحسن يثري المال، وينمّي الرزق، ويُنسىء في الأجل، ويحبّب الأهل، ويدخل الجنّة»[3].

وعن ابنه الإمام الباقر عليه السلام : «قولوا للناس أحسن ما تحبّون أن يقال لكم، فإن الله يبغض اللّعان السّباب الطّعّان على المؤمنين، الفاحش المتفحش، السائل الملحف ويحب الحليم العفيف المتعفف»[4].

وروي عن ابنه الإمام الصادق عليه السلام : «. . . وقولوا للناس حسناً، واحفظوا ألسنتكم، وكفّوها عن الفضول وقبيح القول»[5].

إذا كان «وقولوا للناس حسناً» منهجنا في الحياة فإننا جعلنا الناس شركاء لنا في حياتنا، وإذا لم يكن كلامنا عذباً وفي نفس الوقت لم نُسِىءْ للآخرين فستكون لنا مكانة ملحوظة في نفوس الناس.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٨٣.
(٢) ميزان الحكمة ج (٨) ـ باب اللسان ـ ص (٤٩٢).
(٣) ميزان الحكمة ـ ج (٨) ـ باب الكلام ـ ص (٤٥١).
(٤) بحار الأنوار ـ ج (٧٨) ـ ص (١٨١).
(٥) ميزان الحكمة ـ ج (٨) ـ باب الكلام ـ ص (٤٥٠).

لكن السكوت أمام الزوجة يعني أن حبّنا مشوب بالنقص والذنب لأننا نعلم بأنها تشعر في مقابل هذا الموقف بأنها هامشية ونعلم أيضاً بأن القول لها «أحبك» يترك أثرهُ الايجابي في نفسها حتى لو كانت تعرف بزيفه وعدم خروجه من القلب، فقُول «أحبكِ» يخرجها في أقل الحال من حالة اليأس.

إن الرجل ينقلب حاله إذا ما عرف كذب كلمات الحب الصادرة عن زوجته فيما هي تقبلها وتأنس بها حتى لو عرفت كذبها وذلك للبرهنة على كونها أكثر شوقاً وانتظاراً لمحبة الزوج وودّه لها.

إطاعة المرأة

تدرك المرأة التي تؤمن معيشتها بنفسها المقصود من العنوان تماماً..

الثرثرة سمة الأنثى المتزوجة فيما هي سمة الذكر قبل أن يدخل عش الزوجية، وكل منهما يستشعر اللذة من عمله هذا! أما السبب فيعود إلى محاولتها للتعبير عما في مكنونه من أحاسيس ومشاعر حب عبر تفريغ الدماغ بواسطة التحدث.

يقل كلام الفتاة، وهي لا زالت آنسة، خوفاً من أن يصدر منها خطأ آخر في الوقت الذي يتصور الآخرون أن سكوتها ناجم عن وحدتها وإن الأعزب يتحدث كثيراً لأنه لا يخاف من سقطات اللسان بينما الحقيقة هي تفريغ الدماغ بدل التفريغ الجنسي.

إن غير المتزوجة غالباً ما تردد عبارات خاصة من قبيل «فيم كنت أتحدث؟» و «كنت متحيرة» و «قلت وقلت..» وما إلى ذلك من العبارات التي قلّما تردّدها المتزوجة، إنها تقوم بسرد تفاصيل حياتها بحيث أنها لو سئلت عن أفظع أخطائها لأجابت قائلة «أن يقال لي بأن اشتباهاتي أقل منها بعد الزواج».

ولذا جاء عن الرسول الأكرم ﷺ: «طاعة المرأة

ندامة»[1]، وفي مكان آخر يقول ﷺ: «من أطاع امرأته أكبّه الله على وجهه في النار»[2]، وفي موقع ثالث «اعصوهن في المعروف قبل أن يأمرنكم بالمنكر»[3].

إن المرأة التي تمتاز في شخصيتها ببعدي استمالة الزوج والمحافظة على الأولاد ومنشأهما واحد وهو الاحساس الشهوي، تتصف وبنفس المقدار بضعف بعدها الاجتماعي حيث تعتقد بأن كل الناس لا يعانون من مشكلة تحتاج إلى حل سوى ما تعلّق منها بالزواج والعريس والعروس والحمل والأولاد ومداراة الزوج، وهي لا تعتبر المشاكل التي يعاني منها الرجال والتي لها مدخلية في سيطرتهم وفرضها على العائلة إنها مهمة بل ولا تعير لها وزناً، أو أنّها تقوم بتقديم حلول لتلك المشاكل الهدف منها ادخال السرور والارتياح على قلب الزوج أو الأب أو الأخ. لهذا جاء الأمر بعصيان المرأة حتى في المعروف، فبما أن «أفضل الأعمال أحمزها»[4] كما جاء عن الرسول الأكرم ﷺ، وهي ترغب بإزاحة سحب الغم والألم من سماء زوجها بأية طريقة كانت وتقطع عنه حبل المشاكل كيفما ارتأت فإنه ينبغي عدم الانقياد بما تشير به، على أن ما تدعو إليه وتسعى لتحقيقه إنما هو من منطلق الحب والودّ الذي تحمله ازاء زوجها مما يستلزم منه مقابلتها بالمثل من الحب والتودد بل وبنسبة أكبر مما يظهر منها خاصة وأنه لن يعمل بما أشارت به، وبعبارة أخرى يستقبل ويرحب بما تقول ثم يفهمها الوسيلة الأنجع للموضوع وبأسلوب محبب.

---

(١) مكارم الأخلاق ـ في هنات تتعلق بالنساء ـ ص (٢٣١).
(٢) مكارم الأخلاق ـ في هنات تتعلق بالنساء ـ ص (٢٣١).
(٣) وسائل الشيعة ـ ج (٢٠) ـ باب استحباب معصية النساء ـ ص (١٧٩).
(٤) ميزان الحكمة ـ ج (٧) ـ باب العمل (١) ـ ص (١٩).

المرأة وركوب السرج

ذكرت آنفاً الحديث الشريف «أفضل الأعمال أحمزها»[1]، والمقصود منه وجود الأضداد في كل عمل يقوم به الإنسان فعمل الخير لا يخلو من مشقة وصعوبة والحب يرافقه القلق والاضطراب، وفي صورة حية يقول القرآن الكريم ﴿**فإنّ مع العسر يُسراً إنّ مع العسر يُسراً**﴾[2].

إن الفتاة لم ولن تضحي بآمالها العريضة وما رسمته في مخيلتها عن حياتها المقبلة وزواجها المليء بالأماني من أجل ركوب سرج الفرس أو البغل أو السيارة. صحيح أنها تحلم بجلوسها إلى جانب زوجها في سيارته مستقبلاً بل وفكّرت أيضاً كيف تترجم للزوج ارتياحها أو انزعاجها منه من خلال الجلوس في المقعد الأمامي أو الخلفي لكن رغبتها في ركوب السروج لا تكون إلاّ بدافع الحسد، فالمرأة تقدم على مداعاة الزوج بإركابها الفرس أو شرائه للسيارة حينما ترى أو تسمع بأن إحدى صديقاتها أركبها زوجها الفرس أو جلست إلى جانب زوجها في سيارة يقودها بنفسه!.

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج (٧) ـ باب العمل (١) ـ ص (١٩).
(٢) سورة الشرح ـ الآيتان (٥ ـ ٦).

وليس من المغالاة القول إن كافة البنات رسمن في مخيّلتهن قبل الزواج آمالاً ذهبية بحجم العالم المحيط بهن، ويحببن أن يشاهدن حياتهنَّ على النحو الذي تأمّلنه ولن يطلبن مطلقاً ما يعكر في الغد صفو وسعادة عوائلهنَّ بالقرب من أزواجهنَّ وأولادهنَّ.

على كل حال.. تصوّر البنت في مخيلتها قبل الزواج حتى شكل المملحة التي ستضعها على المائدة في بيت الزوجية، تتطلع لاحتضان قوي ودافىء من قبل الزوج ولا تفكر في غضون ذلك إلاّ بما يزيده اقتراباً منها وافتناناً بها. إنها مستعدة للتغاضي عن الوقائع والمشاكل التي تعاني منها كثير من العوائل من أجل حبها الملتهب باطراد يوماً بعد آخر، إنها بالتأكيد غير مستعدة للتفريط به من أجل ركوب على سرج الفرس أو ما شابهه.

وكما بيّنت سابقاً؛ إذا كانت المرأة تثار غريزتها وشهوتها بعوامل حركية كالقبلة والتمسيد وما إلى ذلك وهي أسلم العوامل فلِمَ يجري اثارتها بعوامل أخرى حيث أثبت العلم المعاصر أن جلوس الأنثى على السرج يثير شهوتها علماً أن هذه المعلومة نقلها الإمام الصادق عليه السلام عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما قال: «نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن أن تركب السرج الفرج»[1] يعني المرأة تركب السرج.

---

(١) مكارم الأخلاق ـ في هناك يتعلق بالنساء ـ ص (٢٣١).

البنت حسَنَة

يحب عامة الناس أن يرزقهم الله تعالى الذكور، وهو أمر ممدوح..

أما الأمر المذموم فهو أن يكره المرء أن يرزقه الخالق تعالى البنات، فلطالما تحدثت الأحاديث الشريفة عن إكرام البنات وخصّهنّ بالمحبة وطلبهن من الله تعالى..

عن الرسول الأكرم ﷺ، قال: «خير أولادكم البنات»[1].

وعنه أيضاً ﷺ، قال: «من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات وجبت له الجنة».

فقيل: يا رسول الله، واثنتين؟ فقال: واثنتين، فقيل: يا رسول الله، وواحدة؟ فقال: وواحدة»[2].

وورد في «نوادر الحكمة» عن ابن عباس «رضي الله عنه» قال: قال النبي ﷺ: «... فإنّه من فرّح ابنته فكأنّما أعتق رقبة من ولد إسماعيل»[3].

---

(١) مكارم الأخلاق ـ في الأولاد وما يتعلق بهم ـ ص (٢١٩).
(٢) وسائل الشيعة ـ ج (٢١) ـ باب استحباب طلب البنت واكرامهن ـ ص (٣٦١).
(٣) مكارم الأخلاق ـ في الأولاد وما يتعلق بهم ـ ص (٢٢١).

وقال ﷺ: «نعم الولد البنات المخدرات، من كانت عنده واحدة جعلها الله ستراً له من النار. ومن كانت عنده اثنتان أدخله الله بهما الجنّة..»[1].

وقال ﷺ أيضاً: «من دخل السوق فاشترى تحفة فحملها إلى عياله كان كحامل صدقة إلى محاويج، وليبدأ بالاناث قبل الذكور»[2].

وروي عنه ﷺ قائلاً: «من ولدت له ابنة فلم يؤذها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها ـ يعني الذكور ـ أدخله الله بها الجنّة»[3].

روي أن رجلاً باسم «عمر بن يزيد» قال للإمام الصادق عليه السلام: إن لي بنات.

فقال عليه السلام له: «لعلك تتمنى موتهنّ، أما إنّك لو تمنّيت موتهنّ ومُتنَ لم تؤجر يوم القيامة، ولقيت ربّك حين تلقاه وأنت عاص»[4].

وقال أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام له: تزوّجت بالمدينة.

فقال الإمام الصادق عليه السلام: كيف رأيت؟.

قال: ما رأى رجل من خير في امرأة إلاّ وقد رأيته فيها، ولكن خانتني.

فقال عليه السلام: وما هو؟.

قال: ولدت جارية.

فقال عليه السلام: لعلك كرهتها، إن الله عزّ وجلّ يقول ﴿آباؤكم

---

(١) مكارم الأخلاق ـ في الأولاد وما يتعلق بهم ـ ص (٢١٩).
(٢) ميزان الحكمة ـ ج (٤) ـ باب الزواج ـ ص (٢٩٠).
(٣) ميزان الحكمة ـ ج (١٠) ـ باب الوالد والولد ـ ص (٧٠٥).
(٤) مكارم الأخلاق ـ في الأولاد وما يتعلق بهم ـ ص (٢١٩).

وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً﴾[1].

والعلي العظيم يقول في محكم كتابه العزيز **﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودّاً وهو كظيمٌ يتوارى عن القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هونٍ أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾**[2].

روي أنه «أتي رجل وهو عند النبي ﷺ فأُخبر بمولود أصابه فتغيّر وجه الرجل، فقال له النبي ﷺ: مالك؟ فقال: خير. فقال ﷺ: قل. قال: خرجت والمرأة تمخض فأُخبرت أنها ولدت جارية. فقال النبيّ ﷺ: الأرض تقلّها، والسماء تظلّها، والله يرزقها، وهي ريحانة تشمّها..»[3].

وقال نبينا محمد ﷺ: «نعم الولد البنات، ملطّفات مجهّزات مؤنسات مباركات مفليات»[4].

وفي مكان آخر يقول ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى على الاناث أرقّ منه على الذكور، وما من رجل يدخل فرحة على امرأة بينه وبينها حرمة إلاّ فرّحه الله يوم القيامة»[5] وقال ﷺ: «من يمن المرأة أن يكون بكرها جارية»[6]، وكذلك «من عالَ ابنتين أو ثلاثاً كان معي في الجنة»[7] و «من كان له ابنة فالله في عونه ونصرته وبركته ومغفرته»[8].

---

(١) وسائل الشيعة ـ ج (٢١) ـ باب كراهة كراهة البنات ـ ص (٣٦٣).
(٢) سورة النحل: الآيتان (٥٨ ـ ٥٩).
(٣) وسائل الشيعة ـ ج (٢١) ـ باب كراهة كراهة البنات ـ ص (٣٦٣).
(٤) وسائل الشيعة ـ ج (٢١) ـ باب استحباب طلب البنات واكرامهن ـ ص (٣٦١).
(٥) وسائل الشيعة ـ ج (٢١) ـ باب استحباب زيادة الرقة على البنات ـ ص (٣٦٧).
(٦) مستدرك الوسائل ـ ج (١٤) ـ باب (١١٨) ـ ص (٣٠٤).
(٧) مستدرك الوسائل ـ ج (١٥) ـ باب (٣) ـ ص (١١٥).
(٨) مستدرك الوسائل ـ ج (١٥) ـ باب (٣) ـ ص (١١٥).

ويقول مولانا المصطفى ﷺ أيضاً: «من عال ثلاث بنات يعطى ثلاث روضات من رياض الجنة كل روضة أوسع من الدنيا وما فيها»[١] و «من كانت له ابنة واحدة كانت خيراً له من ألف حجة وألف غزوة وألف فدية وألف ضيافة»[٢].

وكذلك قال ﷺ: «... ومن كانت له ابنتان فواغوثاه بالله، ومن كانت له ثلاث وضع عنه الجهاد وكل مكروه، ومن كانت له أربع فيا عباد الله أعينوه، يا عباد الله أقرضوه، يا عباد الله ارحموه»[٣].

وفي رواية أخرى عنه ﷺ: «... ومن كانت عنده ابنتان أدخله الله بهما الجنة، ومن كن ثلاثاً أو مثلهنَّ من الأخوات وضع عنه الجهاد والصدقة»[٤].

وجاء عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: بُشّر النبي ﷺ بابنة، فنظر في وجوه أصحابه فرأى الكراهة فيهم، فقال: «ما لكم؟! ريحانة أشمّها ورزقها على الله عزّ وجلّ»[٥].

وعن الإمام السجاد عليه السلام قال: «من عال ابنتين أو أختين أو عمّتين أو خالتين حجبتاه من النار»[٦].

وورد عن الحسن بن سعيد اللخمي قال: ولد لرجل من أصحابنا جارية، فدخل على أبي عبدالله الصادق ـ عليه السلام فرآه متسخّطاً، فقال

---

(١) مستدرك الوسائل ـ ج (١٥) ـ باب (٣) ـ ص (١١٥).
(٢) مستدرك الوسائل ـ ج (١٥) ـ باب (٣) ـ ص (١١٥).
(٣) وسائل الشيعة ـ ج (٢١) ـ باب كراهة كراهة البنات ـ ص (٣٦٤).
(٤) مكارم الأخلاق ـ في الأولاد وما يتعلق بهم ـ ص (٢١٩).
(٥) وسائل الشيعة ـ باب كراهة كراهة البنات ـ ص (٣٦٥) ـ ج (٢١).
(٦) وسائل الشيعة ـ باب استحباب طلب البنات واكرامهن ـ ص (٣٦٢) ـ ج (٢١).

له: أرأيت لو أن الله أوحى إليك أن اختار لك أو تختار لنفسك؟ ما كنت تقول؟ قال: كنت أقول: يا رب، تختار لي.

فقال عليه السلام: فإن الله عزّ وجلّ قد اختار لك. ثم قال: إن الغلام الذي قتله العالم الذي كان مع موسى عليه السلام وهو قول الله عزّ وجلّ **﴿فأردنا أن يُبدلهما ربهما خيراً منه زكاةً وأقرب رحماً﴾**، أبدلهما الله عزّ ووجلّ به جارية ولدت سبعين نبياً[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا بنات»[2].

وقال عليه السلام: «البنات حسنات والبنون نعمة، والحسنات يثاب عليها والنعمة يسأل عنها»[3].

لقد ذكرت من قبل أن هوية الجنين ذكراً كان أو أنثى تحددها نطفة الزوج، فنطفة الرجل على قسمين ونطفة الزوجة من قسم واحد فكلّما تلاقحت نطفة من الزوج تحمل صفات أنثوية مع نطفة المرأة كان الطفل أنثى أما إذا تلاقحت النطفة الحاملة للصفات الذكرية مع نطفة الزوجة كان الطفل ذكراً. ووضحت أن بالامكان انجاب المولود الذكر أو الأنثى عبر عوامل فيزيائية أي العمل على تحريك النطفة ذات الصفات الذكرية أو ذات الصفات الأنثوية لتلقيح نطفة الزوجة، ولم يستطع العلم تجاوز هذه المرحلة.

إن العلم لم يتوصل إلى ما يفسر الحالة التي حصلت لسيدتنا مريم ابنة عمران عليها السلام إذ ولدت النبي عيسى عليه السلام بالرغم من أنه لم يمسّها بشر ونطفتها أنثوية بحتة..

---

(١) وسائل الشيعة ـ باب كراهة كراهة البنات ـ ص (٣٦٢) ـ ج (٢١).
(٢) وسائل الشيعة ـ باب استحباب طلب البنات واكرامهن ـ ص (٣٦١) ـ ج (٢١).
(٣) وسائل الشيعة ـ باب كراهة كراهة البنات ـ ص (٣٦٥) ـ ج (٢١).

على كل حال، إن الثابت علمياً هو أن نطفة الزوج هي التي تحدد جنس المولود لأنها على نوعين، ذكرية وأنثوية الصفات، وما توبيخ الزوج زوجته لانجابها بنتاً أو ابناً إلاّ توبيخ لأعضائه كالدماغ والجهاز التناسلي لعدم قيامها بواجبها على النحو الذي يريد هو، فالجهاز التناسلي لم يبرهَن على قدرته والجهاز العصبي لم يحط علماً بما يأمله صاحبه ويرجوه، وفي الحالتين يعود التقصير على نفس الزوج.

اعلم أيّها الزوج الطامح لفرض وصايته، إن الوصاية العارية من الفضل والفضيلة يشوبها الألم والمشقّة والأسوأ من هذا الألم ما يتولد لديك من أحاسيس متضاربة اتجاه الزوجة الشابة.. أنت تخاف وتترهب من مرحلتها الانتقالية، من بكارتها، من تعاستها، من توفير المعاش لها، من ضرورة الاشراف على شؤونها، من أن لا تكون العصا التي تتوكأ عليها في آخر عمرك، من عدم امتلاكها للجرأة وأيضاً من كونها المستهلك في حياتك لا المنتج.. غير أن هذه الأحاسيس تتعارض بصورة مباشرة مع الدين والتسليم للّه سبحانه وتعالى أي إن هذه الأحاسيس المتضاربة تتناسب طردياً مع الابتعاد عن التسليم، أي عن الدين، أي عن الإسلام.

﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾[1]، ما أكبر الهوّة بيننا وبين..

الخوف من أن يُرزق البنت، وهو يعيش تجربة حب مع بنت أخرى.

الخوف من أن يُرزق البنت، وهو ينظر إلى والدته الحنونة بكل ودّ وشوق.

---

(١) سورة آل عمران: الآية، ١٩.

الخوف من أن يُرزق البنت، وهو يتحسس المشاعر الحية لأخته واختيار زوج مناسب لها.

الخوف من أن يُرزق البنت، دون أن يخاف من الله جلّ وعلا الذي منحه الجرأة والقدرة ليكون أول وآخر مخلوق يعترض على قضائه!!.

لا ينبغي لك أن تحاول مصادرة قدرها ومنزلتها لصالحك أو لصالح الناس. لقد منحك الله سبحانه وتعالى فرصة أن يكون لك من بين كل إناث العالم، ومنهن أمك وأختك وعمتك وخالتك، بنت تختص بك فتأوي إليها وتلوذ هي بك، شريكة لحياتك، باذلة لك شبابها، اختارتك طواعية وحطت رحالها عندك ولذا ليس من الانصاف أن تقوم بطعنها في بيت أحلامها وتُنحي باللائمة عليها في وقت أنت أحق بهما منها، فتجعلها تعيش المحنة وتسوقها للخروج من الموازنة الحياتية التي ينبغي توفيرها لها.

إن البنت أو الابن يتكون بعد ارتباط فيزيائي لا يستغرق سوى دقائق، فهل تعتقد بعد ذلك بأنّهما ليسا منك؟!.

إذا لم يكن الجواب ايجابياً، فلماذا تقيّد البنت بعادات وتقاليد مغلوطة.. لم أر أفضل وأسمى من مقولة الرسول الأكرم ﷺ في تبيين عدم وجود اختلاف بين البنت والابن: «البنات حسنات والبنون نعمة، والحسنات يثاب عليها والنعمة يُسأل عنها»[1].

إنه قول يتواءم مع معنى الحياة، يجعل الإنسان على بصيرة من

---

(١) وسائل الشيعة ـ باب كراهة كراهة البنات ـ ص (٣٦٥) ـ ج (٢١).

أمره، ويضعه على قمم الأخلاق وقلل الحرية، ويجسد فيه الفضيلة والتسامي.

حينما يجري تشبيه البنت بالحسنة والابن بالنعمة يتبادر إلى الذهن أن الحسنة تُكتسب بعد مجهود مبذول فيما النعمة تُمنح عطية. ينبغي تخطي الصعاب أو القيام بفعل ما لنيل الحسنة ولهذا أخبر النبي الأكرم ﷺ بوجود أجر في مقابلها، أمّا النعمة فهي ترتبط بالمكانة الاجتماعية والمستوى الفكري للشخص ولذا يستلزم وضعها في محلّها وإلاّ جاء السؤال عنها يوم القيام فيم استِهلِكت ﴿**ولتُسألن يومئذٍ عن النعيم**﴾[1]، ولم لا يكون كذلك و «الجنة تحت أقدام الأمهات»[2] و «الجنة تحت ظلال السيوف»[3].

لكنه حينما أجمع بين أحاديث الرسول الأكرم ﷺ الثلاثة الآنفة الذكر، أجد من الضروري الإشارة إلى نقطتين جديدتين لم أتطرق لهما حينما شرحت جوانب الحديثين الأخيرين في الفصول السابقة.. لقد ذكر الأمّ بالاسم ولم يذكر الأب إلاّ بالكناية من خلال السيوف، وعادة العرب أن تطلق كنية «أمّ..» على كل أنثى تقوم بتوفير الرفاه وتزيل الهمّ عن آخر أو آخرين، سواءً كانت عمّة أو خالة أو جدّة، ولذا جاءت الكنية المشهورة لسيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام عندما كنّاها أبوها الرسول الأكرم ﷺ بـ «أمّ أبيها»، أما التي تحمل صفة الأمومة فيطلق عليها اسم «الوالدة».

النقطة الثانية هي أن لكل أم قدماً لكن السيف ليس له ظل إلاّ

---

(١) سورة التكاثر: الآية، ٨.
(٢) كنز العمال ـ ح (٤٥٤٣٩).
(٣) كنز العمال ـ ح (١٠٤٨٢).

عندما يُشهر ولهذا فالمرأة حسنة، فبمجرد أن صارت أمّاً وأزالت غمّاً ووفّرت راحة خلقت الجنة في حين أن الجنة لن تكون تحت ظلال سيفه إلاّ إذا كان مؤهّلاً لحمل السيف لأمر يرضاه الله سبحانه وتعالى لا لأذية الناس وجسّد صورة المسلم والبطل الحقيقي وانقاد لقيادته، ومن هذا المنطلق كانت الجنة نصيب كل ذلك اللطف والخير الذي حمله بيده مصحوباً بنية صادقة تنأى بنفسها عن الأغراض الشيطانية.

ليس لأحد أن يتصور مدى الاحباط الذي سيصيب البنت المدركة والذكية إذا ما سمعت وهي في سنّ اعتزازها واعجابها بنفسها، بأن والدها عاد إلى البيت يوم ولادتها حزيناً مضطرباً وقابل والدتها بفتور وبتصرفاتٍ مشينة لا لشيء إلاّ لكونها ولدت بنتاً؛ ففي هذه الحالة ترى البنت دوماً إن الفاصلة بينها وبين أبيها كبيرة وتعتبر علاقة بنوّتها به فاشلة وبالتالي تفقد توازنها على صعيد الحياة وتنمحي من مخيلتها أحلامها الجميلة عن القفص الذهبي.

إن الأب الأناني والذي يكره أن يُرزق بنتاً، نادراً ما يرى استقرار ابنته وراحتها في بيت زوجها، لأن الفتاة التي قوبلت في بيت والدها ـ حيث أراد الله تعالى لها هذا الأب وهذه العائلة ـ بحالة من الصدود والفتور لا يمكن أن تتصف حياتها في بيت زوجها ـ وهو مصداق آخر لشخصية الرجل التي رأتها في والدها ـ بالرّقة واللطافة. كيف لمثل هذا الأب الذي يهنىء زوجته في يوم ولادتها بطريقة أشبه ما تكون بتقديم التعازي أن يأمن عدم مرور ابنته في زمن الحمل بوضع نفسي مضطرب خوفاً من أن تلد أنثى؟ إن فعل الأب هذا نوع من التضييع للأولاد.

في المجلد الذي تحدثت فيه عن قراءة الآذان في الأذن اليمنى والإقامة في الأذن اليسرى للمولود، أشرت إلى بعض النقاط ومنها ما

تعلّق بظلمة الرحم حيث بيّنت بأن قراءة الآذان تزيح عتمة الرحم من جهة وتُعدّه للعالم الجديد وبما يتناسب مع فطرته من جهة أخرى حيث «كل مولود يولد على الفطرة»[1] بل إنها بمثابة ترحيب بهذا الموجود الجديد. ما أعجب ما كان يقوم به الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن قبل خطبة الإمام علي عليه السلام لابنته فاطمة الزهراء عليها السلام . . . لقد شمّر عن ساعديه وقسّم المهام على أزواجه وبعض أصحابه ليعدوا العدة لزواج «النور من النور» وكل ذلك من أجل أن يبين مدى تعظيم رب العائلة وكبيرها لأمر الزواج وحتى يطرد الجانبان من عقليهما فكرة اسمها «الطلاق»، فلو فكرا يوماً بالطلاق فستكون مشاركة الأقارب من الطرفين في حفل الزواج والعناء الذي تجشمه أبوا العائلتين في المناسبة، عاملاً لردعهما عن الاقدام عليه. إن هذا المعنى سائد في حياة الناس حيث «ما تكسبه بسهولة تتنازل عنه بسهولة» وعليه فلا بد من معرفة قيمة الزواج وسموّ مكانته.

إن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم تطرق في وصاياه للإمام علي عليه السلام حتى لمسألة وليمة الزواج وذلك ليبيّن منزلته في الشارع المقدس[2].

إنّها مائدة يوم الدار، مائدة ضيف إبراهيم، مائدة عيسى ﴿**ربنا أنزل علينا مائدةً من السماء. . .**﴾[3] ومائدة موسى ﴿**المنّ والسلوى. . .**﴾[4].

على الهامش. . . صحيح أنه لا بأس بأن يكون المسجد مسجداً ومدرسة ومقراً انتخابياً في آن واحد، بل ولكل نشاط اجتماعي، لكنه

---

(١) بحار الأنوار ـ ج (٣) ـ ص (٢٨١).
(٢) مكارم الأخلاق ـ الباب الثامن ـ ص (٢١٢).
(٣) سورة المائدة ـ الآية (١١٤).
(٤) سورة البقرة: الآية، ٥٧.

ينبغي للراغبين بتفعيل هذا الأمر أن يعلموا بأن الزواج الذي تقام مراسمه في المسجد تحدّه أُطر خاصة لا تُلحظ في غير هذا المقام في أماكن أخرى كما أن جهود خادم المسجد أثناء المناسبة لا تُقارن مطلقاً بالتي يبذلها أبُ العائلة. . إن مجرد مشاركة وجها العائلتين ولا سيما أبواها يضفي طابعاً من الهيبة على حفل الوصال وتعد بمثابة ترحيب بالعروس المتوجهة نحو بيت العريس وتشجيع ومؤازرة للأخير في مسؤوليته الجديدة. ثم هناك موقف آخر لكبير العائلة يكمّل موقفه الأول وذلك حينما يلقّن ثمرة هذا الوصال بكلمات إلهية، حينما يؤذّن ويقيم في أذني المولود.

تسعى البنت وقبل أن تتوجه إلى بيت الزوجية، إلى أن تنزع عن نفسها ثياب الماضي ولا ترغب أبداً بأن تحمل معها احتمال أن والديها كرها ولادتها يوم رأت عيناها نور الحياة أما إذا أيقنت أن والدها حمل هذه الفكرة وشاهدت منه ما يجسد هذا المعنى فإنها لن تقدم حبّاً خالصاً لأي رجل على وجه البسيطة ولن تكون ذلك الكيان المؤثر في الزمان والمكان، هذا إذا لم تغط في متاهات تصرفات الأب حتى وهي في بيت زوجها.

حب الزوجة

إذا كان الإسلام الحنيف يتدخل لصالح العائلة الجديدة في أدقّ الأمور.. فيوصي العريس بتوفير بيت للزوجة يفوق في مستواه بيت والديها ولو بمقدار قليل، ويوصيه بتوفير غذاء أرقى مستوى مما اعتادت عليه في السابق ولو بنسبة ضئيلة ثم يوصيه بشراء ثياب لها أفضل مما كانت ترتديه في الماضي ولو بشيء قليل...

إذا كانت هذه وصايا الإسلام الحنيف، فهل يعقل أنه لم يتطرق لموضوع إحاطتها بالمحبة والودّ؟ وهل يا ترى أنه اكتفى بالإشارة إلى موضوع الرفاه الجسدي للمرأة وتوفير عوامله ولم يصدر أوامره باتباع منهج إسلامي وإنساني مع البنت القادمة من بيت والديها المفعم بكل تلك المحبة؟.

لا شك أن الجواب إيجابي..

فأبعاد الرحمة الإلهية حيث «أرحم الراحمين»، طالت بواسطة الإسلام كافة زوايا وجوانب الحياة بما فيها هذه الزهرة الغضّة التي تفرعت جذورها في حديقة العريس والعروس.

إذا اعتبرنا أن معدل سن الزواج للبنت والابن يكون في السابعة عشرة من العمر، واستناداً لما قيل فإنه ينبغي تحسين أوضاع المباني والألبسة والأغذية للمسلمين ولو عمل بذلك من قبل لصارت المدن

كلها انموذجاً من المدينة الفاضلة،ومن نفس المنطلق إذا نقل الأب والأم محبتهما المتزايدة في كل سبعة عشر عاماً إلى بيت العريس والعروس لتحققت الوحدة العامة التي ينشدها الإسلام الحنيف.

رغم أن عجلة التقدم الفيزيائي للحياة مستمرة في حركتها حتى بلغ الإنسان بعقله الفضاء وصار عصره يسمى اليوم بعصر الفضاء، إلاّ أن قلبه ظلّ قابعاً في عصر التحجّر أو ما يسمى بالعصر الحجري ولو لوحظت ومضات إنسانية ولمحات أخلاقية من شخص أو مجتمع ما فمنشؤها من اتباع الأديان الإلهية وبالتالي فإننا نرى جمعاً غفيراً من بني البشر يقف عند محطة لا أخلاقية وتحده الحدود المادية وذلك بمجرد أن يبرز وجه جديد من وجوه الفلسفة المادية، وما أكثر ما يحصل من تضييع للمنهج الديني في كل مجتمع.

إن المحبة الصادرة عن الأب والأم قضية فطرية، ملحوظة حتى لدى الحيوانات، أمّا محبة الولد للوالدين تتخللها عقبات كثيرة على أن المتمسّك بعرى الدين لا يرى مناصاً من أن يكنّ الاحترام لهذه المحبة والعمل بها في أي حال من الأحوال. ولذا فالبنت التي عاشت ظروف المحبة في بيت والديها وسواء قابلت تلك المحبة بالمثل أم لم تفعل، تتوقع وهي تدخل العش الزوجي أن ترى أجواء كالتي اعتادت عليها وصوتاً دافئاً وكلمات عذبة كالتي طرقت أسماعها من قبل وتتطلع إلى أن تشاهد في المحطة الثانية من حياتها تلك الصور الجميلة التي جاءت تحملها من بيت والديها، ولكن هل يحصل ذلك دوماً. . إنها قد لا ترى ما كانت تحب رؤيته وتتطلع إلى مشاهدته وعندها سينعكس ذلك على تصرفاتها وقيامها بواجباتها الأنثوية وأداء مسؤولياتها التربوية ازاء أولادها.

المشهور أن رؤساء الحكومات وحدهم الذين ينادون بالدفاع عن حقوق الإنسان ومصلحة الشعوب لكن الحقيقة هي أن هذا الأمر لم يزل مضيعاً لدى البشرية والشعوب وغير معترف به رسمياً، أمّا الشيء الذي يقرّه الجميع فهو النجاح الذي حققه النوع الإنساني على الصعيد الفيزيائي وفيه فرض الرجل سيطرته جاعلاً من المرأة وسيلة ومحطة لبلوغ هدفه، ثم صيّرها ـ سوى من يتّصف بالتدين والتقوى ـ غرضاً لرغباته الشهوية في كل مكان وزمان. على هذا فلو لم تر البنت بعد انتقالها لبيت الزوجية، وبعد كل تلك المحبة في بيت والديها، تحقّقَ أحلامها السعيدة فيه فإنه يمكن القول بأنها لم تحتل موقعها الاجتماعي ولم تنلِ حقوقها كامرأة فضلاً عمّا سيصيبها من وضع عصيب داخل أو خارج البيت.

إن الدنيا يتحكم فيها عاملان رئيسان، الأول الكفاح والمثابرة والثاني الاقتصاد، فالأمّ تنهض بأعباء توليد المثل وتربية الأطفال بينما تقع مسؤولية الاقتصاد غالباً على الوالد ولذا فالمرأة المشغولة دوماً بشيءٍ ما لا تفكر مطلقاً بأن تشكل لها عائلة إلاّ أن يكون هناك شخص من الجنس الآخر يحفّزها على التفكير بهذا الأمر، كما أن الرجل قلّما يتحدث عن الزوجة وأمّها والزواج والمباشرة إلاّ أن تكون له علاقة تربطه بالجنس اللطيف ومن هنا كانت المرأة مولّدة لعنصر الكفاح والتضحية والرجل مولّداً لعنصر الاقتصاد، وبالأحرى إن العنصرين عاملا الإرادة في عالمنا، أحدهما إلى جانب الآخر؛ فمثلما أن الكفاح والتضحية مجردة من معناها بدون القدرة الاقتصادية وأن الاقتصاد لا قيمة له بدون جهود وتضحيات فإن المرأة لا اعتبار لها بدون الرجل كما أن الرجل ناقص بدون المرأة. إن هذه الرؤية توضح بأن الحياة الزوجية المشتركة تمتلك قوة إدارية خاصة تقوم بتوزيع المهام على أعضائها

وكأنها شركة أسمنتها ولبنتها المحبة والمودة، ولو افتُقِدتا فإنها ستكون شركة مضطربة لا تعرف هدفها وهي قد ضيّعت موظفيها ومنتسبيها؛ أعضاء العائلة.

ما أظرف وأبلغ عبارات وكلام القرآن الكريم حينما يخبرنا بأن «السكن» أنسب مكان يأوي إليه الزوج والزوجة حيث يقول في قصة النبي آدم عليه السلام: ﴿**اسكن أنت وزوجك الجنة**...﴾[1]، وحينما تريد المرأة أن يكون لها مكان تستقرّ فيه فإنها تذكر لفظة «البيت»: ﴿.. **ربِّ ابنِ لي عندكَ بيتاً في الجنّة**...﴾[2] بينما الرجل يعبّر عن مقر سكناه بـ «المنزل»: ﴿.. **ربِّ أنزِلني مُنزلاً مباركاً**...﴾[3].

في الحقيقة أن الإنسان يسعى دوماً إلى تحسين موقعه مكانياً وزمانياً، هذا فضلاً عن أن العلم أثبت تأثّر العمل مهما كان بالعوامل المتغيّرة المحيطة بالعمل أثناء انجازه؛ فزرق الابرة مثلاً له أثر في المكان المضيء يختلف عنه في المكان المظلم، والمكان الذي يعجّ بالأصوات والصخب تكون له آثار غير الآثار الناجمة عن المكان الهادىء..

إن المنزل محطّ رحال الرجل والبيت مقرّ المرأة، وكلاهما ينشد السكنى والسكون.

لدينا الدائرة ولدينا المحل ولدينا.. وقد ذكرت التباين فيما بينها من قبل لكن هناك نقطة أخرى يستلزم تناولها بالبحث.

يطمح كل من الرجل والمرأة إلى العيش بهدوء وسكينة، والقرآن

---

(١) سورة البقرة: الآية، ٣٥.
(٢) سورة التحريم: الآية، ١١.
(٣) سورة المؤمنون: الآية، ٢٩.

الكريم يصف كلاً منهما بأنه لباس للآخر ثم يجعل السكنى ثمرة الزواج ﴿**ومن آياتِهِ خلقَ لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها**. .﴾[1] إذ يحتاج الاثنان معاً إلى سكن. أما عندما تكون المرأة وحيدة فهي تحتاج إلى «بيت» والذي هو محل للبيات والحرية والاستقلالية وبعبارة أخرى تحتاج إلى مكان يتواءم مع عواطفها ويحفظ لها سرّها ومكنونها، بينما «المنزل» مبتغى الرجل ويتفق مع تفكيره وتطلّعاته.

إن المرأة تمتاز بنموّ القوة التخيلية، التي هي مصدر العاطفة لديها، أكثر من الرجل، فيما مقدّم الرأس، الذي هو مصدر التفكير والحركات الإرادية، أكثر نمواً لدى الرجل. . والعاطفة تنسجم مع البيت في الوقت الذي ينسجم التفكير مع المنزل.

يطالع الجامعي كتاب أستاذه فيصعب عليه فهمه ويقرأ طالب علوم الدين مؤلَّف أحد حجج الإسلام فيلاقي مشقة في بلوغ مراميه، والسبب في ذلك يعود إلى البون الشاسع بين المستوى العلمي للاثنين في كل من المثالين، وهكذا يزداد مقدار عدم الفهم للمحتوى كلّما ازدادت الفاصلة بين المستوى العلمي للطالب والأستاذ وحلّ هذه المعضلة رهن أمرين لا ثالث لهما فإمّا أن يزداد علم الجامعي وطالب العلم ليفهم كل منهما المراد وإمّا أن ينزل الأستاذ وحجة الإسلام بموضوعهما إلى المستوى الذي يمكن للجامعي وطالب العلم أن يفهماهما. . إن الله جلّ وعلا الذي هو منشأ كافة العلوم والفاصلة بينه وبين عباده لا يمكن قياسها، حينما يريد أن يرسل كتاباً من عنده إلى الناس فإنه يقوم بإنزاله ثم يمنّ عليهم بنعمة فهمه بصورة إعجازية. الرجل أيضاً عليه أن يفعل ذلك، فحينما يريد الرجل الذي يمتاز بنمو أكبر من الناحية الفكرية أن يعيش

---

(١) سورة الروم: الآية، ٢١.

ويدرك من يمتاز بعاطفة أكبر فعلية أن ينزل إليه، أي يعدّ ويهيّأ نفسه ويمهّد السبيل لعيشة هانئة مع زوجته ملؤها التفاهم والانسجام، عليه أن يتقبل دلالها ويطري على ظرافتها ويتجاوب مع كل أفعالها العاطفية ويستفيد منها لصالح العائلة ثم يجعلها بعقله وحنكته مطواعة له ويكون في مستواها حتى يصير لباساً لها وهي لباس له.

الرجل يتزوّج، والمرأة تصير زوجة..

الرجل يخطبُ، والمرأة تُخطب..

الرجل ينزل المنزل، والمرأة تبيت في البيت.. وهما معاً يختاران سكناً وهدوءاً...

الرجل وظيفته الحفاظ على البيت، والمرأة لا بدّ لها من الحفاظ على المنزل...

الرجل ينزل المنزل ليصل إلى مستوى عاطفة المرأة، والمرأة تريد البيت لتدرك تفكير الرجل..

وهذا يستلزم إظهار الرجل حبّه لزوجته وترجمة حبّها له، ولهذا كان قول الرجل لزوجته «أحبكِ» ذا وقع كبير في نفسها ولا يذهب من قلبها حتى لو عرفت بكذب مقالته لكن المرأة عليها أن تترجم حبها له ولو أدرك الزوج كذب الزوجة في قولها له «أحبك» لاضطرب وتغيّر حاله وهذان المفهومان يتفقان مع معنى المنزل والبيت حيث إن التجاوب مع العواطف يعد نوعاً من المحبة والتفكير يخترق حجب القضايا فيعرف كنهها فيقبلها أو يرفضها.

ينبغي للرجل الذي يمتهن صنعة أو مهنة أو يواجه تغييراً أو فشلاً على الأصعدة السياسية والاجتماعية، أن يكون بمستوى أعلى من هذه

الأمور مواصلاً مسيرته على طريق التكامل ويستشعر قدرته المؤثرة في الزمان والمكان، وهذا هو ديدن الحياة.

روي أن حكيماً دخل إحدى المدن وكانت مقبرتها في مدخلها، فراح يقرأ ما كتب على القبور، وبعد أن قرأ ما هو مكتوب على قبر أو قبرين فوجىء بأمر عجيب دفعه لقراءة باقي الكتابات... لقد لاحظ أن عمر أصحابها لا يتجاوز إلاّ ساعات كما هو مكتوب، بل بعضهم نصف ساعة ثم أكثرهم عمراً ثلاث وثمانون ساعة، أي أن الأعمار كُتبت بالساعات.. فاستغرق بالتفكير بذلك، ما معنى ذلك؟ فلم يحر جواباً، ثم سأل أحد المارّة عن الموضوع فقال له: لكل شخص في هذه القرية ساعات ودقائق قضاها في فعل الخير، الخير الذي يقرّه الجميع، وقد جمع كل منهم تلك الساعات وأوصى بكتابتها على قبره، وهذا يقال له «نتاج العمر».

ينبغي الرجل أن يكون كذلك في كل الأمور، وإذا أراد أن يعرف درجته ومنزلته في الدين الإسلامي الحنيف فليحمل القرآن الكريم ويحسب كم آية شريفة عمل بها.

إذا أراد أن يعرف مقدار عمره فليأخذ قلماً وورقة ويدوّن كيف قضى السنوات الثلاثين أو الأربعين أو الخمسين الماضية، كم منها كان يغط في النوم وكم من الوقت كان نشطاً وفاعلاً ومفيداً؟ إن اتساع نطاق تأثير الرجل على الصعيدين المكاني والزماني مؤشر على تكامله وفاعليته وتخطّيه لعاملي الزمان والمكان وتوسيع مساحة حياته، فلو لم يتخطّ الرجل عاملي الزمان والمكان وظل يراوح مدى عمره في مكانه، فما سيكون فرقه عن الحيوان؟ أعرف رجلاً ظلّ لمدة خمسة وثلاثين عاماً أو أكثر يحمل في كل صباح على كتفه خرقة فيمرّ من زقاقنا إلى

خارج المدينة حتى يشتري قليلاً من المخضّرات ثم يأتي بها إلى داخل المدينة فيبيعها، ولقد كان بعد خمسة وثلاثين عاماً على نفس الحال الذي شاهدته فيه في اليوم الأول، ومثل هذا الشخص إذا أراد أن يعرف عمره فعليه أن يعدّ أسنانه فقط..

إن قول الرسول الأكرم ﷺ: «اختلاف أمّتي رحمة»[1] يشمل كافة المواقف..

لاحظوا الحيوانات، فالآلاف منها على نمط واحد ولا اختلاف بينها أبداً، في حين أن الرجل هو الذي يستشعر وسعته في العالم بالضرورة ولهذا فهو يحتاج إلى منزل ينزل نفسه فيه أمام عائلته وبنفس المقدار من تقدّمه وتطوره. إنه لمن الاجحاف وانعدام الرجولة والشهامة أن يكون الرجل طبّاعاً عادياً عند زواجه ثم يرتقي المناصب واحداً تلو الآخر حتى يصبح رئيساً للبلدية وعندما تقول له زوجته «لِمَ لم تشتر لنا الخبز؟» يجيبها بأنفة قائلاً «أنا رئيس بلدية.. وهل يصح أن يقف رئيس البلدية على الخباز ليشتري الخبز»! وهذا النموذج من الرجال لا يحتاج إلى منزل بل لا يستحقه ولا يستحق أن يكون له بيت يؤي إليه بل مكانه الدائرة ليحافظ فقط ـ كما هو تفكيره ـ على وضعه القائم.. وعلى نفس المسار يمكن للمرأة أن تستشعر وسعتها في العالم ولذا فهي أيضاً تحتاج إلى بيت.

أن اتساع مساحة تأثير الرجل على تناسب طردي مع الأولاد وعمق تربيتهم وعلاقته بالبيت والعائلة، ونفس تنازل الرجل ونزوله في مقابل الزوجة والأولاد يستلزم محبة من الطرف المقابل يتناسب معه.. لا نَنْسَ المعادلة العامة للحياة والمعيار الذي تقوم عليه الخلقة حيث

---

(١) بحار الأنوار ـ ج (١) ـ ص (٢٢٧) ـ باب (٧).

على الرجل التنازل والمماشاة وعلى الزوجة التمكين من نفسها.

في المجلد الذي بيّنت فيه كيفية أن تكون المرأة سبباً في سكينة الرجل وطمأنينته، قلت أيضاً بأن القوى الخبيثة لهذا الزمان سخّرت المرأة لتكون أداة لتخدير الرجال في الوقت الذي يريدها القرآن الكريم مبعث طمأنينته ﴿**ومِن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمة**...﴾[1]، وإذا سكّن الرجل نفسه بالمخدرات أو المرأة المسلوبة الإرادة بدل الزوجة فماذا سيجنيه؟ وهنا لا بد من القول أيضاً بأن الرجل إذا لم يتّسع صدراً وسماحة في مقابل الزوجة في البيت وظل يراوح في مكانه وإن كانت هي على نفس المنوال. فإن ذلك المنزل والبيت لهم ولن يكون سكناً لهما، ولك عزيزي القارىء أن تطّلع على خفايا وتفاصيل الموضوع في المجلد المذكور.

يعلّمنا الله سبحانه وتعالى بواسطة قرآنه المنزل دعاءً بشأن الزوجة والأولاد وهو ﴿.. **ربنا هب لنا من أزواجنا وذرِّياتنا قرَّة أعينٍ**...﴾[2]، والشيء الذي يقوله الله سبحانه وتعالى أو يعلّمنا إيّاه هو الخيار الأنسب فهو العالم بحال بني آدم، فمثلما يُعلّمنا جلَّ جلاله أن نسأله الهداية إلى الصراط المستقيم عشر مرات في اليوم ﴿**إهدنا الصراط المستقيم**﴾[3] يعلّمنا الخالق المصوّر هنا أن نسأله بأن يمنَّ علينا بقرة الأعين، ورغم أن الذرية هم قرة الأعين لكنه جلّ وعلا قدَّم ذكر الأزواج على الأولاد.

إن القرآن الكريم يريد للمرأة أن تكون مبعث الهدوء والسكينة

---

(١) سورة الروم: الآية، ٢١.

للزوج ولباسه الذي يحميه ويغنيه ونور عينه وباب المودّة والرحمة له والسلّم في تساميه وتكامله في مختلف الاتجاهات الإلهية، وقد شرحت فيما مضى الآيات الشريفة الواردة بهذا الصدد.

على الزوج الذي يعتبر المدير الاقتصادي للحياة المشتركة، أن يقبل ويعترف بأنّ الزوجة بمثابة رئيس الأركان المشتركة ومدير الانتاج وكلاهما على مستوى واحد في الأبعاد الاجتماعية والثقافية حيث ساوى القرآن الكريم بينهما على الصعيدين الحقيقي والاعتباري ﴿**إنَّ المسلمين والمسلماتِ والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتاتِ والصَّادقين والصادقات والصَّابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً**﴾[1].

ينبغي الاقرار بمبدأ المساواة؛ فالرجل مدير لقوة كبيرة تدير العالم اسمها «الاقتصاد» والزوجة مديرة لقوة كبيرة تدير العالم أيضاً اسمها «الكفاح والتفاني»، والاثنان معاً مسؤولان عن احراز التقدّم الاجتماعي والثقافي، وانطلاقاً من مبدأ عدم الفصل بين الدين والسياسة في الإسلام الحنيف فإن المرأة تجد الباب مفتوحاً أمامها لممارسة دورها إلى جانب الرجل كلّما اقتضت السياسة الإسلامية ذلك كما تم تعيين الطريق أو الطرق التي ينبغي للرجل طيّها بمفرده ومنح المرأة ما يقابل ذلك؛ فلو حُرمت المرأة من أمر ومنصب ما فقد حُرم الرجل من لبس الحرير أو الذهب وفي كل الأحوال لم يعد الحرمان المذكور منقصة لا للمرأة ولا للرجل ولا للمنصب ولا للذهب والحرير.

على الرجل أن يدخل حياة الزوجية وهو يحمل ماضيه بينما ينبغي

---

(١) سورة الأحزاب: الآية، ٣٥.

للمرأة أن تقطع صلتها بماضيها وهي تدخل حياة الزوجية، وهذا المفهوم هو الذي جعلها قرّة عين الزوج حيث ضحّت بماضيها من أجل زوجها.

إن الزوجة تقبل دوماً أن يكون زوجها بمنزلة نصف «الربّ» لها مما يعني أن يكون بمستوى نصف «ارحم الراحمين»، على أن صفة «أرحم الراحمين» المختصة بالله جلَّ وعلا متأتية في أحد أبعادها من تفضلّه على الناس بإرسالِ الرسل عليهم السلام للناس لتعليمهم وتنظيم شؤونهم بواسطة الدين ولو كان هناك شيء أفضل من الدين لأرسله إليهم، وكل ذلك من فيوضات الرحمة الإلهية. إن الزوج الذي يعد بمثابة نصف الرب بالنسبة للزوجة والإسلام الحنيف يقول على لسان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «... لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهنَّ...»[1] يجب عليه أن يكون نصف «أرحم الراحمين» لزوجته، والشرط الأول في تحقق هذا المعنى هوأن يعترف بها وينظر إليها كونها «قرة عين» له.

على الهامش.. يقول ابن سينا العلامة والفيلسوف بأن مقام أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يُعرف من قوله الذي ردّده مراراً «.. أنا عبدٌ من عبيد محمد»[2]، ولقد أجاد ابن سينا في قوله..

هذا المفهوم سلطت الضوء عليه في المجلدات من الخامس والعشرين إلى الثاني والثلاثين.

---

(١) ميزان الحكمة ـ ج (٤) ـ باب الزواج ـ ص (٢٨٤).
(٢) نهج البلاغة.

الامتثال للقرآن الكريم

لا تقتصر تضحية المرأة على التخلّي عن الماضي من أجل الزوج، بل تعاني ومن أجل انجاب الأولاد من مشكلة أخرى لها تبعات غير محمودة.

فالزوجة تمارس ذات الجنس الذي يمارسه زوجها لكنها لا تدرك في الغالب اللذة التي يدركها هو، والسبب يعود إلى انزاله السريع وهو في ذروة اللذة الجنسية التي لم تبلغها بعد ولهذا تمتلأ شعيرات حوض الزوجة بالدّم بعد مثل هذه المباشرة مما يتسبب لها ببروز آلام الظهر.

وبعد المباشرة، تحمل هذه المرأة في رحمها وزناً إضافياً لمدة تسعة أشهر بينما الرجل يضع لقبه ـ كما يحصل في جميع دول العالم تقريباً ـ على المولود. وبعبارة أخرى أن الأم التي انقطعت عن ماضيها فُصلت عن مستقبلها أيضاً لكنها تجد ثمن ذلك في القرآن الكريم حينما يصفها بأنها قرة العين شأنها في ذلك شأن الذرية بل أنها جاءت أوّلاً بالترتيب القرآني ﴿**ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعينٍ**. . .﴾[1].

يعود الزوج إلى سكناه وهو تعب بسبب عمله وانشغالاته اليومية لا يفكر بنُزهة أو فُسحة، وهنا في منزله لا يرى سوى محبيّن وأصدقاء

---

(١) سورة الفرقان: الآية، ٧٤.

ولا وجود للعدو، إنه مقر للراحة والطمأنينة وكل من فيه يحرص على أن يوفّر له الراحة ليعيش بذلك حالات مختلفة بين الماضي والحاضر والمستقبل. أمّا المرأة فحياتها منذ ولادتها ولغاية وفاتها، في بيت أبيها وفي بيت زوجها، تكون على وتيرة واحدة وعلى منهج واحد لا يتغير إلاّ إذا لوحظ تعامل عدائي في البيت أو ظهر الرجل دوماً بصورة المتعب، أو أنها تكون هي مجبورة على الرتابة بسبب تعامل الرجل مما يعني فقدانها للتركيبة المكانية ـ الزمانية التي كانت تنشدها في الزواج. إن الفتاة التي دأبت على العمل وتنظيم شؤون بيت والديها لتبيّن أهليتها كزوجة جيدة، تواصل في بيت الزوج نفس الأسلوب وتؤدي الأعمال المنزلية عن طيب خاطر إلاّ إذا شعرت بما يثير الوساوس فيها وعندها سينقلب الحال وسيترك ذلك أثره على الأولاد وتربيتهم، وهذا بحد ذاته نوع من الإساءة للرأي العام فالمجتمع يطمح إلى تشكيل صفوفه من نشءٍ حسن التربية.

إن الخدمة في البيت ليست بالعمل السهل، وإن تربية الأولاد التي هي مهمة خطيرة تحتاج إلى قاعدة واضحة وعوامل بائنة، ولا يتحقق المراد إلاّ برعاية الزوج لقرة عينه بالنمط الذي يريده الله سبحانه وتعالى.

يقدم الرجال على الزواج غالباً من أجل السلف بينما تتزوّج النساء من أجل الخلف، ولعل هذا المعنى يكشف النقاب عن كنه الشخصية السلطوية للرجل وكنه شخصية المرأة في استمالة الرجل واستقطاب اهتمامه والتفاني في الحفاظ على الأولاد. إنّ غير المتزوج أو الذي تزوج ولم يُرزق بالولد يعصره الألم لعدم تمكّنه من تخليف الذرية التي من المقرر أن تحمل اسم السلف غير أن العاقر تغتم لعدم توليدها المثل ولأنها لم تمهّد للمستقبل وفي ذلك معنى آخر لمعاني ﴿**هن لباسٌ لكم**

وأنتم لباس لهن..﴾[1] إذ لا بد من حلقة الحاضر لوصل الماضي بالمستقبل وفي كل الأحوال لا بد من نقل المشاعر والتقاليد الماضية إلى الجيل الجديد عبر الجينات الوراثية، والرجل غالباً ما يكون حساساً اتجاه هذا الموضوع ويحب أن يكون الأولاد كثيري الشَّبه به.

إن الاتحاد الاقتصادي ـ التوليدي للرجل والمرأة يجسد مفاهيم عدّة منها التفكير بالمستقبل وتفعيل مراكز العائلة وعدم بقاء أحدهما بمنأى عن الآخر... إنه اتحاد للقدرة والجمال، وعلى الرجل أن يزوّد الزوجة بما تعلّمه من تجارب الماضي وعليها أن تعمل على رفع معنوياته وارضائه عبر التفاؤل بالمستقبل المليء بالآمال. يقال دوماً أن الرجل تزوّج أمّا المرأة فيقال أنها صارت زوجة، ولا شك أن هذا الوصال بين الجنسين هو لبنة العائلة.

قلت في غير مرّة بأن الخلف مبتلىً بأفعال السلف، ولا مناص للزوجة عن اتباع الرجل وذلك بسبب تعلّقها بالمستقبل والآمال وهو ما يفسّر قوله تعالى ﴿**الرجال قوّامون على النساء...**﴾[2]. يعيش الإنسان طوال عمره بين افرازات قوتي الحزن على الماضي والخوف من المستقبل، ولأن الماضي قد انقضى وولّى ولأنَّ التكامل يتحقق على طريق المستقبل فإنه ينبغي إرساء قواعد نظام تكون فيه المرأة قرة العين.

ليس للمرأة أيّ حق بممارسة الجنس إلاّ مع زوجها خاصة وأن مبدأ الزواج شُرّع لخدمة ومصلحة المجتمع.. إن الأمل الكبير الذي تحمله المرأة عادة إزاء المستقبل لا يسمح لها بالتضحية بموضوع تربية الأولاد في مقابل غرائزها وشهوتها أو أن تضحي بمصلحة المجتمع من

---

(١) سورة البقرة: الآية، ١٨٧.
(٢) سورة النساء: الآية، ٣٤.

أجل شهوتها ولهذا استحقت أن تكون «الحبيب» وقرّة العين، ليس هذا فحسب وإنما تمنح المرأة العائلة مِنَحاً ليس للرجل أن يمنح مثلها فهي تقدّم كيانها مثلاً للعائلة والزواج إلى الحد الذي تقبل التخلّي عن لقبها وأن تنادى بلقب زوجها، وهذه التضحية فضلاً عن كونها مدعاة للاحترام والتقدير فإنها تكون سبباً في تفتّح براعم أحد القوانين الخفية للطبيعة والمتناسبة مع فطرة الزوج، إنه لن يقبل أن يساء إلى زوجته الشرعية التي منحته نفسها وحملت اسمه ولقبه، لن يقبل ذلك حتى من عشيقته التي قد تكون أجمل من زوجته أو أجمل النساء على الاطلاق.

إن الرجل يهوى فيقرر الزواج، ومن الممكن أن يؤسس شركة الحياة دون أن يقع في الهوى لكن المرأة تعيش عادة حالة يمتزج فيها العشق والتقرير ويشوبها الخوف وتوضيح ذلك أن الرجل لا بد له من اتخاذ زوجة له وهو ما يستلزم منه التقرير أمّا البنت فيجب أن تصبح عروساً وزواجها متعلّق في الأغلب بقرار من يتقدّم لخطبتها ولذا كان الحبّ أو القرار بالزواج من متعلَّقات الزوج فيما تعيش الفتاة حالة من الانتظار إلى أن يأتي دورها في استمالة الزوج وإثارته ومداعبة أحاسيسه المرهفة مما يجعله يسكن إليها وتكون قرّة عينه.

أشرت في المجلدين الحادي والعشرين والتاسع والثلاثين إلى بعض جوانب الآية الشريفة التي تناولت موضوع عدم التمكين وكيفية معالجة الموقف عبر الادبار عنهنَّ في المضاجع أولاً فإن لم يرجعن إلى رشدهنَّ كان الضرب هو الوسيلة الثانية لكسر مقاومتهن ـ الضرب يكون ضمن شروط خاصة ذكرناها آنفاً ـ، وهنا أضيف أيضاً بأن الأمَّ تضرب طفلها، قرة عينها، فيبكي الطفل ويصرخ لكنه يفرّ إليها ويلجأ إلى أحضانها فيثير فيها هذا التصرف غريزة الحنان فتحتضنه بعد الضرب وتقبّله وتشمُّه وتمسح على رأسه. للمرأة أيضاً موقف مشابه؛ فبعد أن

يهجرها الزوج وتخاف من فقدان التمكين وتصير سبباً في غضبه تعود وتجعل اللذة الجنسية وسيلتها للتقرب منه واللجوء إليه فتمكّنه من نفسها لتعلن بذلك قبولها تأديبه إياها واقرارها لشخصيته الرجولية السلطوية وهي بذلك تزداد حبّاً لدى الرجل وترسّخ مكانتها لديه كونها قرة عينه. . إن الزوج يحب أن يرى نفسه متمتعاً بحقه وأنه الفاعل والضارب والمتفوق، وليس لديه شعور ألذّ وأهم من هذا الشعور.

لطالما ذكر الرسول الأكرم محمد ﷺ ووصيه الإمام علي عليه السلام في كلامهما الكلمات الثلاثية «الجسد والجسم والروح» وتحدثا عن بياضها وسوادها، ولطالما قرأنا زيارة الإمام الحسين عليه السلام المعروفة بـ «زيارة وارث» فبمجرد أن نقف موقف الاجلال والاكبار باتجاه سيد الشهداء وأبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام وأبنائه وأقربائه وأنصاره الأوفياء الذين ضحوا في كربلاء المقدسة بالغالي والنفيس من أجل اعلاء كلمة الإسلام، بمجرد أن نقف ذلك الموقف نقول: «السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله» ثم في الختام سلام آخر، وهو ما اعتاد عليه العرب حال التوديع، فقد جاء في الزيارة المذكورة «السلام عليكم وعلى أرواحكم وعلى أجسامكم وعلى أجسادكم» في دلالة على أهمية الروح والجسم والجسد عند تقويم الإنسان.

إن الأبعاد الثلاثة هذه تضمنتها مفردات صيغة عقد الزواج «أنكحت وزوَّجت ومتّعت»؛ الأخيرة تعنى بالجانب الحيواني ومصداق ذلك ما جاء في القرآن الكريم حينما يقول عزّ من قائل ﴿**ذرهم يأكلوا ويتمتعوا. . .**﴾[1] و ﴿**يتمتعون ويأكلون كما تأكل**

---

(١) سورة الحجر: الآية، ٣.

الأنعام. . .﴾[1] والنمو الحيواني الذي هو متعلق بالجسد يمكن في الغالب التغلب عليه.

أمّا «زوّجت» فتنويه إلى نوع من التعاطي بين إنسانين في أكثر من بعد، إنهما كزهرتين استجمعتا أوراقهما لتنشرا عطرهما الفواح ليملأ الأرجاء. إن «زوّجت» تحمل في طيّها أيضاً «متعت»، فلو صاغت مشاعر الحب المتأجج لدى الشابّ والشابة من الاثنين موقفاً وفكراً واحداً بل وشخصاً واحداً في كل الأمور واللحظات داخل اطار «زوّجتُ» فإن المباشرة المعنية في «متّعت» لا يمكن أن تتم إلاّ بجسمين، وهذه بحد ذاتها مصداق من مصاديق الزواج.

أمّا «أنكحتُ» فهي تخاطب الإنسان كونه «آدمي»، وهي تعنى بالجانب الذي ينبغي للرجل معرفته في كيفية التعامل مع الزوجة ومعرفتها هي لضوابط التعامل مع الزوج والقيام بواجبها على صعيد العائلة، وبعبارة أخرى تشكل مساعدة الزوج لزوجته في الأعمال المنزلية ووقوفها إلى جانبه وزرع الطمأنينة في نفسه عاملاً مهماً في تجسيد المقصود من «أنكحتُ». إن لهذه المفردة بعداً دينيًّا أيضاً سأتناوله بالبحث إن شاء الله تعالى في المجلدات التربوية، ولكن أقول هنا بأنه لولا «متّعتُ» لأحاطت الآلام بالجسد وبالتالي تألّم الجسم والروح لأجله. وإن زالت «زوّجتُ» تألم الجسم وتداعى له الجسد والروح بألم مشابه، وإذا لم يتجسد المعنى الحقيقي لـ «أنكحتُ» هوت سياط المعاناة على الروح فيعلو صراخ الجسد والجسم.

وخلال كل المراحل الثلاث، لا يشعر الرجل، في اطار مساعدته

---

(١) سورة محمد (ص): الآية، ١٢.

للزوجة وتجاوبه معها، أنه فرّط بشيء من حقوقه بل يعتبر معاطاته الجنس مع زوجته ومساعدته لها في المطبخ أو الأعمال المنزلية وتوفير وسائل الرفاهية والراحة لها وللأولاد من باب أنها ضعيفة ومغلوب على أمرها. غير أن الأمر مختلف بالنسبة للمرأة إذ تتلاعب بها مشاعر وقوى متعددة في كل من «أنكحتُ وزوّجتُ ومتّعتُ».. يأخذها الحياء من التسليم عند المباشرة، يعتريها الخجل إذا لم يكن البيت منظّماً ومرتّباً وهي تخاف من قضاء الزوج معظم أوقاته خارج المنزل لئلا تكون قد قصّرت في إمتاعه على النحو الذي يريد.. علاوة على ذلك، فإن لـ «أنكحتُ وزوَّجتُ ومتَّعتُ» ارتباطاً وثيقاً بالبعدين الأخلاقي والاجتماعي على الصعيد العملي، فالزوج والزوجة لا يدّخران وسعاً من أجل إنزال كل منهما الآخر المنزلة الرفيعة فضلاً عن سعي كل منهما لتوفير مستلزمات الراحة وإنعاش الآخر جنسياً، تنساب الزوجة والزوج من ليلة جنسية إلى نهار المعاش والكدِّ يحاولان الاستفادة من كل ما لديهما من أجل الذرية.

إنها قرة العين بالفعل، تفرح لأنها أدخلت السرور على زوجها ثم تبذل ما في وسعها لتخدم كيان العائلة.

هنيئاً لكل مسلم ومسلمة هذا الالتصاق الذي يتجسد فيه المعنى الحقيقي للزواج، بل هو مشهد من مشاهد المودة والرحمة التي أشار إليها القرآن الكريم.

إن الزوجة لا تفكر مطلقاً في من قد يحل محلّ زوجها في حين قد يبدر للزوج مثل هذا التصور عند تهاويه من سلّم السموّ العائلي إلى مستنقع التخبط والهامشية، وفي هذا الموقع يظهر صدع في مبنى الحياة المشتركة.

وحريٌّ بالقول أن نوع ومستوى التفكير يجعل من الزوجة قرة عين لربّ العائلة.. ليس هذا فحسب بل ومقدّمة على قرة العين الثانية المتمثلة بالذريّة ﴿**ربنا هب لنا من أزواجنا وذريّاتنا قرة أعينٍ...**﴾[1].

---

(١) سورة الفرقان: الآية، ٧٤.

الزوجان في فلك الحظ السعيد

«متَّعتُ» تعني التحرك الشهوي اتجاه جسد آخر..

«زوَّجتُ» تعني التحرك المتسامي من أجل مساعدة جسم آخر..

«أنكحتُ» تعني التحرك غير الفيزيائي، وهي حسب قول أصحاب الأديان الإلهية تعني التحرك الإلهي نحو روح أخرى..

وفي الأخيرة تتضح معالم طريق السعادة لانسانين يطويان مسيرة حياة تتصل بالكمال والسموّ ﴿**إنَّ الذين قالوا ربُّنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون**﴾[1] فالمرء عموماً بين الحزن على الماضي أن لِمَ لمْ يفعل كذا أو لماذا لم يحصل كذا، وبين الخوف من المستقبل وما يخبِّؤه.

لذا أخبر الله سبحانه وتعالى بأن الجنة نصيب كل من ذكر الله جلَّ وعلا ثم ثبت على الطريق القويم.. أن «أنكحتُ» التي تُظل بمظلّتها «زوَّجتُ» و «مَتَّعتُ» أيضاً، إذا كانت إلهية في سماتها فهي على المسار الصحيح المنتهي بالجنة[2].

---

(١) سورة فصلت: الآية، ٣٠.

(٢) ليس لأحد أن ينكر أهمية التعلم بالنسبة للإنسان، حتى في هذا المجال. إن سجود الملائكة للإنسان وطرد الشيطان ودحره لأجله ثم ظهور عورته كسوأة =

لا يمكن أن تكون «متَّعتُ» ولا «زوَّجتُ» تبريراً لوجود بني البشر بينما لـ «أنكحتُ» هذه الميزة إذا ما أُجريت بالصورة الصحيحة، فضلاً عن تأمينها سبل سعادة العائلة.

لقد قوبلت مفردات «متَّعتُ» و «زوَّجتُ» و «أنكحتُ» في القرآن الكريم بما يعادلها في المعنى بمفردات «البشر» و «الإنسان» و «بني آدم»؛ فالبشر ما حُدَّ بالبشرة وفيها مشتركات حيوانية كحالة الجماع حيث التقاء الجسد بالجسد لكن القرآن ينقل البشر بعد هذه المرحلة نقلة نوعية فيطلق عليه لفظة «الإنسان» إذ له جسم ولا بد أن يكون له أنس ونسيان..

إنّ ذِكر الإنسان في القرآن الكريم ورد عند مواقع «الشماتة»، لكن «زوّجتُ» التي تصاحبها النفحة الإنسانية تسمو به إلى أن يبلغ مرتبة الآدمية التي هي دون الرسول الأكرم ﷺ وتحت ظل آدميّته، ولقد منح سيدنا آدم عليه السلام هذا الفخر بأن يُنادى الآخرون بـ «بني آدم» وفي هذه الحال يكون جماعه تابعاً لقرارات إلهية ويستر عورته بورق الجنة ﴿**فأكَلا منها فبدَتْ لهُما سوءاتُهُما وطَفقا يخصِفان عليهِما مِنْ ورَقِ الجنَّة..**﴾[1]، ثم أن يُستشفُّ من القرآن الكريم أيضاً أن الرجل «سيدنا آدم عليه السلام» طوى مراحل معنوية كما ألمحت لذلك ضمنياً الآية المباركة ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة..**﴾[2]، ثم خصَّه الباريء تعالى بالعلم ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها..**﴾[3] إلى أن وصل به

= أمامه يكشف مدى أهمية تعلّم أمور الدين قبل الزواج، وخلاصة القول: لا تضعوا يدكم في صدر من ترضون دينه وخلقه.

(١) سورة طه: الآية، ١٢١.

(٢) سورة البقرة: الآية، ٣٠.

(٣) سورة البقرة: الآية، ٣١.

جلَّ وعلا مرتبة الأكل وممارسة غريزته الشهوية كما ورد في الآية المائة والحادية والعشرين من سورة «طه» المباركة، وكذلك علَّمه معنى السكن ﴿**وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة**..﴾[1]. وعلى صعيد الواقع والتطبيق، نرى بأن الرجل قلّما وربما لا يستعين مطلقاً بالتخيلات الشهوية والقضايا الجنسية في حين تستعين المرأة بالقوة التخيلية الشهوية والقضايا الجنسية، ولهذا السبب تجد الدين الإسلامي الحنيف قطع على الزوجة، وهي التي تجد ضالتها الشهوية في أحضان الزوج وفي مكان هادىء هو السكن، أن تفكر أثناء المباشرة بغير زوجها كما لا يسمح له أن يفكر بأخرى وهو يباشر زوجته.

ذكرت في مجلدات أخرى نقاطاً حول عدم التمكين، وأضيف هنا: كثيراً ما يكون عدم التمكين من قبل الزوجة وسيلة لاثارة الزوج وإخراجه من حالة الفتور حيث يندفع للبرهنة على رجولته وإرغامها على المباشرة.. إن نفس إدبار الرجل عن زوجته نوع من تفعيل الرجل وزيادة حيويته، كما أن التأديب بعود المسواك في المرحلة الثانية يعدّ وسيلة لقطع الطريق على كل لوم قد يُنحى عليه في مجال التكاسل الجنسي.

إن الله سبحانه وتعالى يقول للملائكة ﴿**إني جاعلٌ في الأرض خليفة**﴾ ويعين صفات الخليفة ـ من يخلفه بحق ويستطيع التقرّب إليه، ويكون في نفس الوقت أول موجود يمتلك الإرادة فيتمرّد على الأمر وإذا قيل له لا تأكل يخالف النهي ويقدم على الأكل ـ لكن لاحظوا كيف أنه جلَّ وعلا يؤنّب خليفته بعد أن يعلّمه. يعرضه على الملائكة وينهاه عن الأكل من الشجرة المنهي عنها ثم يخرجه وزوجته من الجنة.. حتى

---

(١) سورة البقرة: الآية، ٣٥.

يمكنه التوبة ويضطر إليها. إن التوبة تعني عودة الجانبين إلى بعضهما، عودة الإنسان إلى الله تعالى وعودته جلّ وعلا على عبده عبر قبوله توبته. ولكن ما أعظم أن يكون أول أنبياء الله وخلفائه من سجدت له الملائكة وطُرد من أجله الشيطان ـ وتلك فضيلة لكل مؤمن صالح ـ، على أن السير على درب الآدمية يسوق الإنسان نحو التكامل والكمال وفي نفس الوقت يقرّبه من حدود العلاقات الجنسية ومشاعر الحب المقدسة، وحتى يكون خليفة الله تعالى سعيداً في الدنيا ويفوز بسعادة الآخرة أيضاً يحتاج إلى أمرين: التعلّم والاخلاص[1]، فضلاً عن حاجته لنظام خاص من التغذية ونظام خاص من العلاقات الجنسية ونظام خاص في اختيار السكن ـ انطلاقاً من الأكل وعدمه وظهور عورة آدم وحواء وكذلك إسكانهما الجنة ـ، أن توفّر هذه الأنظمة تمكّنه من العودة إلى البيت «الجناني»، تمكنه من التوبة التي يمكنه اعتبارها من مكاسبه في المستقبل.

الملفت للنظر أن الرجل ما استحقّ الزوجة إلاّ بعد أن صار خليفة وتعلّم فأصبح عالماً وبعد أن سجدت له الملائكة وطرد الشيطان من أجله، غير أنه اقترب وزوجته من الشجرة وأكل منها وما كان ينبغي أن يفعل ذلك.. وهنا يأتي دور ضوابط التعامل مع الزوج وضوابط التعامل مع الزوجة ليكون الاثنان على المسار الصحيح؛ فالآدميّ الذي هو خليفة الله تعالى، وتبدأ مسيرة التكامل بخطوة ﴿**وعلم آدم الأسماء..**﴾ لا بدَّ له أن يدرك في ذلك الوقت وبعد تخطيه موضوع سجود الملائكة وارتقائه مرتبة أعلى في مدارج الكمال، لا بدَّ له أن يدرك القيمة السامية

---

(١) ليس للشيطان أن ينفذ الى المخلصين كما تشير لذلك الآيتان الشريفتان التاسعة والثلاثون والأربعون من سورة الحجر المباركة ﴿**قال ربِّ بما أغويْتَني لأُزينَنَّ لهُمْ في الأرضِ ولأُغوِينهمْ أجمعينَ إلاّ عبادكَ منهُمُ المخلَصينَ**﴾.

لقضية المباشرة والأمور الجنسية بصفتها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالذرية، وهذا المعنى يكشف مدى رفعة وسمو المرأة التي باتت «قرة عين» الرجل الذي سجدت له الملائكة وارتقى مرتبة أعلى في سلّم الكمال.

ومرة أخرى.. الزوجة قرة العين

ذكرت في غير مرّة بأن سيد الرسل محمد ﷺ كان يُقبِّل يد ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام حيث «. . . وكانت إذا دخلت عليه رحَّب بها، وقام إليها، فأخذ بيدهِا فقبَّلها، . .»[1] ولم يقبِّل يداً أخرى سوى يد عاملٍ اخشوشنت وتفطّرت من فرط العمل. .

السؤال هنا: أليس محمد بن عبدالله صلّى الله عليه وآله وسلّم أشرف المخلوقات وكبير سفراء الحضرة الإلهية المقدسة وسيد رسل العزم؟ بلى! إنه لكذلك، لكنه يُقبِّل في الوقت ذاته يد العامل. . سؤال آخر: هل قُبِل ـ لا قَبَّل ـ أحد من رؤساء الأحزاب العمالية أو ساسة البلدان المؤيدة للشيوعية أو أحد أعضاء الحكومة المذكورة أن يصافح أحد العمال؟!.

وسؤال ثالث: وهل غير القرآن الكريم وأولياء الله تعالى من صنّف الزوجة في صفّ الذريّة أو فضّلها عليها في وصفهما بقرّة العين ﴿**ربَّنا هَب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعينٍ**﴾[2]؟!.

إن الرجل يمثل حلقة الوصل بين الناس وهم محور المجتمع وبين

---

(١) مستدرك الصحيحين ـ ج (٣) ـ ص (١٥٤).

(٢) سورة الفرقان: الآية، ٧٤.

الزوجة التي وسطها البيت، وبعبارة أخرى أن الفرصة متاحة له لبناء المجتمع من جهة ويوجّه ويرشد الزوجة من جهة أخرى. تعوم الزوجة بإعداد مكان مؤثث تتوفّر فيه سبل الراحة بينما الزوج ينظم شؤون ذلك المكان بضوابط ومقرّرات خاصة، أي أنّها تنظم المكان وهو يسيّره وكلاهما معاً يحوّلان البيت إلى خلية متطوّرة يريد الله تعالى لها أن تكون منشأ القيم الإلهية ﴿**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً**..﴾[1]، فالبدء بالاصلاح لا يكون على نطاق شامل كما لا يمكن سحب الأشخاص للاصلاح واحداً بعد الآخر وتحصينهم من نار جهنم، بل يسهل العمل بالاصلاح إذا انطلق من وحدة العائلة التي يقوم الرجل بقيادة مركبها نحو ساحل الأمان.

البيت ليس مكاناً فقط لحماية أصحابه من الأمطار الغزيرة وأشعة الشمس اللاهبة والبرد القارص أو محلاً للنوم فقط، بل له دلالات ودلالات في عالم المعنى.. لقد بارك سبحانه وتعالى لسيدنا آدم عليه السلام البيت الأول على وجه البسيطة ﴿**إن أول بيت وضع للناس للذي ببكّة مباركاً**..﴾[2] كما بارك للنبي موسى عليه السلام المنزل الذي طلبه من الله «جلّ وعلا» ﴿.. **ربِّ أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين**﴾[3].

السكن ينشده الولدان ﴿**ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة**﴾[4]، أمّا المرأة فتنشد البيت ﴿**رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة**﴾[5]، وكما قيل فإن أول بناء شُيّد صرحه أُطلق عليه اسم «البيت» ولأن البيت مقر قيادة

---

(١) سورة التحريم: الآية، ٦.
(٢) سورة آل عمران: الآية، ٩٦.
(٣) سورة المؤمنون: الآية، ٢٩.
(٤) سورة البقرة: الآية (٣٥).
(٥) سورة التحريم: الآية (١١).

المرأة فلا بد من تبيين مفهوم قدرة القائد إن القرآن الكريم يعرّف البيت على أنه نقطة انطلاق المهاجر الشهيد في سبيل الله ﴿. . **ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً**﴾[1].

إن الله سبحانه وتعالى يطلق على «فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها» صلوات الله عليهم أجمعين لقب «أهل البيت» حيث ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾[2]، ثم يوصي النبيين موسى وهارون عليهما السلام باختيار بيوت لقومهما ﴿**وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً**. .﴾[3] وبعد ذلك أراد للبيت أن يكون سكناً ﴿**والله جعل لكم من بيوتكم سكناً**. . .﴾[4]، وفي هذه المرتبة لا تجد ذكراً للسكن في القرآن الكريم إلاّ وفيه إشارة للعائلة بما فيها الزوج والزوجة ﴿**هو الذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وجعل منها زوجها ليسكن إليها**﴾[5] وأيضاً ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها**. .﴾[6].

وعلى كل حال، إنه المكان الذي تمنَّت «آسية» زوجة فرعون أن يكون لها في المستقبل بعد أن فقدته في الماضي.

إن المرأة لا بد من وصلها بمكان خاص بها، لا لغرض النوم ولا لأنه يحميها من البرد والأمطار بل لأن فيه «أهل البيت» والبيت مزرعة

---

(١) سورة النساء: الآية (١٠٠).
(٢) سورة الأحزاب: الآية (٣٣).
(٣) سورة يونس: الآية (٨٧).
(٤) سورة النحل: الآية (٨٠).
(٥) سورة الأعراف: الآية (١٨٩).
(٦) سورة الروم: الآية (٢١).

البركة ومنطلق الهجرة وهو بالتالي محل الاستقرار والسكون. . أي أن البيت ليس المراد منه الباب والجدران المحيطة بالآدمي بل هو ما يكتنزه هذا الآدمي ومن حوله، وإذا كان البيت محدوداً من الخارج بحدود فهو في الداخل يتصل باللانهاية وإذا لم يكن ذا محتوى في الداخل فهو ليس بشيء في شكله الخارجي سواءً كان قصراً أم كوخاً، والمرأة التي يكون مقرّها القيادي مثل هذا المكان فهي قرة العين.

للرجل فسحة كبيرة في المجتمع ليترجم فيها طاقاته على صعيد الواقع، أمّا المرأة فبإمكانها ممارسة دور في أعمال خارج البيت بالمقدار الذي يمكن بل وينبغي للزوج ممارسته في البيت، وفي الوقت الذي يعيش الرجل الماضي مع مجتمعه والحاضر مع عائلته تكون الزوجة حلقة الوصل بين الماضي المتجسد بزوجها وبين المستقبل المتمثل بأولادها، ولو أنها بسطت نفوذها اليوم في المجتمع بواسطة زوجها فهي تجد في أولادها النافذة المطلة على المجتمع في الغد، وبذلك نعرف بأن البيت يحظى بمكانة خاصة بالنسبة للماضي والمستقبل ومقوده بيد الزوجة.

إن الزوج قلّما يتدخل في أعمال الزوجة المكررة، ولهذا يشعر عادة بالتفوّق والنجاح في أعماله وتصرفاته، وفي المقابل تهتم الزوجة بعملها ووظائفها إذا ما أشاد ربّ البيت وأهله بها واعتبروها في أحاديثهم أنها «لولب» العائلة. إن الزوج يعتبر إطراءه لزوجته اهتماماً شخصياً ومحبوباً لديها لكن الزوجة لا ترى أنها فعلت شيئاً يذكر وتعتبر أن ما قامت به كان لا بد أن يُنجز، ولذا تشعر الزوجة حينما يثني الزوج وأعضاء العائلة على طهيها أو يؤيدوا أعمالها بأنها ساهمت في النجاحات التي يحققها الزوج وسائر أعضاء العائلة. . أطهي الطعام حتى يوفقوا في عملهم، أنظّف حتى لا يتلوّثوا ومثل هذه الورشة ناجحة

في عملها ونتاجاتها ومنها طول العمر، وهل شيء أثمن من العمر الطويل المصحوب بالموفقية والحيوية والسعادة؟.

مثل هذه الأعمال تثمر عن توفير الرفاهية والهدوء للعائلة.

يودّ الرجل أن يكون له بيت حتى ينطلق من هذه القاعدة للمجتمع فيما تنشده المرأة للتخلّص، ما استطاعت ، من المجتمع، وتتمتع فيه بحريتها. منه تكون انطلاقة الرجل باتجاه الخصائص الرجولية، في حين تعتبره الزوجة غايتها وضالّتها.. على هذا صار من الضروري للزوجة تمكين نفسها لأنّها رمز الاتصال بخط الحياة العام وفي المقابل وجبت النفقة على الزوج ليكون على نفس الخط.

إنّ الزوجة تحظى بالتقدير من قبل الزوج، وهو يحظى بتقدير المجتمع واحترامه.

الزوجة قرة عين الزوج، وهو قرّة عين المجتمع وبعبارة أخرى تكون هي قرة عين عنصر التضحية والمثابرة، ويكون هو قرة عين عنصر الاقتصادي..

إن الذرية والزوجة كل منهما قرة عين الرجل، لكن الأولى يستشعرها الأب بالفطرة وتلقائياً أما الثانية فيجب أن يعرفها بأنها قرة عين بالتعلّم والتجربة.

يعتبر الابن مرآة للوالدين يخلد ذكرهما في المجتمع بعد رحيلهما عبر الزواج وادامة صورتهما بواسطة الأجيال القادمة.. إن الابن يسوق الحياة إلى المحيط الخارجي ويثبت هناك، أي في المجتمع، أسس العائلة بينما تكون البنت في الأعم الأغلب ابنة الآخرين استسلمت للقيام بأدوار معينة. إنها تبحث في الزوج عن دور وشخصية الأب فتنقل إلى بيته كل شيء.. لقد كانت قرة عين أبيها فلِمَ لا تكون قرة عين زوجها؟!.

في الواقع إن الفتاة التي انفصلت عن الأب وارتبطت بالزوج هي بمثابة يتيم انتخب أباً له، لكنه أب فرضت عليه أدوار الأبوّة مما يعني صيرورتها قرة عين بالضرورة.

لا بد من الأخذ بنظر الاعتبار دوماً بأن الآمال تنبثق في البنت منذ أن تجد نفسها وتدرك شخصيتها، وهذه الآمال تكرّسها للمستقبل والزوج الذي سيكون من نصيبها. . لم تقتنع ولم تكتفِ بكونها قرة عين أبيها في بيته وإنّما تطلعت لأن تكون قرة عين شخص آخر في بيت آخر، وإذا لم تجد هذا الأمل يتحقق في حياتها الزوجية فستعتبر أنّها لم تظفر بشيء من الزواج.

يقتصر قلق الرجل حين الزواج على موضوع شخصية الفتاة وأخلاقها إن كانت كما يرغب أم لا، حيث قيل إنها كالبطيخة لا تعرف طعمها حلواً أو مرّاً إلاّ إذا فتحتها وتذوّقتها. أمّا الفتاة فقلقها لا ينتهي لا عند الزواج ولا بعده، فهي لا تشرف على مصيرها مطلقاً بل هي كالولد بين يدي والديه إمّا أن يكون قرة عينهما ـ ونادراً ما يحصل عكس ذلك ـ وإمّا أن ييأس من حمايتهما ويتفاءل بالمستقبل فقط. غير أن حب الوالدين لأولادهما لا يقابله ردّ فعل مماثل اتجاههما ولهذا يعوض الله الرحمان الرحيم هذا النقص بآيات مباركات توصي الأولاد بوالديهم وأخريات بسمو مكانتهما لديه جلّ وعلا.

الأمر ذاته ينطبق على العلاقة بين الزوجين، إن الله سبحانه وتعالى يوصي الزوج بزوجته ويبيّن له عبر آياته الشريفة الواردة في القرآن الكريم بأنها يجب أن تكون قرة عين له، وقد حُقّ ووجب على المرأة أن تفخر بذلك.

يمثل الزواج أمنية بالنسبة للبنت وهي في بيت والدها، ولا ينقطع حبل أملها به حتى بعد انتقالها لبيت زوجها لكن البشائر الطيبة والأخبار المؤلمة تؤثر فيها أكثر مما لو عاشتها؛ فسماع خبر بقدوم قحط مخوف أكثر من أن يعيش المرء أيام القحط نفسه أو أن خبر اختيار المرء لمنصب رفيع أوقع في نفسه من الجلوس على كرسي ذلك المنصب، ووضع البنت لا يستثنى من هذه القاعدة فإنها تتطلع وتتلهّف للبشائر والأخبار المفرحة وهي في بيت زوجها. . لكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه، لقد جاءت وحلّت في بيت زوجها الذي كانت تعتقد بأنه مكان تفعيل الآمال فلم تر ما يدفعها للتصديق بأن آمالها سترى النور وستتحقق، فهذا هو الزوج وهذا هو بيته ولا أمل يبقى سوى ما يتعلق بالأولاد حيث الأمّ تعوّل على هذا الأمل أكثر من الأب لأن عزلة البيت يجعلها تكرس اهتمامها وآمالها بالأولاد في حين قلّما يسجل المجتمع، بصفته الوسط الذي يتواجد فيه الرجل، مثل هذه الحالة عند الأب؛ فالرجل وقبل أن يقيّده رباط الزوجية ببعض الواجبات، كانت له اهتمامات وميول مختلفة من قبيل ولعه بكرة القدم أو الطائرة أو ارتباطه بالمدرسة والكلية أو المجاميع وهو اليوم يصرف النظر عنها بالتدريج لا بسبب الزواج لذاته بل من أجل الانتقال لوضع آخر. أما البنت التي مثّل البيت كل حياتها ووجودها قبل الزواج فقد تركته في منعطف من حياتها اسمه الزواج واختارت بيتاً آخر اسمه «العائلة»، فإن لم تكن الزوجة قرة عين هذا البيت كان الزوج يحكم فيه كالمالك ولن ترى فيه شيئاً من استقلالية الزوجة ومثل هذا الوضع يجعل الرجل والعائلة في تخبط وعشوائية ولن يشاهدوا آفاقاً مستقبلية مريحة.

إن الرجل إذا تجرد من المشاعر قبال زوجته وصار مجرد جسد أمامها فعليه أن يتوقع من زوجته أن تقابله بالمثل فلا تكون سوى جسد

استسلم بين يديه، وهو ما يكرهه.. وعلى هذا ينبغي للرجل أن يكون جملة من المشاعر والأحاسيس الجياشة حتى تأنس به خاصة وأنّها لا تستطيع إقامة علاقة ثانية مع رجل آخر، كما أن منزلتها تتبع في الغالب منزلة زوجها بل وحتى اللقب الذي تحمله هو لزوجها، وتعكس لنا هذه الفكرة مفهوماً مفاده أن جسد المرأة يروح ضحية في تقديس الزواج أكثر من جسد الرجل، وإذا لم تصر المرأة قرة عين الرجل بالفعل فستقع مأساة اسمها استبداد الزوج وظهور دور الابوة المتزمّتة.

بعد مضي مدة من الوقت على الزواج، يدرك الشاب والشابة فيما إذا كان الانسجام والالفة تسود حياتهما، وهو ما يستحق الثناء والتقدير، أم يسودها النفور والفرقة لكنهما مجبوران على العيش مع بعضهما، وتلك حياة يطلق عليها «حياة تعيسة». وفي الحالتين، لا تستطيع الزوجة التخلّص أو الاستغناء عن البيت الذي هو بمثابة العش في الصورة الأولى وبمثابة «مقبرة الأحياء» في الصورة الثانية في الوقت الذي يتمتع الزوج بتنوّع في حياته كعلاقاته الاجتماعية خارج حدود البيت وطبيعة عمله في الأوساط الاجتماعية المفتوحة، ولذا بإمكانه أن يكون ممرّضاً ومعالجاً للأمور والمشاكل في المجتمع أو البيت أو كلاهما معاً. وفي المقابل حتى لو خرجت للمحيط الخارجي فلا يعني ذلك تنوّعاً بالنسبة لها بل وحدة، على العكس فإن بقاءها في البيت لوحدها تنتظر قدوم الزوج والأولاد لا يعدّ من الوحدة في شيء وإن صيرورتها ممرضة للزوج وتدبيرها لشؤون البيت وتربيتها للأولاد، كل ذلك يزيد من تعاطف ومشاعر الود التي تسود البيت.

قد لا يورد القرآن الكريم ذكراً لحواء زوجة سيدنا آدم عليه السلام عند الحديث عن موضوع خلافته وسجود الملائكة له وطرد الشيطان من

أجله، لكنه يأتي بذكرها بمجرد أن يتحدث عن الأكل واختيار محل السكنى وبروز المسائل الجنسية وذلك بصورة تعكس عظمة الارتباط بينها وبين سيدنا آدم عليه السلام إذ نقرأ ﴿**وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة**..﴾[1]، وفي المواقع التي تتحدث عن المساواة والعدل يستخدم لفظة «الوالدين» أو تعبير التثنية «ولا تقربا.. فأكلا...» وهكذا، على أن هذه الصيغ تفصح عن ارتباط وثيق تمتد جذوره إلى أعماق الخلقة بين الرجل وقرّة عينه.

حتى الزوجان غير المتفاهمين وغير المنسجمين، يحاول كل منهما أن يحفظ للآخر قدراً من احترامه وشخصيته؛ فالمرأة تسعى ما أمكنها لاخفاء ما بها من مشاعر ضد زوجها أمام الآخرين وفي نفس الوقت لا يرضى الزوج أن يمسّ أحد زوجته بكلام جارح ولو في غيابها.. فلو سمع الزوج من عشيقته الجميلة ما يسيىء لزوجته الشرعية فإن دمه سيغلي ويندفع إلى أقرب نقطة من المحيط الخارجي خلف الجلد لكنه لا يمكنه أن يتدفق للخارج مهاجماً العدو والمسيىء ولذا يحمرّ لون الرجل ويطلق العنان للسانه ليدافع عن زوجته في مقابل كيد ومكر هذه الثانية ﴿.. **إنَّ كيدكن عظيم**﴾[2].

ولو سمعت الزوجة التي ليست على وئام مع زوجها، رجلاً تحترم شهامته ورجولته وهو يسيىء إلى زوجها فإنها ستغيّر رأيها فيه، ولو عرفت منه أن زوجها على علاقة جنسية مع امرأة أخرى فإنها ستشعر بالمرارة وستسخط على الاثنين معاً؛ على زوجها الفاسق وعلى هذا الرجل الذي حمل إليها النبأ. وعلى هذا تكون الحقوق النظرية للرجل

---

(١) سورة البقرة: الآية (٣٥).
(٢) سورة يوسف: الآية (٢٨).

تعادل الحقوق العملية للمرأة في موضوعنا وهنا لا بد من تعويض النقوص والحاجات وتبيين الأمور من قبل من يحمل المؤهلات المنشودة لسد النقوص وملء الثغرة الموجودة بين القيم العملية والثقافية.

الزوجة الحامل.. قرة عين أيضاً

المرأة تحب الحمل؛ فهي إن حملت كان حبها لجنينها جزءاً من كيانها ووجودها.. وحينها تنظر لزوجها الذي برهن قدرته على التوليد بعين التقدير والاحترام، وهذا ما يساعد على بقاء نسبة السكر لدى الأم طبيعية وفي حالة معتدلة..

يكشف العلم ولو عن جانب صغير عن كنه علاقة الحب الغريزية للأم إزاء الجنين؛ فلو حصل أن عانت الأم من نقص في هرمون ما أو اختل عمل إحدى الغدد فإن الجنين في رحم أمّه، حيث يعد عضواً من جسدها، يبادر إلى مساعدتها في هذا المجال. والعجيب أن الجنين وحده الذي له تأثير على كل شيء في الأم حتى أنه يجعلها تعيش وضعه الصحي بل ويكون سبباً في ظهور حالات طفولية لديها.

يقال بأن الزوجة في زمن الحمل تتصف بالدلال علماً بأن هذه الصفة الطفولية التي تلجأ إليها الحامل إنما لاستمالة الكبار وطلب المساعدة منهم. في هذه الحالة حيث تظهر فيها الأم على صورة طفولية إلى حد كبير، يجب على الزوج مماشاة الزوجة ومسايرتها لا أن يظهر عليه عدم الارتياح وإلاّ ترك ذلك أثره على الأولاد.. سيىء جداً للجنين أن تكون الأم غير مرتاحة لهذا الحمل، والأسوأ منه أن تشعر الأم بأن الزوج ضجر وغير مرتاح من هذا الحمل وهذا الجنين الذي تفكر الأم

أنه سيكون سبباً في تعكير الأجواء في المستقبل، وخطورة الأمر نابعة من أن نمو الجنين سيكون في حالة نفسية مضطربة تعيشها الأم وتظهر آثارها عاجلاً أم آجلاً.

لهذا عرّف الرسول الأكرم ﷺ الحامل بأنها كالصائم نهاره والقائم ليله والمجاهد في سبيل الله تعالى؛ فالصيام على علاقة بالغذاء والحامل تعيش حالات الصيام بفعل وحامها، ثم إنها تقضي ليلها تتقلب في الفراش فمثلما يعمد الطائر إلى تقليب بيوضه من أجل أن لا تتجمع عناصر البيضة في جهة منها دون الأخريات وقد تموت الفراخ فيها فإن الحامل تتقلب في فراشها خلال الليلة الواحدة سبع إلى ثماني مرات وربما أكثر من ذلك حتى تأخذ الشعيرات المتورمة تحت ثقل الجسد قسطاً من الراحة وحتى يجري فيها الدم بصورة طبيعية حاملاً الأوكسجين إليها ومخلّصاً إياها من الفضلات، وأيضاً حتى لا تتجمع عناصر الجنين في جهة منه دون الأخرى وإلاّ كان نصفا الجنين غير مساويين، وتقلّبها تقلّب العابد في الليل.

أما جهادها في سبيل الله تعالى، فهي تثابر وتضحي في حياتها من أجل عز عائلتها أو أنها أم جندي المستقبل، فضلاً عن أنها تعتق في كل رضعة رقبة من ذرية النبي إسماعيل عليه السلام أي رقبة من «السادات».

أضف إلى ذلك أن للجنين حركة يقوم بها هو، لا كالبيوض التي يجري تحريكها.

إن إضفاء هالة من الاحترام والتقديس على شخصية الزوجة من قبل الإسلام الحنيف إنما لجعل الزوج يشعر بأنه إلى جانب نبع من الإيمان والتقوى والجهاد وتحفيزه للنظر للحمل بعين التفاؤل والبشارة، ولو قام بما يدخل الخوف في نفس الحامل بسبب حملها وراح يكيل

لها الكلمات الجارحة بسبب ذلك فإنه قد هيّأ لتعرض الطفل لابتلاءات مختلفة، ولن يكون الطفل «قرة العين» المنشودة ﴿**ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعينٍ**. .﴾[1].

إن «قرة الأعين» التي يطلقها القرآن الكريم على الأزواج والذريات معاً توحي بأنها تعني أيضاً الزوجة وهي تحمل جنينها في رحمها، وعلى هذا تكون الزوجة الحامل هنا قرآنية السمة والحال، ثم لِمَ لا تكون الحامل التي هي كالصائم نهاره والقائم ليله والمجاهد في سبيل الله قرآنية السمّة وإسلامية الحال ومثلاً لله تعالى. وعلى الضفة الأخرى، لو أجحف الرجل بحق المرأة وحملها؛ المرأة التي سلّمت نفسها بيده والحمل الذي هو كالبرعم المقبل على التفتح فإنه لا يمكن أن يقال لهذا الرجل سوى: إنك قد ظلمت الصائم القائم المجاهد واستهدفت بسهامك الظالمة موجوداً كنت سبباً في تكوّنه!!.

حينما يتحدث الإسلام الحنيف عن الزوجة الحامل بهذه الطريقة ويمنحها هذه المنزلة النبوية فإنما ليبين ضرورة مقابلتها باحترام كالذي يليق بالأنبياء عليهم السلام. إن الأم تعيش مع الجنين حالة من التواؤم بل والتبادل الحياتي بينهما على أكمل وجه، فقد أظهرت احصائية أجريت في منطقة أصابها القحط أن الأمهات الحوامل اللاتي فارقن الحياة بسبب شحة الغذاء وبسبب الجوع كنَّ يزوّدن أجنّتهن بما ادّخرن في عظامهنَّ من غذاء. نعم، لطالما غذّت الحامل جنينها مما اختزنته من غذاء عظامها بعد أن فاتها الافطار والتسحّر في شهر رمضان المبارك.

الملاحظ في التفاح أو العرموط أو أية فاكهة أخرى، تحاول الدفاع عن نويتها التي في وسطها من كل هجوم بكتيري أو فطري حيث

---

(١) سورة الفرقان: الآية، ٧٤.

أن هذه النويّة هي أساس وجود هذه الفاكهة وسلامتها تعني استمرارية وديمومة هذا النوع. تعد المفاصل المحل الذي يمكن للعدو اختراقه وبناء عش له فيه، ولذا عبئت مفاصل أغصان الفواكه بشيء من السَّمّ كوسيلة لدرء العدو. وللحيوانات في مفاصلها شعيرات بكثافة أكبر من الأماكن الأخرى وظيفتها الدفاع. . أما الأب أو الأم من بني البشر اللذان يحتفظان بنواتهما في داخلهما «النطفة والجنين» إذا لم يحافظا عليها فهما أضلّ من التفاح والعرموط. .

ليس اعتباطاً تشبيه الأم الحامل بالصائم والقائم والمجاهد، حاشى لرسول الله ﷺ أن يقول جزافاً. .

الوالدان؛ كل منهما تخرج منه الفضلات والقيح والدموع والبول والمني والوذي والودي والغازات والعرق والبصاق، لكن الأمّ وحدها يخرج منها شيء آخر هو «الإنسان».

الأم هي التي جعلت المستقبل المجهول ذا معنى في نفسها، وهي التي سمحت لدورة الحياة أن تجري في جسدها. الأم هي المبشّر بالحياة الأبدية والخلود والمولّدة من أجل بقاء النوع وادعى للاحترام.

ازداد وزنها بسبب مخلوق آخر، وتنهض بأعباء الوزن الإضافي من أجل كيان عائلة ولذا فهي أمنية وقرة عين الزوج ومحلّ رضا الله تبارك وتعالى.

الرضاعة وقرّة العين

المرأة الحامل تعرف تماماً بأن الداخل على أهل البيت إنما يدخل من الباب، سوى الملائكة..

أما الذي كانت تتمناه ورسمت في مخيلتها صورة له، فقد التحق بالعائلة كوردة تحمل عطر الأب وروح الأم، رافعاً شعار ديمومة الحياة في زقاق الوالدين.. طفل آدمي بعينين جذابتين وبشرة برّاقة وأظافر شفافة.. لا يهم بفتح عينيه في المكان الجديد رغم مضي ساعة على وروده فيه كما لا تجد الابتسامة سبيلها إلى شفتيه الرقيقتين وإن لوحظت ابتسامة ترتسم على محيّاه البريء فهي ابتسامة نوم وتتعلق بالعش الدافء والناعم والهادىء الذي قضى فيه شهوراً تسعة أمّا اليوم فهو في «دار بالبلاء محفوفة، وبالغدر معروفة»[1]. لم يرد في الدار الأولى «الرحم» إلاّ المحبة والحنان بكمالهما وتمامهما، قلّما كان يتأخر عنه الغذاء، وقلّما كان يصرخ من الجوع أما في هذه الدار «الدنيا» ما أكثر الساعات التي يعيشها في انتظار الغذاء وما أكثر الدموع التي يذرفها والصرخات التي يطلقها في طلب الغذاء إذ كثير ما يعاني من تقاعس الأم أو الآخرين.

---

(١) نهج البلاغة.

إن الأم لا تتردد لحظة في ممارسة الدور المقدس للحامل، فهي كالمنحل الذي فيه الزنبور تعطيه ما يريد متى ما أراد بل إن تبادل المنفعة بين جسد الأم وجسد الجنين يتم على قدم وساق وبصورة متساوية متوازنة، وكل ذلك على نحو تلقائي وذاتي. لقد كان نمو الجنين يخضع في الرحم إلى هذه الحالة المتوازنة والمتصفة بالعدالة أمّا اليوم وهو في عالم الدنيا يجب أن تحلّ المشاعر والأحاسيس محل العدالة ويتم الرجوع إلى تعليمات جديدة ليس فيها ما يختص بالتفاعل التلقائي لعالم التكوين.. نعم لا بد من تعليمات جديدة ومعلّم يبيّن تلك التعليمات ويوضحها.. تنمو مواليد باقي الحيوانات تلقائياً غير أن مولود الآدمي يحتاج إلى معلّم «أُطلُبوا العِلمَ مِنَ المهدِ إلى اللَّحدِ».. المعلّم الأول لهذا المولود هو الأم فهي الدليل للطفل وهي الوسيط بين الفعل ورد الفعل المتبادلين بين المولود والبيئة.. إن نطفتها حملت من قبل نطفة الزوج وحملت فيها الغذاء حتى تنمو خلايا الجنين أكثر فأكثر، هذا فضلاً عن الأوكسجين والغذاء الذي كانت توصله للجنين عبر الحبل السُّري أو المائع الذي يحيط به، أمّا اليوم فهي تغذّيه ولكن بصورة أخرى؛ إنها تلصقه بصدرها لترويه من لبنها الخالص..

لقد تناولت الأم وجنينها من صحن واحد على مدى ما يقارب تسعة أشهر وهي اليوم تغذّيه من نبع حنانها، جلّت قدرة الخالق؛ إن كل ما كانت ترسله باتجاه الحبل السُّرِّي سابقاً يتجه اليوم إلى مختبر الصدر ـ الثديين ـ ليتغيّر هناك إلى مادة حلوة المذاق بيضاء اللون. إن المولود المعتمد على الغذاء الذي تزوده به أمّه يحمل من صفاتها أكثر، ومثل هذه الأم يجب أن تكون فقط قرة عين الزوج الذي رزق بمولود بعد اقتراب لم يدم سوى لحظات فحسب، بل ويجب أن تكون قرة عين الخلقة أيضاً، وهي لكذلك.

لقد أمرنا الرسول الأكرم ﷺ قائلاً: «تخلَّقوا بأخلاق الله»[1] وعندها يعني الحديث الشريف إن الله هو العالم والإنسان يكون عالماً وأن الله هو القادر والإنسان يكون قادراً وإن نيل كل منهما طلباً لمرضاة الله تعالى يجعل صاحبه إلهيّ السمات والأخلاق وما شعور الأم حيال طفلها وحبّها له إلاّ نموذج من حبّ الله تبارك وتعالى لعبده.

ذكرت في غير موضع قضية تمكين الأم نفسها من الأب، وأطرق الآن باب «تسليم الأم نفسها»..

إن بامكان الأم أن تفعل بالطفل ما تشاء؛ أن تقبّله وأن تحتضنه وأن تداعبه وأن تعرّيه أو تلبسه ملابس سميكة لكنها في نفس الوقت أسيرة له، فهي لا تعرف معنى للمكان والزمان إلاّ مع هذا الوليد.. غير أن الأب لا يستسلم وليس بأسير اتجاه المولود بل هو في موقع المستولى، وفي الحقيقة أن الأمّ بمثابة الخادمة للمولود وهي مستسلمة وأسيرة بين يديه والأب كالخادم الذي يفرض سيطرته على الأمّ والطفل ويمرر توصياته ورغباته وصولاً لما تحتاجه العائلة.

تمتاز حالة التمكين من قبل الأم بأن الجانبين يستفيدان من بعضهما وثمرتها المودة والرحمة، وتولّد المحبة، أما حالة التسليم للمولود فالأمّ تشعر فيه بأن العلاقة بينها وبين الطفل من جانب واحد وأنه سيقابلها في المستقبل باللامبالاة. لقد ثبت أن آلام الولادة تخلق المحبة في نفس الأم؛ فبدل أن تكون الآلام مدعاة للانتقام تصير عاملاً لزرع محبة المولود في قلب أمّه وعلى هذا فإن الأمّ التي لا تحبّ تجرّع آلام الولادة لن تحب المولود الذي يفترض أن تحبه.

---

(١) بحار الأنوار ـ ج (١) ـ ص (١٢٩).

ينبغي للأم أن تطرد من مخيلتها فكرة أن التمكين وحده الذي يمتاز بارتباط ثنائي ومتقابل يراعي فيه كل من الجانبين ارضاء الطرف الآخر، وأن حالة التسليم تتصف بكونها ـ حسب تصوّرها ـ حباً من جانب واحد وأنها وحدها التي تترجم حنان الأمومة المكنونة فيها على صعيد الواقع مع الطفل، فالأمر ليس كذلك..

إن هذا الكيان الصغير يرى كل شيء في الكون ملكاً للأم، إنه يرى بأن الخلقة كلها معلقة بصدرها ـ بثدييها ـ الذي هو مصدر غذائه المادي والمعنوي.. إن كافة المخلوقات تُعرف من خلال الأم (ربما لم يتطرق إلى هذا المعنى أحد من قبل أو لم يلتفت إليه أحد).

ينمّ قوله عزّ وجلّ ﴿**ربَّنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين..**﴾[1] عن تقدير أكبر للزوجة قياساً بالذرية حيث قدمت «الأزواج» على «الذرية»، ولو احتضن الأب أو الأخ أو الأخت المولود فإن الأخير سيبحث بفمه الصغير المتلهّف وبحركاته المتسارعة عن شيء لا ولن يجده إلاّ عند الأم، من هنا يرى المولود الخلقة برمّتها ملخّصة بوجود الأم مما يعني أنها قرة عين الخلقة جميعاً، وهو نفس المفهوم القرآني.

على الهامش.. كلمات موجهة لأطباء النسائية والتوليد؛ فأولئك الذين يتهافتون على المال ويسارعون إلى تمرير السكين على بطن الحامل بمجرد أن تبدأ آلام الوضع معتبرين ذلك واحداً من مفاخرهم عليهم أن يعلموا بأن آلام الوضع لا تكون فقط في نشوء محبة بين المولود وبينها فحسب وإنما تعطي الضغوط التي يواجهها داخل الرحم زخماً وقوة أكبر على تحمل صعاب الحياة في الوقت الذي لا يمتلك

---

(١) سورة الفرقان: الآية، ٧٤.

الأطفال المولودون عن طريق العملية القيصرية ـ فتح البطن ـ مثل هذه القوة ـ إن الرجل ليتمنى عادة أن تكون له زوجة وذرية يكونون قرة عين له، غير أنه لا بد من مساءلته بعد مضي وقت على الزواج إن كان حافظ على هذه الأمانة التي أودعت بيده بصورة صحيحة، أم لا؟!.

رغم أن تفسير القرآن الكريم من شأن كبار العلماء وأراني أرتعش كلما حاولت الاقتراب من معاني الآيات الشريفة إلاّ أنه وانطلاقاً من الحديث الشريف لسيد الكائنات محمد ﷺ: «اختلاف أمّتي رحمة» أحاول، ما وفقني الله تعالى، أن أنقل ما أعرفه من الإسلام الحنيف بواسطة هذا الجيل إلى الأجيال المقبلة وأودّ أن تكون الأبواب التي أطرقها من المصحف الشريف لا سيما ونحن نشارف على نهاية هذا المؤلف..

إن التركيز على «قرة العين» التي أوردها القرآن الكريم إنما للأهمية التي يحظى بها الموضوع خاصة إذا ما عرفنا بأنه يستخدم مصطلح «الزواج» للحالات الثلاث للمرأة بعد الزواج؛ أي أنها زوجة قبل الحمل وهي زوجة عند الحمل وأيضاً حين الرضاعة، ولهذا كانت قرة العين في المراحل الثلاث. والأظرف من ذلك أن الكتاب العزيز أورد ذكر الأزواج دوماً إلى جانب ذكر الذريات بل وقدّمه على الثاني مما يعني أنه جعل الأمّ دوماً إلى جانب ولدها الذي هو قرة عينها أيضاً.

في الإعادة إفادة

كلمات هذا الفصل، ذكرتها آنفاً وأعيدها هنا مع إضافات..

إستناداً للقرآن الكريم، ذكرت بأن الرجل ينبغي أن يكون على ارتباط بالمنزل والمرأة على ارتباط بالبيت وقد شرحت أبعاد الارتباطين..

أمّا النقطة التي أضيفها هنا تتلخص في أنّ القرآن الكريم أكبر مفردة «النزول» في كل موضع وردت فيه، هذا فضلاً عما تحمله من معنى بشأن فائدتها لما يحيط بها.

ينبغي أن يكون للرجل منزل؛ ولكن كما نصّ القرآن الكريم على ﴿**إنّا أنزلناه في ليلة القدر**﴾[1] أي القرآن الكريم وعلى ﴿.. **وأنزلنا الحديد**...﴾[2] فإنّه تم إنزالهما إلى مستوى يمكن معه الاستفادة منهما. في السياق ذاته يجب على الرجل أن ينزل بنفسه ـ في المنزل ـ إلى الحدّ الذي يمكّنه أن يكون ذا فائدة للآخرين.

لقد أنزل القرآن الكريم بما فيه من كلمات ومعانٍ جمة بأسلوب متين ومنضود يستقطب اهتمام الإنسان، لا لشيء إلاّ ليفهمه هذا الإنسان

---

(١) سورة القدر: الآية، ١.

(٢) سورة الحديد: الآية، ٢٥.

ويستفيد منه كما نعرف ذلك من الحديث الشريف».

إنه لمن الصعب فهم كتب كبار العلماء فكيف بكتاب الله تعالى وهو منبع العلم.

إن الحديد أُنزل أيضاً لتستفيد منه البشرية.

لا بد أن يكون للزوج منزل تدرك فيه الزوجة زوجها وإلا فرّط بأعماله بالهبة التي منحها الله تعالى إياه «. . وإن أقمته كسرته».

على أن من الضروري الالتفات إلى أن «مُنزلاً» و «مَنزلاً» جذرهما واحد في اللغة.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
شكر وتقدير	٥
تنويه	٧
كلمات موجهة لمن ليس من العلماء العلمانيين ولا من الجهلاء المتدينين	٩
سبحان الله، حمداً لك ربي لا معبود سواك	١٠
أهمية الدين في الزواج	١٣
سن الزواج	٢١
زمن المباشرة	٢٥
سن الانجاب	٢٨
تقدّم السن	٣١
الشّيب	٣٧
التباين بين الرجل والمرأة	٤٠
الحياة المعيشية الفضلى	٥٣
حب المرأة	٦٣

الأم الحامل والأب المسؤول ٦٧
نماذج من الواقع الاجتماعي ٧٢
الغيرة ٧٧
الحياء ٨٦
الاستمناء ٨٨
أسلوب التعامل مع الزوجة ٩١
إثارة حول البكارة ٩٧
العائلة بين أمواج المشاعر الهادرة ١١٢
أحاسيس ومشاعر خارج سوار البيت ١٢٤
الحماقة على درجات ١٣٨
حقوق الزوجة ١٤٩
المرأة في أحضان المشاعر الإسلامية ١٥٥
أول مطرود.. أول ملعون ١٦٢
المباشرة ١٦٩
دور الجسم والروح في الحياة الزوجية ١٧٣
ضعف المرأة ١٨٠
جانب من حقوق المرأة ١٩٠
الغيرة في انعدام الحياء ١٩٣
التهيئة من أجل الزوجة ١٩٥
ذلاقة اللسان والقول الحسن ١٩٧
إطاعة المرأة ٢٠٠
المرأة وركوب السرج ٢٠٢
البنت حسنة ٢٠٤
حب الزوجة ٢١٥

الامتثال للقرآن الكريم ٢٢٦
الزوجان في فلك الحظ السعيد ٢٣٤
ومرة أخرى... الزوجة قرّة عين ٢٣٩
الزوجة الحامل.. قرة عين أيضاً ٢٤٩
الرضاعة وقرّة العين ٢٥٣
في الإعادة افادة ٢٥٨